

إِشْتَادُ الطَّلَابِ الْبَرَّةِ

إِلَى

بَعْضِ أَتَّانِيدِ شَيْخِ الْمُحَظَّرَةِ

تَأْلِيفُ الشَّيْخِ

أَبَاهُ بَنِ مُحَمَّدٍ عَلِيِّ بْنِ نَعِيمِ الْعَبْدِ

الْمَجْلِسِيِّ الشَّنْقِطِيِّ

ملفأة

دار المرقاة
للدراسات والنشر

إِشْتِاقُ الطَّالِبِ الْبَرِّ

إِلَى

بَعْضِ أَسَانِيدِ شَيْخِ الْمُحَظَّرَةِ

إشادات الطلاب البرية إلى

بعض أساتذة شيخ المحظنة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٢١ م - ١٤٤٢ هـ

الرقم الدولي

٩٧٨-٩٩٢١-٧٦٤-٠٠٠-٠



دار المعرفة للدراسات والنشر

للتواصل: ٧٦٢ ٩٦٥٩٩٧٢

Email: Almerqat@gmail.com



Dar Almerqat

المروج المعتمد

مفكرون الدولية للنشر والتوزيع

القاهرة ٧٢٠ ٨٥٢٦٠٧٢٠

الرياض ٩٦٦٥٤١٢٩٧٩٨٢

www.mofakroun.com



الكتب التي تصدرها الدار تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها ولا تعبر عن رأي الدار

إِشْبَاهُ الطَّلَبِ الْبَرِّ

إِلَى

بَعْضِ سَائِدِ شَيْخِ الْمُحَظَرَةِ

تَأْلِيفُ الشَّيْخِ

أَبَاهُ بَنِ مُحَمَّدٍ عَالِي بَنِ نَعِيمِ الْعَبْدُ

الْمَجْلِسِيُّ الشَّقِيبِيُّ

مِلَّة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على نبينا محمد وسلم

تقديم

تَحَلَّتْ هذه البلادُ الشنقيطيةُ بميزاتٍ استثنائيةٍ في مجال العلم والمعرفة، لعل من أشهرها البداوة العالمية؛ وهي التوفيق بين حياة الترحُّل والرَّعي، وبين تعلم وتعليم العلوم الشرعية والعربية، والبراعة في مختلف فنونها وآدابها...

غير أنه ما كان لهذا التوفيق والتألف أن لا يترك أثرًا على البيئة العلمية، مثلما تركه على الحياة العامة في هذه الصحراء المترامية الأطراف.

ولقد ظهرت تأثيراتُ البداوة وقهرها على طُرُق التَّحُمُّل العلمي، تبعًا لتأثيرها القويِّ على طُرُق الدراسة وظروفها؛ من تعدُّد المشايخ، وتكرُّر الانقطاع والاجتزاء في دراسة الفنِّ الواحد أحيانًا...

ومع نُدرَة التدوين والكتابة على العموم، فإنهما كانا أقل شيوعًا في مجال ضبط الأسانيد وتنقيحها وتسلسلها.

ويكاد ما وُجد من ذلك ينحصر في «الإجازة» المنقطعة، ولاسيما في غير القرآن والحديث؛ اللذين نالت الإجازة فيهما اهتمامًا كاملًا بالسند المتصل.

أما العلوم المحظرة العامة؛ من عقيدة وفقه وأصول ونحوٍ ولغة وسيرة نبوية... فأكثر الإجازات القليلة فيها موقوفة على الشيخ لا تتجاوزه بالسند.

والحقيقة أن هذا التوثيق كان يأتي في ذيل الاهتمامات العلمية في هذه البلاد،

وربما كان السبب الأساسي في ذلك هو قوة التوجه الديني في عملية التعليم برمتها، واعتبار البعض الإجازة والسند نوعاً من الرياء، أو «الديوية»، وخاصة في غير كتاب الله الذي لا بد فيه من إتقان الرواية وإسنادها، باعتبار أن «مَنْ غَيَّرَ فِيهِ حَرْفًا عَمَدًا كَفَرَ».

ومن هنا فإن القوم اعتبروا ما جاء في الحث على السند أو الإجازة، وما قيل: من أن «الإسناد ميزة من ميزات هذه الأمة»، وعليه تبنى علوم الشرع، وبه تستمر متجددة نقية من التحريف والتزييف، وأن السند من الدين، و«لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء...» الخ، كل ذلك إنما هو عندهم في حق القرآن الكريم وقراءاته المتواترة.

أما العلوم المحظرة الأخرى؛ فإن الإجازة فيها -على ندرتها- غالب أمرها أن تُؤَلَّفَ تأليفاً يعتمد على ذكر الشيوخ الرئيسيين لكل عالم، وشيوخهم، وشيوخ شيوخهم... إلى المنتهى من علماء الصحابة والتابعين، ومَنْ يُحتج بهم في كل فن.

ولتلك الأسباب أو جلها، لم يكتب إلا النزر القليل عن أسانيد شيوخ المحاضر، وإنما تصدى لذلك بعض المتأخرين، مركزين على السند القرآني الذي عدت له هنا نحو أربع طُرُق، أو أسانيد، جلها لقراءة الإمام نافع المدني (ت: ١٦٩هـ). هذا ويجمع بين مختلف الأسانيد في هذه البلاد أنها كلها جاءت أصلاً عن طُرُق رئيسية ثلاث هي: المغرب الأقصى ومصر وتونس. وأما الحجاز فأغلب الأسانيد منه إنما كان في العصور المتأخرة.

ونحن هنا أمام أحد أعلام المعرفة المعاصرين؛ ممن جمعوا بين علوم المحظرة الأصيلة، كما تلقاها ودرّسها فَطَاحِلَةُ العلماءِ الموسوعيون، وبين علوم العصر وطُرُقِ البحثِ والتوثيق والأداء الحديثة.

إنه العلامةُ المحققُ والباحثُ المدققُ والكاتبُ المتألقُ، كما تشهد له بذلك محظرتُه الجامعةُ العامرةُ من كل فج، بحاضرة «لِفَرَيَوَه» الميمونة، وبه تنطقُ مؤلفاتُه المحكمةُ المنشورة، التي يتواردها الدارسون ويحتجُّ بها الباحثون: محمد يحظيه (أباه) بن العلامة العَلَم: محمد عالي بن نعم العبد المجلسي، حفظه الله وأدام نِعَمَتَه وأنالَه في الدَّارَيْنِ بُغْيَتَه.

فقد أخرج لنا حفظه الله في هذا السفر اللطيف من ثمرات بحثه وبنات فكره، دليلاً مرشداً لطلاب العلم والباحثين في علم الرجال لمعرفة أهم أسانيد أمّهات العلوم المحظرة، من خلال ضبط وترتيب شيوخها الكبار والتعريف بهم. وقد اتَّبَعَ المؤلفُ في هذا البحث القيم منهجاً موضوعياً انطلق فيه من تحقيق سنده هو شخصياً، يُفضي من خلاله إلى السند العام المشترك، الذي تتفرع منه مختلف الأسانيد والطرق العلمية، في أهم علوم المحظرة المعتمدة.

وقد التزم المؤلف بالترجمة لجميع رجال السند، من أوله إلى آخره؛ وهو أمر بالنسبة للموريتانيين منهم صعب المنال؛ نظراً لما شاع من إهمال توثيق حياة علماء هذه البلاد، وزهدهم في التعريف بأنفسهم وتخليد مآثرهم التي يدخرونها أجراً عند الله.

زاد المؤلف على ذلك بمقدمات سنّية عرّف فيها بموضوع كل سند من تلك العلوم المسندة، والتاريخ له... كل ذلك في إيجاز وتركيز لا يُخل ولا يُسئم.

فجاء هذا الكتاب: إرشاد الطلاب البررة إلى بعض أسانيد شيوخ المحظرة
بالجملة سجل ضبط للسند المحظري، وبياناً لتسلسله إلى نهايته، وموسوعة
تراجم، وكتاب علم ومطالعة؛ يهتدي به الباحثون ويرجع إليه الدارسون، ومغنى
يتنزه فيه المطالعون...

جزاه الله خيراً وأبقاه للعلوم والمعالي ذخراً.

انواكشوط، في ٢٤ حزيران ٢٠٢٠م

محمد محفوظ بن أحمد





تقاريف الكتاب

بعض تقاريط هذا الكتاب

لقد عُرض هذا السند على العديد من شيوخ المحاضر والباحثين والقضاة الشنقيطين؛ وهذه نماذج مما كتبوه:

فقد قرظته شيخ محظرة آل يحظيه بن عبد الودود الجكنيين نسباً، القنانيين خؤولة ووطناً بـ (الميمون) الأستاذ الفاضل والشيخ الكامل لمرباط: محمد سالم بن العلامة الكبير اتاه بن العلامة الشهير شيخ الشيوخ يحظيه بن عبد الودود بما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله
أما بعد: فقد طالعت بإمعان وتثبت كتاب فريد عصره وحبر أوانه، يتيمة
عقده وحلي زمانه، العلامة الورع والقُدوة البركة محمد يُحظيه «إياه» بن العلامة
وشيوخ المشايخ في هذا القطر محمد عالي بن نعم العبد الأحمدي.

أُولَئِكَ قَوْمٌ زَيْنَ اللَّهُ فَخْرَهُمْ فَمَا مِثْلُهُ فَخْرٌ وَإِنْ عَظُمَ الْفَخْرُ

أعني به: «إرشاد الطلاب البرره إلى بعض أسانيد شيوخ المحظرة» فوجدته
قرّة عين الصديق الودود، وقذى في عين العدو الحسود، بارك الله فيه فقد أجاد
فيه وأفاد، جزاه الله أحسن الجزاء.

والله أسأل أن يجعلنا وإياه من الذين أخلصوا عملهم لله وكانوا يتقون
والسلام.

محمد سالم بن اتاه بن يحظيه بن عبد الودود
وقاهم الله شر الحسود والودود

وقرظه شيخ محظرة ءال محمد سالم المجلسيين (بانواكشوط) العلامة
الفقيه والدراكة النبيه: أحمد بن الفقيه محمد الأمين (أنيي) بن الفقيه عبد الله
بن العلامة الورع الشيخ محمد بن محمد سالم، بما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على النبي الكريم

الحمد لله: يقول العبد الفقير أحمد بن النبيي، مقرظًا كتاب الشيخ الجليل
العلامة ابن العلامة... محمد يحظيه (اباه) بن محمد عالي بن محمد فال بن
محمد بن نعم العبد المجلسي، الذي بين فيه بوضوح وإتقان السند المحظري
ببلاد شنقيط:

نِعْمَ الَّذِي بِهِ أَفَادَ الْمَجْلِسِي	مَنْ حَازَ فِي الْعُلُومِ صَدْرَ الْمَجْلِسِ
(إِبَاهُنَا) نَجَلُ مُحَمَّدٍ عَالِي	مَنْ مَزَجَ الْعُلُومَ بِالْمَعَالِي
إِذْ خَلَفَ الْآبَاءَ فِيمَا يَبْدُو	فَقُلْتُ فِيهِ هُوَ: (نِعْمَ الْعَبْدُ)
لَا غُرُوَ إِنْ أَبَدَعَ فِي أَنْقَالِ	مُحْكَمَةِ السَّبْكِ وَالِاسْتِدْلَالِ
فَهُوَ ابْنُ بَجْدَةِ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ	وَرِثَ ذَاكَ الْمَجْدَ عَنْ أَبِي وَعَمِّ
هَا هُوَ قَدْ يَسَّرَ لِلْمُرِيدِ	تَعْرِيفَهُ بِشَيْخِهِ الْمُجِيدِ
إِلَى انْتَهَا السَّنَدِ فِي الْمَحَاضِرِ	بِمَرْبَعِ الْعُلُومِ وَالْمَنَابِرِ
أَوْصَلَ ذَا الْفِقْهِ بِهَذَا الْجِيلِ	بِشَيْخِهِ بِهَرَامَ عَسْنِ خَلِيلِ
وَاللُّغَوِيِّ وَمُتَقِنِ النَّحْوِ الْعَلِيِّ	أَوْصَلَهُ بِالذُّوْلِيِّ عَنِ عَلِي
وَهَكَذَا عَلَى دَوَامِ يَأْتِي	بِسَّنَدٍ مُتَّصِلٍ مُوَاتٍ
يَا رَبِّ فَارْزُقْهُ جَزِيلَ الْعَافِيَةِ	وَنِعْمًا فِي كُلِّ حَالٍ ضَافِيَةِ

وَطُولَ عُمُرٍ فِي هَنِيئِ الْعَيْشِ مَوْمِنًا مِنْ كَسَدٍ وَطَيْشِ
لَا زَالَ ذَاكَ الْعِلْمُ وَضَفًا وَعَلَمٌ فِي مَجْلِسِ الْعِلْمِ بِهِ تُهْدَى الْأُمَمُ
بِحَاهِ خَيْرِ الْعَالَمِينَ الدَّاعِي لِلْخَيْرِ فِي مُخْتَلَفِ الْمَسَاعِي
صَلَّى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِ الْكِرَامِ مَنْ رَفَعَ الْعِلْمَ إِلَى أَسْمَى مَقَامِ

الفقيه أحمد بن النيني وزير الشؤون الإسلامية والتعليم الأصلي (سابقًا)
ومستشار رئيس الجمهورية في الشؤون الإسلامية، بتاريخ: (٢٣ مارس
٢٠١٨م).

وقرظه شيخ محظرة ءال محمد فال بن أحمد بيبه العلويين (بالنباغية)،
العلامة المحقق والجهيد المدقق قدوة العصر المفسر المحدث المدرس ابن
المشايخ الشيخ: محمد فال (اباه) بن الشيخ عبد الله بن العلامة محمد فال بن
العلامة باب بن العلامة أحمد بيبه بما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا مَحْضَرِي هَلْ عَرَفْتَ نَسَبَكَ	فِيمَا قَرَأْتَ أَوْ عَرَفْتَ حَسَبَكَ؟
مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا نَسَبٍ دَعِيٌّ	أَوْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ غَيْبِيٌّ
فَالنَّسَبُ الْعِلْمِيُّ أَشْرَفُ نَسَبٍ	وَخَيْرٌ مَوْهُوبٌ وَخَيْرٌ مُكْتَسَبٌ
فَلَا يَلِيْقُ جَاهِلُهُ بِالطَّلَبِ	فَهَلْ رَأَيْتَ قَطُّ جَاهِلًا أَبَهُ؟
مَا الدِّينُ إِنْ نَظَرْتَ دُونَ الطِّينِ	فِي الشَّأْوِ شَأْوِ بِرِّهِ الْبَطِينِ
فَالنَّسَبُ الرَّافِعُ لِلْعِنَادِ	يُعْرَفُ بِالْإِسْنَادِ بَيْنَ النَّادِي
فَقِفْ بِرَسْمِهِ إِذَا مَا عَنْكَ نَدٌ	لَا الدَّارِ بِالْعَلِيَاءِ لَا وَلَا السَّنْدِ
أَصُولُهُ الْأَيْمَةُ الشُّيُوخُ	فِي كُلِّ عِلْمٍ لَهُمْ رُسُوخُ
بِهِمْ وَلَا غَرَوْ فَهُمْ جُدُودٌ	قَدْ أَنْعَشَتْ لِظَالِعِ جُدُودُ
بِمِثْلِهِمْ يُفَاخِرُ الْمُفَاخِرُ	وَيَسْتَدِلُّ النَّاطِرُ الْمُنَاطِرُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُمْ فَ «أَبَاهُ»	فِي دِينِهِ عَرَفَهُ أَبَاهُ
أَبْرَزَ مَا لَهُمْ مِّنَ الْمَنَاقِبِ	لَامِعَةً فِي أَرْفَعِ الْمَرَاقِبِ
وَمَا لَهُمْ مِّنْ غَرَرِ الْفَضَائِلِ	وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُرَرِ الْمَسَائِلِ
وَمَا لَهُمْ مِّنْ رَّحَلَاتٍ فِي الطَّلَبِ	مَمْلُوءَةٍ الظَّرْفِ بِعِلْمٍ وَأَدَبِ

وَمَا لَهُمْ مِّنْ رُّفْقَاءَ فِيهِ
 قَامَ بِهِذَا الْوَجِبِ الْكِفَائِي
 فَائِدَةٌ أَغْفَلَهَا مَن قَبْلَهُ
 (وَهُوَ بِسَبْقِ حَائِزٌ تَفْضِيلًا)
 وَمِنَ أَبِيهِ حَازَ ذَا الْفَضْلِ الْأَشْمَ
 وَالْجَيْلُمُ الْأَبْلَجُ فِي دَاجِي الظُّلْمِ
 فَهَرَسَةً مِنْ أَحْسَنِ الْفَهَارِسِ
 أَحْيَتْ مِنَ التَّارِيخِ كُلِّ دَارِسِ
 مَجْلِسُهَا أَضَلُّ لِذِي الْمَجَالِسِ
 أَوْ مِنْ مُجَانِسِ لَذَا الْمَجَالِسِ
 مِنَ التُّقَاةِ فَأَخْرَجَ الْمَلَابِسِ
 وَمِنَ بَنِي عَدِيٍّ الْأَشَاوِسِ
 فَأَمْتَعَ اللَّهُ بِهِ وَنَفَعَا
 تُلْفِيهِ فِيهِ طِبْقُ مَا تَبَغِيهِ
 عَنْ هَؤُلَاءِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ
 (حَاوِيَةً مَعْنَى الَّذِي سَيَقَتْ لَهُ)
 وَقَامَ فَضْلُهُ لَهُ دَلِيلًا
 فَهُوَ الْإِمَامُ الْحُجَّةُ الْحَبْرُ الْعَلَمُ
 (وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمَ)
 وَخَيْرٌ مَا أُودِعَ فِي الْكَرَارِسِ
 وَدَارِسِ فِي هَذِهِ الْمَدَارِسِ
 مِنْ جَالِسِ فِيهِنَّ أَوْ مُجَالِسِ
 مِنْ عَمَرِيٍّ أَلْمَعِيٍّ لِابْسِ
 مِنْ ضَنْضِيٍّ الْأَعْيَاصِ وَالْعَنَابِسِ
 وَمِنْ صَمِيمِ قَيْلَةَ الْقَرَانِسِ
 بِعِلْمِهِ وَالْقَدْرَ مِنْهُ رَفَعَا

قاله: محمد فال (اباه) بن عبد الله

وقرظه شيخ محظرة آل مولود بن أحمد الجواد اليعقوبيين (بالتيسير)، علامة العصر، التقي الورع الناثر الشاعر المؤلف المدرس، الشيخ محمد الحسن بن العالم الفاضل أحمد الخديم، بن العالم القارئ محمد مولود، بن العلامة أبي محمد، بن العلامة الكبير والشاعر الشهير مولود بن أحمد الجواد بما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وما توفيقى إلا به، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه.

هذا وإني طالعت الكتاب المسمى: «إرشاد الطلاب البررة إلى بعض أسانيد شيوخ المحظرة»، تأليف حبيينا وأخينا في الله العلامة التقي محمد يحظيه «اباه» سلالة وخليفة شيخنا وشيخ شيوخنا العلامة الكبير مدرس القطر الشهير، الذي صيته ذاع وانتشر، وقدره فوق ما يذكر ويسطر؛

حَلَفَ الزَّمَانُ لِيَأْتِيَنَّ بِمِثْلِهِ حَنْثُ يَمِينِكَ يَا زَمَانُ فَكَفَّرَ

ألا وهو لمرابط محمد عال «ابوه» بن نعم العبد المجلسي الأحمدى، رحم الله تعالى السلف وبارك في الخلف، اللهم آمين.

فلما طالعتَه - ولم يكن «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» - إذا هو أنجز ما وعد، وأوعب وأوجز فيما قصد، وكان كما عهد في سائر مؤلفاته من التحرير والتدقيق، والتحري في النقل والتدقيق، «وكانوا يوم ذلك عند ظني» فقد كفى المؤنة محاضر هذه البلاد، بما رفع لهم وأوصل من الإسناد، وقام بفرض الكفاية الذي يتعين على من تفرد بالأهلية له؛ فجزاه الله تعالى أجل خير، ووقانا وإياه كل ضير، اللهم آمين.

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ

لَا نَسْأَلُ اللَّهَ إِلَّا أَنْ يَدُومَ لَنَا لَا أَنْ تَزِيدَ مَعَالِيهِ فَقَدْ كَمَلَتْ

أَبُوكَ خَلِيفَةً وَلَدْتَهُ أُخْرَى وَأَنْتَ خَلِيفَةُ ذَاكَ الْكَمَالِ

وكتب من ليس أهلاً:

محمد الحسن بن أحمد الخديم

والسلام على من اتبع الهدى

وقرظه العلامة المحقق والباحث المدقق الدكتور محمد المختار بن اباه
(محمد فال) بن باب بن أحمد بيب العلوي، رئيس جامعة شنقيط العصرية بما
نصه:

أَشِدُّ بِمَا سَلَكَ زَيْنُ النَّادِي	(إِبَاهُ) فِي طَرَائِقِ الْإِسْنَادِ
أَجَادَ فِي «إِرْشَادِهِ لِلْبِرَّةِ	إِلَى أَسَانِيدِ شُيُوخِ الْمَحْضَرَّةِ»
أَتَى بِهَا جَوْهَرَةً فَرِيدَةً	فِي عِلْمِي السِّيَرَةِ وَالْعَقِيدَةِ
هَدَّبَهَا بِأَصْلِهَا وَبِالسَّنَدِ	فَسَارَ سَيْرَيْنِ سَيْرِ ذِي رَشْدِ
لَطِيبِ نَشْرِهَا يَطِيبُ الْمَجْلِسُ	بِعَرَفِهَا وَهِيَ (الْجَلِيسُ الْمُؤَنَسُ)
سَنَدُهُ مُدَقَّقٌ مُوْتَقٌ	مُبَيِّنٌ طُرُقَهُ مُحَقَّقٌ
قَدَّمَهُ عَنِ قَدَمَاءِ الْعُلَمَاءِ	عَلَى أَصْحَحِ عِلْمٍ مَنِ تَقَدَّمَ
وَوْتَقَ الْفِقْهَ لِكُلِّ سَالِكِ	مَذْهَبِ شَيْخِنَا الْإِمَامِ مَالِكِ
وَقَبْلَهُ مُقَدِّمَاتُ زَائِدِهِ	فَكَانَتْ الْجُزْءُ الْمُتَمِّمَ الْفَائِدَةَ
وَالنَّحْوُ قَدْ جَاءَ بِهِ مُؤَصَّلًا	مُتَّصِلًا إِلَى عَلِيِّ ذِي الْعُلَى
نُسِبَ لِلْبُونِيِّ فِي الْمَحَاضِرِ	فِي سَنَدِ لِلْعَلَوِيِّ الشَّاعِرِ
لَكِنَّمَا نَجَلُ التَّلَامِيذِ اعْتَمَى	أَنَّ عَنِ انْجُبَانِ نَحْوَهُ انْتَمَى
وَطُرُقُ الْإِسْنَادِ قَدْ تَعَدَّدَ	وَكُسِّلَهَا يُؤَخِّدُ مِنْهُ الْمَدَدُ
وَهِيَ هُنَا عَنْ شَيْخِهِ وَأَبِيهِ	«مُحَمَّدِ عَالِي» الْمَقَامِ النَّبِيهِ
أَنْعَمَ بِهِ شَيْخًا وَنِعْمَ أَثَرُهُ	فِي قَوْمِهِ وَنِعْمَ قَوْمًا مَعْشَرُهُ
مَرْجِعُ كُلِّ بَاحِثٍ وَسَائِلِ	وَمِنْهُ نَالَ النَّاسُ خَيْرَ نَائِلِ

وَدَاكَ عَن سَمِيهِ الْفَذُّ الْأَبْرُ شَيْخِ الشُّيُوخِ وَهُوَ يُحْظِيهِ الْأَعْرُ
مُحِيبي مِنَ الْعُلُومِ كُلِّ دَارِسِ وَمَرْجِعًا ثَبَتًا لِكُلِّ دَارِسِ
وَالْعِلْمُ دُونَ سَنَدٍ لَا يُعْتَمَدُ كَمِثْلِ بَيْتِ دُونَ أُسٍّ وَعَمَدُ
وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ يَشَا مَا شَاءَهُ فِي خَبَرٍ فِيهِ فَشَا
أَمْنِيَتِي الْإِكْمَالُ بِالْإِتْيَانِ بِسَنَدِ الْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ
وَأَبَاهُ أَهْلٌ أَنْ يُتَمَّ الْعَمَلَا وَأَنْ يُحَقِّقَ بِذَلِكَ الْأَمَلَا
أَعَانَهُ الرَّحْمَنُ بِالتَّوْفِيقِ فِي الدَّرْسِ وَالتَّأْلِيفِ وَالتَّوْثِيقِ
ثُمَّ صَلَاتُنَا عَلَى الْمُخْتَارِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ

د. محمد المختار ولد اباه

وقرظه العلامة الكبير والقاضي الشهير: المصطفى المعروف بـ(ابن) بن

محمد عبد الرحمن بن محمد مولود بن بيان القلقمي الشنقيطي بما نصه:

نَوَّهَ بِإِرْشَادِ الْهُدَاةِ الْبَرَّةِ	إِلَى أَسَانِيدِ شُيُوخِ الْمَحْظَرَةِ
مُؤَلَّفِ الْعَلَّامَةِ الْمُحَقِّقِ	وَالْجَهْدِ الدَّرَاكَةِ الْمُدَقِّقِ
حَلَفِ التَّصَانِفِ أَخِي الرُّسُوحِ	فِي الْعِلْمِ صَدْرِ الْجِلَّةِ الشُّيُوحِ
يُحْظِيهِ حَاوِي جُمْلَةِ الْمَعَالِي	خَلِيفَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عَالِي
سَلِيلِ «نِعَمَ الْعَبْدُ» ذِي الْعُلُومِ	وَالْفَضْلِ وَالْعَمَلِ بِالْمَعْلُومِ
مُبْدِي مَعَانِي النَّصِّ كَالْمَحْسُوسِ	لِجَوْدَةِ الْإِلْقَاءِ لِلدَّرُوسِ
فَحَازَ رَهْنِ السَّبْقِ فِي تَفْهِيمِ	مَعْنَى النُّصُوصِ عَنْ ذَوِي التَّعْلِيمِ
وَحَازَ ذَا الْإِرْثِ الْخَلِيفَةَ الْعَلَمَ	«وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمَ»
وَذَا الْكِتَابِ جَوْهَرٌ فَرِيدٌ	وَجَدْتُ فِيهِ كُلَّ مَا أُرِيدُ
مِنْ سَنَدِ لِسَانِي الْمَحَاطِرِ الَّتِي	أَخَذْتُ فِيهَا عَنْ شُيُوخِ جِلَّةِ
إِنْ تَسَأَلْ مَا حَوَاهُ لَمْ تَقُلْ	(أَوْرَدَهَا سَعْدٌ، وَسَعْدٌ مُشْتَمَلٌ)
يَا رَبِّ هَبْ جَامِعَهُ مَرَامَهُ	وَيَسِّرْ كُلَّ مَرَامِ رَامَهُ
وَهَبْهُ طَوْلَ الْعُمْرِ فِي عَافِيَةِ	وَطَاعَةِ وَعَيْشَةِ رَاضِيَةِ
وَهَبْ لَهُ الْمُرَادَ فِي ذُرِّيَّتِهِ	وَالنَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَفِي أَحِبَّتِهِ
وَصَلِّ يَا رَبِّ مَعَ السَّلَامِ	عَلَى الْهُدَى وَاللِّهِ الْأَعْلَامِ

القاضي: المصطفى ابن بيان (ابن)

رئيس لجنة الفتوى بالمجلس الأعلى للفتوى والمظالم

وقرظه العالم العلامة شيخ عصره وفريد دهره الشيخ: محمد الحسن بن
الددو رئيس مركز تكوين العلماء بانواكشوط بما نصه:

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على سيد
الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستن
بسنته إلى يوم الدين أما بعد فهذا تقرّظ كتبه على كتاب إرشاد الطلاب البررة
في أسانيد المحظرة لفضيلة الشيخ العلامة محمد يحظيه بن محمد عالي بن
محمد قال بن نعم العبد المجلسي الأموي حفظه الله ومدّ في عمره

وَجَدَدَ فِي التَّارِيخِ فِي الْمُنْكَبِ الْغُرَبِيِّ	كِتَابُ جَلِيلٍ جَلَّ فِي عَالَمِ الْكُتُبِ
بِوَصْلِ أَسَانِيدِ الْمَحَاضِرِ وَالْكَتُبِ	وَسَدِّ فَرَاغًا كَانَ فِي مَكْتَبَاتِنَا
وَأَقْبَرَ مِنْ آثَارِ آسَادِهَا الْغُلَبِ	وَأَنْشَرَ مَا قَدْ كَانَ طُولُ الْمَدَى طَوًى
لِأَنْفَعِ طُرُقِ السَّيْرِ فِي أَثَرِ الرَّكْبِ	وَأَرْشَدَ أَصْحَابَ الْمَهَارَةِ وَالْهُدَى
بِهَا عَجَبٌ يَهْدِي وَيَشْفِي مِنَ الْعُجْبِ	وَأَبْدَى بِهِ الشَّيْخُ الْإِمَامُ عَجَائِبًا
مُجَلِّي سِبَاقِ الْعِلْمِ فِي فِيهِ الرُّعْبِ	مُحَمَّدٌ يُحْظِيهِ الْكَرِيمُ سِرَاجِنَا
لِوَضْعِ الْهِنَاءِ فِي مَوَاضِعِ ذِي النُّقْبِ	مَحَطُّ رِحَالِ الدَّارَسِينَ مُجَرَّبٌ
مَعَ الْجُودِ وَالْأَخْلَاقِ جَنَّبًا إِلَى جَنْبِ	بِحَيْثُ يُقَانِي الْعِلْمَ وَالْفَهْمَ وَالتَّقَى
وَذَوْقِ رَفِيعٍ لَا يَحِيدُ عَنِ الدَّرْبِ	مَعَ الْأَدَبِ الرَّاقِيِّ وَشِعْرِ مُهَذَّبِ
تَرَقَّى مِنَ الْأَعْيَاصِ فِي الْمُرْتَقَى الصَّعْبِ	إِلَى نَسَبِ فِي الْعِزِّ وَالْمَجْدِ بَادِخِ
تَنَاقَلَ عَنْهُ الْمَجْدَ نَدْبٌ إِلَى نَدْبِ	أَبُو أَحْمَدَ النَّدْبِ الْكَرِيمِ أَبُوهُمْ
وَأَعْمَارُهُمْ لِلشُّغْلِ بِالْفَرَضِ وَالنَّدْبِ	وَقَدْ خُلِقَتْ لِفَهْمِ ظَرْفًا صُدُورُهُمْ

وَأَرْجُلُهُمْ لِلسَّبْقِ فِي سُبُلِ الْعُلَا
 وَقَدْ بَلَغُوا فِي الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْعُلَا
 وَفِي مَجْلِسِ الْعِلْمِ الْمَهِيْبِ تَوَسَّطُوا
 لَدَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ مَعْقِلِ عِزِّهِمْ
 كَمَا أَلَّ نِعَمَ الْعَبْدِ لِلنَّاسِ نِعْمَةٌ
 مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَصَابِيحُ فِي الدُّجَى
 وَذَا الشَّيْخِ يَقْفُو مِنْ أَبِيهِ شَمَائِلًا
 تَأْلِيْفُهُ صَنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهَا
 كَأَنَّ أَبَا حَيَّانٍ يَقْصِدُ كُتْبَهُ
 [مَشَارِقُ أَنْوَارٍ تَبَدَّتْ بِسَبْتِهِ
 وَمَرَعَى خَصِيْبٍ فِي جَدِيْبٍ رُبُوعِهَا
 فَمَا فَضَّلَ الْأَرْجَاءَ إِلَّا رِجَالُهَا
 وَأَيْدِيَهُمْ لِلْبَدْلِ وَالْبَحْثِ وَالْكَتْبِ
 مَرَاتِبَ قُضُوْى لَا تُقَرَّبُ بِالنُّجْبِ
 بِصَدْرِ بِهِ كَانُوا بِمَنْزِلَةِ الْقَلْبِ
 عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالْمَنْزِلِ الرَّحْبِ
 مُوَطَّأَةُ الْأَكْنَافِ كَالْمَنْهَلِ الْعَذْبِ
 مَفَاتِيحُ أَخْلَاقٍ مَفَارِيحُ لِلْكَرْبِ
 يُسَاوِيهِ فِي كُلِّ الْمَفَاخِرِ أَوْ يُرْبِي
 لَهَا السَّبْقُ مَضْمُونٌ عَلَى الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ
 بِأَبْيَاتِهِ إِذْ قَالَ فِي الْبَحْرِ وَالضَّرْبِ
 فَوَا عَجَبًا تَبْدُو الْمَشَارِقُ فِي الْعَرْبِ
 أَلَا فَاعْجَبُوا لِلنَّخْصِ فِي مَوْضِعِ الْجَذْبِ
 وَإِلَّا فَلَا فَضْلٌ لِيُتْرَبَ عَلَى تُرْبِ [

الشيخ: محمد الحسن بن الددو
 رئيس مركز تكوين العلماء بانواكشوط

وقرظه الشاب الأديب سيد احمد بن محمد بن محمد محمود (عمون) بن
بياه المجلسي خريج المحاضرة المجلسية ومركز تكوين العلماء (بانواكشوط)
بما نصح:

سَلَسِلُ الْعِلْمِ لَوْلَا غُرَّةُ (السَّنَدِ)	(أَخْنَى عَلَيَّهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَيَّ لُبْدِ)
و(أَبَاهُ) لَوْلَاهُ أَطْلَالُ الْمَحَاطِرِ قَدْ	(أَقْوَتَ وَطَالَ عَلَيَّهَا سَالِفُ الْأَبْدِ)
فَالسَّبْقُ فِي سَنَدِ الْأَشْيَاحِ فَازَ بِهِ	(سَبَقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَيَّ الْأَمْدِ)
فَحُلٌّ (تَذْمُرٌ) بِالْإِيْمَانِ قَدْ بُنِيَتْ	وَالْعِلْمِ وَالْعِزُّ لَا (الصَّفَّاحِ وَالْعَمْدِ)
فَجَادَ مِنْهَا بِأَعْلَاقٍ مُفْصَلَةٍ	(وَلَا يَحْوُلُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ عَدِ)
أَعْطَى أَسَانِيدَ تُسْتَحْلَى تَوَابِعُهَا	مِنَ التَّرَاجِمِ (لَا تُعْطَى عَلَيَّ نَكَدِ)
فَالْعِلْمُ أَصْبَحَ قَدْ لَاحَتْ مَسَالِكُهُ	وَالْفِقْهُ وَالنَّحْوُ نَالَا حِصَّةَ الْأَسَدِ
فَنَالَ شَيْخِي بِذَا فَضْلًا (وَإِنَّ لَهُ	فَضْلًا عَلَيَّ النَّاسِ فِي الْأَدْنَى وَفِي الْبَعْدِ)
وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ	وَلَا أَحَاشِي مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ)
رُغْمَ التَّوَاضُّعِ مُرْفُوعِ الْمَقَامِ يَرَى	عَلَيَّاهُ مَنْ سَلِمَتْ عَيْنَاهُ مِنْ رَمَدِ
أَوْلَاهُ مَوْلَاهُ مِنْ نِعْمَاهُ سَابِغَةٌ	وَاللَّهُ يَكْلُوهُ مِنْ سَوْرَةِ الْحَسَدِ
هَذَا دُعَائِي وَعَيْضٌ مِنْ فَضَائِلِهِ	وَفِي الْفُؤَادِ وَدَادُ عَيْرُ ذِي أَوْدِ
وَكَيْفَ لَا؟ وَسِرَاجِي مِنْ سَنَاهُ أَضَا	وَبَحْرُهُ مِنْهُ يَمْتَاخُ الْعُلَا ثَمْدِي
وَفِي الْخِتَامِ صَلَاةُ اللَّهِ دَائِمَةٌ	عَلَيَّ النَّبِيِّ وَنَادِيهِ مَدَى الْأَبْدِ

تلميذكم ومحبتكم سيد احمد/ عمون.



التمهيد

تمهيد

الحمد لله المبدئ المعيد الذي شهد لنفسه بالتوحيد، وقرن بشهادته شهادة الملائكة وأولي العلم في كتابه المجيد؛ ووفق للفتقه في الدين؛ من أراد به خيراً من عباده المؤمنين؛ وأرشد إلى طريق الصواب؛ من نحا نحو اللسان العربي في التصريف والإعراب؛ فقال جل من قائل: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨) ﴿ آل عمران ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١٢٢) ﴿ التوبة ﴾.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الأمين وصفوته من خلقه أجمعين القائل: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١)، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيقول عبيد ربه الفقير إليه، العائذ به من شؤم ذنبه محمد يحظيه (اباه) بن محمد عالي بن محمد فال بن محمد بن نعم العبد المجلسي كان الله لهم بمنه وكرمه ولياً ونصيراً:

لما كانت الأسانيد هي أنساب الكتب، التي تكشف عن طرق تلقينها أستار الحجب؛ وهي كذلك أوثق سبب يستمسك به من إلى العلم انتسب، لتكون برهان صدقه عند الامتحان، وعنوان سبقه في ميدان الرهان، وبها يحفظ العلم

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم: ٧١)، ومسلم (رقم: ١٠٧٣).

ويصان، ويظل حماه في حصن وأمان؛ وهي سلاح حامل العلم القائم مقام سيفه وترسه، وإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يدفع عن نفسه؟ ولولا الإسناد لقال مَنْ شاء ما أراد.

ولم تزل المشايخ من قديم الزمان، في سائر الأصقاع والبلدان، يستعملون الأسانيد والإجازات، ويرونها من أنفس الطلبات؛ ويعتقدونها رأس مال الطالب، وأهم ما يسعى له المجد الراغب.

وكان أخذ العلم من أفواه الرجال، وتلقيه عنهم بأسانيد الاتصال؛ عصمة وأماناً من الضلال والإضلال، وقد قال في ذلك الشاعر محمد بن محمد بن محمد بن حسن الشمني المغربي:

مَنْ يَأْخُذِ الْعِلْمَ عَنْ شَيْخٍ مُشَافَهَةً يَكُنْ عَنِ الزَّيْبِ وَالتَّحْرِيفِ فِي حَرَمِ
وَمَنْ يَكُنْ آخِذًا لِلْعِلْمِ مِنْ كُتُبٍ فَعِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ كَالْعَدَمِ

ولأبي حيان الأندلسي الغرناطي:

أَمْدَعِيًا عِلْمًا وَلَسْتَ بِقَارِيٍّ كِتَابًا عَلَى شَيْخٍ بِهِ يَسْهُلُ الْحَزْنُ
أَتَزْعُمُ أَنَّ الذَّهْنَ يُوضِحُ مُشْكَلًا بِلا مُوضِحٍ كَلَّا، لَقَدْ كَذَبَ الذَّهْنُ
وَإِنَّ الَّذِي تَبْغِيهِ دُونَ مُعَلِّمٍ كَمَوْقِدٍ مِصْبَاحٍ وَلَيْسَ لَهُ ذَهْنُ

وقد قال الخطيب البغدادي في نصيحة أهل الحديث: (لا بد للمتفقه من أستاذ يدرس عليه ويرجع في تفسير ما أشكل إليه، ويتعرف منه طرق الاجتهاد، وما يفرق بين الصحة والفساد)^(١).

(١) نصيحة أهل الحديث (ص: ٤٣). ط: مطبعة المنار- الأردن- الزرقاء.

وفي شرح الحطاب لمختصر خليل: أن تلقي العلم من أفواه الرجال وأخذه بالإسناد عنهم هو أجل مطلوب وأعز مرغوب.
وقد كان مشايخ المحظرة الشنقيطية يقولون: الرواية هي أم الدراية، وأخذ العلم من أفواه الرجال لا من بطون الكتب، ويرددون أبيات أبي حيان:

يَظُنُّ الْعُمْرُ أَنَّ الْكُتُبَ تَهْدِي أَخَا فَهْمٍ لِإِذْرَاكِ الْعُلُومِ
وَمَا يَدْرِي الْجَهْلُ بَأَنَّ فِيهَا غَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الْفَهِيمِ
إِذَا رُمَتْ الْعُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ ضَلَلَّتْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
وَتَلْتَبِسُ الْأُمُورُ عَلَيْكَ حَتَّى تَكُونَ أَضَلَّ مِنْ «تُومَا» الْحَكِيمِ^(١)

ومن المأثور من أقوال الشناقطة قولهم: (من أخذ التوحيد من بطون الكتب خرج من الإسلام، ومن أخذ الفقه من بطون الكتب غير الأحكام، ومن أخذ النحو من بطون الكتب لحن في الكلام، ومن أخذ الطب من بطون الكتب قتل الأنام)^(٢).

والأسانيد من خصائص هذه الأمة، وقد عصم الله بها الدين من عوادي الفتن الملمة. فينبغي الاعتناء بها اقتداءً بالسلف وحفظاً للعلم الشريف من التحريف والتلف.

(١) تُومَا: (بالتاء مضمومة) اسم رجل كان يعتقد في نفسه أنه طبيب وهو جاهل. يحكى أنه وقف في كتاب على حديث «الحبة السوداء فيها شفاء من كل داء إلا الموت» فقرأه بالحياة السوداء بالياء المثناة مكان الباء الموحدة فطلب الحياة للدواء، فكان ذلك سبباً لدهاء أعظم مما كان يستشفي منه، فصار يقال فيه: «أضل من توما الحكيم». وفيه يقول بعض الشعراء:

قَالَ حَمَارُ الطَّبِيبِ تُومَا: لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبُ
لَأُتْنِي جَاهِلٌ بِسَيْطُ وَرَأَيْتُ جَاهِلٌ مُرَكَّبًا

(٢) وتنسب هذه المقولة لشمس الدين البساطي المالكي المتوفى: (٨٤٢هـ).

وفي «فهرس الفهارس» للكتاني نقلاً عن بعض أهل العلم أنه قال: (لا معول على من ظفر بالإجازة وأهملها، ولا التفات إلى من وهنّها وأبطلها)^(١)... أقول: لما كان ذلك كذلك؛ قررت أن أسلك تلك المسالك، لأندرج في سلك أولئك؛ وإن لم أكن من رجال ذلك، ولقد أحسن من قال:

فَتَشَبَّهُوا إِن لَّمْ تَكُونُوا مِنْهُمْ إِنَّ التَّشْبُهَ بِالْكَرَامِ قَلْحٌ

و«مَنْ تَشَبَهَ بِقِسْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(٢)، و«مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حَشَرَهُ اللَّهُ فِي زُمْرَتِهِمْ»، «هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^(٣). وقد قيل: حبيب الحبيب حبيب، وقريب القريب قريب.

ومما حداني إلى امتطاء هذا المركب، والتعلق بأذيال هذا المطلب، الرغبة في توثيق سنداننا في العلوم المحظرة، التي ظل عليها الاعتماد من أهل هذه البلاد الشنقيطية؛ وهي أئمن ما لديهم من كنز مستفاد، وأحسن ما عليهم من حلى مستجاد. فأخذت في جمع ما تيسر لي جمعه في هذا المقصد الأسنى والمورد الأهنأ.

فألفت من ذلك عجالة حاولت أن تفي بجمل المرام، إذ ليس من الممكن استيفاء ما فيه من الكلام؛ راجياً أن يكون فيما جمعته هنا خدمة للعلم وأهله، وتأدية لبعض الواجب من حق من سعى في إيصاله إلينا ونقله، من آبائنا في الدين، الذين حفظوا لنا هذا الكنز الثمين، وحافظوا على صفاء مورده المعين؛ على تعاقب العصور والدول، يأخذه الآخر منهم عن الأول، حتى أوصلوا إلينا

(١) فهرس الفهارس للكتاني (٩٢٦/٢). ط: دار الغرب الإسلامي.

(٢) فهرس الفهارس للكتاني (٩٢٦/٢). ط: دار الغرب الإسلامي.

(٣) فهرس الفهارس للكتاني (٩٢٦/٢). ط: دار الغرب الإسلامي.

جوهره المكنون، بالإسناد المتصل إلى خير القرون؛ فأبقوا بذلك حبل العلم ممدودا، والطريق إلى قطعه مسدودا؛ فلا يمنع من مستحقه ولا يؤخذ إلا بحقه؛ فجزاهم الله أحسن الجزاء وأعلى منازلهم في دار البقاء.

وقد بذلت الجهد في تصحيح هذا السند وتحقيقه، وجمع شتاته من مظانه وتوثيقه؛ وسقته مساق الأنساب في تسلسل مستطاب؛ وسط بين الإطناب والاقتضاب.

وسميته «إرشاد الطلاب البررة إلى بعض أسانيد شيوخ المحظرة».

وقسمته إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وفصلين، وملحق:

المبحث الأول: في لمحة مختصرة عن العقيدة الأشعرية وعلم السيرة النبوية.

المبحث الثاني: في كلمة موجزة عن الفقه والمذهب المالكي.

المبحث الثالث: في مكانة اللغة العربية وعلم النحو ونشأته.

الفصل الأول: في التعريف بأصحاب السند الفقهي.

الفصل الثاني: في التعريف بأصحاب السند النحوي.

وفي أثناء التعريف بأصحاب هذين السندين أذكر مراجع أخذ بعضهم عن بعض، مسلسلاً بدقة. أما الملحق: ففي ذكر بعض الأسانيد الفقهية والنحوية وبعض التعريف بأصحابها، تعزيزاً للسندين المذكورين.

وأخيراً أتمس المعذرة من كل ذي لب منصف فيما قد يقف عليه مما لا يخلو منه كاتب مصنف. ثم أقول وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق:



المقدمة

المقدمة

لقد أخذت جل ما لدي من العلوم الشرعية والآداب المرعية عن عدد من العلماء الأعلام، ممن تتزين بهم الليالي والأيام، وعلى رأسهم وفي مقدمتهم والدي وشيخي العلامة الكبير، الفقيه النحوي الأشعري الشهير، لمرابط محمد عالي ابن نعم العبد، تغمده الله برحماته وأسكنه فسيح جناته. وقد أجازني بنفس الإجازة التي أجازها بها شيخه البحر المورود، العلامة يحظيه بن عبد الودود؛ بدون طلب أو استشراف لها.

وهذا نص الإجازة التي أفادنيها، وسمط القلادة التي قلدنيها، وهي في الأصل بخط تلميذه الحبيب إليه، والمقرب لديه، الأستاذ محمد يحيى بن محمد محمود بن سيدي بن السعيد:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد، الحمد لله الكبير المتعال، الموصوف بجميع صفات الجلال والجمال، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، على سيدنا محمد خير بني عدنان.

وبعد فقد أجزتُ، وإن لم أكن أهلاً للإجازة، ولله در القائل:

وَلَسْتُ بِأَهْلٍ أَنْ أُجِيزَ وَإِنَّمَا قَضَى الْوَقْتُ يَرْقَى الدُّونُ مَرَقَى الْأَكَابِرِ،

تلميذي محمد يحظيه الشهير بـ«أباه» ابن نعم العبد، في جميع مسموعاتي ومروياتي ومقروءاتي، وجميع ما تجوز عني روايته وتصح لي وتنسب إلي درايته، من معقول ومنقول وفروع وأصول.

قيده محمد يحيى بن محمد محمود بن السعيد، بإملاء من محمد عالي بن نعم، بتاريخ: (١٣٩٣) هجرية.

مَا كُلُّ مَنْ زَارَ الْحِمَى سَمِعَ النَّدَا مِنْ أَهْلِهِ أَهْلًا بِذَلِكَ الزَّائِرِ

وأما الإجازة التي أجازها بها شيخه يحظيه فسيأتي نصها في ترجمته إن شاء الله.

وسأبدأ بذكر سند التوحيد والفقه والسيره، ثم سند النحو والصرف، اللذين يندرج فيهما سائر العلوم الشرعية الأصلية منها والفرعية.

(سند التوحيد والفقه والسيره)

أما التوحيد والفقه والسيره النبوية فقد قرأتها قراءة بحث وتحقيق على والذي وشيخي العلامة الفقيه المالكي الأشعري محمد عالي بن نعم العبد المجلسي الشنقيطي (ت: ١٤٠٩هـ)، عن شيخه شيخ الشيوخ العلامة الفقيه المالكي الأشعري يحظيه بن عبد الودود الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٥٨هـ)، عن شيخه العلامة الفقيه أحمد بن محمد بن محمد سالم المجلسي (ت: ١٣٠٩هـ)، عن والده وشيخه العلامة الفقيه المالكي الورع محمد بن محمد سالم الشنقيطي (ت: ١٣٠٢هـ)، عن شيخه الفقيه المالكي حامد بن أعمار البارتيلي الشنقيطي، عن شيخه الفقيه أحمد محمود بن ألفغ الخطاط (ت: ١٢١٧هـ)، عن والده وشيخه العلامة الصالح الفقيه المالكي عمر الملقب ألفغ الخطاط بن محمد بن عمر البارتيلي الشنقيطي (ت: ١١٩٦هـ)، عن شيخه الفقيه القاضي ابن اعلي أمم السباعي الشنقيطي (ت حوالي: ١١٢٠هـ)، عن شيخه شيخ الشيوخ العلامة الفقيه المالكي الفال بن بو الفال الحسن الشنقيطي (ت حوالي: ١٠٨٠هـ)، عن حافظ عصره المنفرد في عصره الفقيه المالكي أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن المصري الأجهوري (ت: ١٠٦٦هـ)، عن الإمامين شيخ المالكية

في عصره العلامة محمد شمس الدين بن سلامة البنوفري المصري (ت: ٩٩٨هـ) والفقيه المالكي عبد الكريم كريمة الدين بن ناصر الدين المصري البرموني (ت: ٩٩٨هـ)، كلاهما عن العلامة الزاهد الفقيه عبد الرحمن بن علي بن يوسف المصري الأجهوري (ت: ٩٦١هـ)، عن خاتمة المحققين الفقيه المالكي أبي عبد الله محمد ناصر الدين المصري اللقاني (ت: ٩٥٨هـ)، عن العلامة شيخ المالكية في عصره الإمام أبي الحسن علي نور الدين بن عبد الله بن علي المصري السنهوري (ت: ٨٨٩هـ)، عن العلامة المحقق قاضي القضاة الفقيه المالكي محمد شمس الدين بن أحمد بن عثمان المصري البساطي (ت: ٨٤٢هـ)، عن العلامة الحافظ الفقيه المالكي القاضي أبي البقاء بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز المصري الدميري (ت: ٨٠٥هـ)، عن الفقيه المالكي الورع حامل لواء المذهب في وقته أبي المودة خليل بن إسحاق المصري صاحب المختصر (ت: ٧٧٦هـ)، عن الشيخ الصالح العالم العامل الفقيه المالكي عبد الله بن محمد بن سليمان المصري المنوفي (ت: ٧٤٩هـ)، عن القدوة الفقيه المالكي أبي عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن الحاج العبدري الفاسي المصري (ت: ٧٣٧هـ)، عن العالم العلامة الفقيه المالكي أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي (ت: ٦٧٠هـ)، عن الإمام المحقق الفقيه المالكي الأشعري أبي العباس أحمد شهاب الدين بن إدريس بن عبد الرحمن المصري القرافي (ت: ٦٨٤هـ)، عن الإمام العالم العلامة الفقيه المالكي الأشعري أبي عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب المصري الدمشقي (ت: ٦٤٦هـ)، عن العلامة الفقيه المالكي الأصولي علي شمس الدين بن إسماعيل بن علي المصري الأبياري (ت: ٦١٦هـ)، عن إمام عصره وفريد مصره الفقيه المالكي

أبي طاهر إسماعيل بن مكّي بن إسماعيل بن عوف الزهري العوفي المصري (ت: ٥٨١هـ)، عن القدوة الزاهد الفقيه المالكي محمد بن الوليد المعروف بأبي بكر الطرطوشي المصري الإسكندري (ت: ٥٢٠هـ)، عن الإمام الحافظ القاضي الفقيه المالكي الأشعري أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي القرطبي (ت: ٤٧٤هـ)، عن العلامة المقرئ الفقيه المالكي أبي محمد مكّي بن أبي طالب بن محمد بن مختار القيسي القيرواني القرطبي (ت: ٤٣٧هـ)، عن العلامة القدوة الفقيه المالكي أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة (ت: ٣٨٦هـ)، عن الإمام الزاهد الفقيه المالكي مفتي المغرب أبي بكر محمد بن محمد بن وشاح المعروف بابن اللبّاد القيرواني (ت: ٣٣٣هـ)، عن الإمام القدوة الفقيه المالكي المحدث مجاب الدعوة أبي زكرياء يحيى بن عمر بن يوسف الأندلسي القيرواني (ت: ٢٨٩هـ)، عن الإمامين العلامة الورع فقيه المغرب القاضي المالكي عبد السلام بن سعيد بن حبيب الملقب سحنون القيرواني صاحب المدونة (ت: ٢٤٠هـ) والعلامة القدوة الفقيه المالكي مفتي الأندلس أبي مروان عبد الملك بن حبيب القرطبي (ت: ٢٣٨هـ)، كلاهما عن الإمامين الفقيه المالكي عالم الديار المصرية ومفتيها أبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري (ت: ١٩١هـ) والعلامة الفقيه المالكي أبي عمر مسكين بن عبد العزيز الملقب أشهب المصري (ت: ٢٠٤هـ)، كلاهما عن حجة الأمة وإمام الأئمة وعالم دار الهجرة صاحب المذهب الفقهي المشهور الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الحميري الأصبحي المدني (ت: ١٧٩هـ)، الآخذ عن غير واحد من علماء وأكابر التابعين وتابعي التابعين؛ ومن بين من أخذ عنه من التابعين عالم المدينة ومفتيها في زمنه أبو عبد الله نافع مولى ابن عمر وصاحب روايته

(ت: ١١٧هـ) وعالم الوقت الحافظ الفقيه ربيعة بن أبي عبد الرحمن المدني المشهور بريعة الرأي (ت: ١٣٦هـ)، وتفقه نافع على شيخ الإسلام الصحابي ابن أمير المؤمنين عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي (ت: ٧٣هـ)، وتفقه ربيعة الرأي على خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك الأنصاري التجاري (ت: ٩٣هـ). وقد عُرف كل من عبد الله بن عمر وأنس بن مالك من بحر سيد المرسلين أبي القاسم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، وشرفًا بصحبته. وقد عُرف ابن عمر بشدة الحرص على اتباعه والاقتداء به ﷺ. كما سعد أنس بخدمته وملازمته، وكانا من المكثرين في الرواية عنه ﷺ، كما كانا من آخر الصحابة موتًا رضوان الله عليهم أجمعين.

(سند النحو والصرف واللغة)

وأما النحو والصرف واللغة فقد أخذتها دراسة وتحقيقًا عن شيخي ووالدي العلامة النحوي محمد عالي ابن نعم العبد، عن شيخي العلامة النحوي يحظيه بن عبد الودود، عن شيخي العلامة النحوي اللغوي الحسن بن زين بن سيد اسليمان القناني الشنقيطي (ت: ١٣١٥هـ)، عن شيخي العلامة النحوي عبد الودود بن عبد ال (عبد الله) الحبيلي (ت: ١٢٦٥هـ)، عن شيخي العلامة النحوي اللغوي عبد الله الملقب بُلَّا بن الفال الحسني الشقروي الشنقيطي (ت: ١٢٧٣هـ)، عن شيخي شيخ الشيوخ العلامة النحوي المختار بن بونا الجكني (ت: ١٢٢٠هـ)، عن العلامة النحوي الأديب اللوذعي سيدي عبد الله بن محمد بن القاضي المشهور بولد رازگه العلوي (ت: ١١٤٤هـ) عن العلامة النحوي أبي عبد الله محمد بن المختار بن الأعمش (بَلْعَمَش) العلوي الشنقيطي (ت: ١١٠٧هـ)، عن الإمامين الجليلين أبي محمد الحاج عبد الله

بن محمد العلوي، وأبي العباس أحمد بن أحمد العلوي؛ كلاهما عن العلامة أحمد بن محمد بن يعقوب الحاجي الوداني عن العلامة الحاج أحمد المسك بن الحاج أحمد (ت: ٩٩١هـ)، عن العلامة محمود بن عمر بن محمد أقيت (ت: ٩٥٥هـ)، عن العلامة الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت السوداني الماسني (ت: ٩٤٢هـ)، عن العلامة النحوي علي نور الدين بن محمد بن عيسى المصري الأشموني (ت: ٩١٨هـ)، عن العلامة النحوي أبي عبد الله محيي الدين بن سليمان الكافيحي المصري (ت: ٨٧٩هـ)، عن العلامة النحوي محمد بن حمزة بن محمد الرومي المعروف بابن الفَنَري (ت: ٨٣٤هـ)، عن العلامة النحوي محمد أكمل الدين بن محمود الحنفي المصري (ت: ٧٨٦هـ)، عن العلامة النحوي أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي (ت: ٧٤٥هـ)، عن العلامة النحوي محمد بهاء الدين بن إبراهيم المعروف بابن النحاس المصري الحلبي (ت: ٦٩٨هـ)، عن الإمام العالم العلامة النحوي أبي عبد الله محمد ابن مالك الطائي الأندلسي الجياني الدمشقي، صاحب الألفية في النحو واللامية في الصرف والمقصود والممدود في اللغة (ت: ٦٧٢هـ)، عن العلامة النحوي أبي عبد الله محمد بن عبد الله المرسي (ت: ٦٥٥هـ)، عن العلامة النحوي عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الأزدي الإشبيلي المعروف بالشلوبين (ت: ٦٤٥هـ)، عن العلامة النحوي السيري أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي المالقي السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، عن العلامة النحوي سليمان بن محمد المعروف بابن الطراوة المالقي (ت: ٥٢٨هـ)، عن العلامة النحوي اللغوي يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم الشتمري القرطبي (ت: ٤٧٦هـ)، عن الإمام النحوي أبي القاسم إبراهيم بن محمد الإفليلي الأندلسي

القرطبي (ت: ٤٤١هـ)، عن العلامة النحوي أبي عبد الله محمد بن عاصم القرطبي (ت: ٣٨٢هـ)، عن العلامة النحوي أبي عبد الله محمد بن يحيى الأندلسي الرباحي (ت: ٣٥٣هـ)، عن العلامة النحوي أبي جعفر بهاء الدين بن محمد بن إسماعيل بن يونس المعروف بابن النحاس المصري (ت: ٣٣٨هـ)، عن العلامة النحوي أبي إسحاق بن السري بن سهل المعروف بالزجاج البغدادي (ت: ٣١١هـ)، عن العلامة النحوي محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرد الشمالي البصري (ت: ٢٨٥هـ)، عن العلامة النحوي أبي عثمان بن محمد بن حبيب المازني البصري (ت: ٢٤٨هـ)، عن العلامة النحوي سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط البصري (ت: ٢١١هـ)، عن إمام النحاة سيبويه عمرو بن عثمان النحوي (ت: ١٨٠هـ)، عن شيخ النحاة الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، عن العلامة النحوي القارئ أبي عمرو بن العلاء المازني البصري (ت: ١٥٤هـ)، عن العلامة النحوي نصر بن عاصم الليثي البصري (ت: ٨٩هـ)، عن الفقيه القارئ القاضي أبي الأسود الدؤلي البصري (ت: ٦٩هـ)، عن الخليفة الراشد باب مدينة العلم أبي السبطين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (ت: ٤٠هـ).

هذا وقد رأيت من باب الخدمة لمشايعنا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء والصلة الواصلة بيننا وبين سيد الأولين والآخرين؛ المبلغ عن رب العالمين، أن أقدم بعض التعريف المختصر بهؤلاء السادة الغرر؛ لما في ذلك من الإفادة والبرهان على اتصال الأخذ عن شيوخ الفن المجلين في الميدان، من جيل إلى جيل عبر الحقب والأزمان لحاجة الفرع إلى أصل يستند إليه، وحاجة البناء إلى أساس يقوم عليه؛ وحاجة الخلف إلى اتباع نهج السلف.

فقد قال ابن فرحون في مقدمة كتابه «الديباج»: (ويعد: فإن أولى ما أتحف به الطالب اللبيب ودون للأديب الأريب، التعريف بحال من جعل تقليده بينه وبين الله تعالى حجة، واتخذ اقتفاء هديه في الحلال والحرام أوضح محجة، ثم حال الرواة عنه والناقلين عنهم)^(١).

وفي «فهرس الفهارس» للكتاني عند الكلام على ثبوت الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة: (إن أولى الناس بالإحياء بالذكر من كان أصل سيادتك وسبب سعادتك ودليل رشدك وهدايتك). ثم قال: (إن فضيلة التاريخ تظهر في شيئين: في حفظ الأفاضل وإعطاء كل ذي حق حقه؛ وفي حفظ أسانيد الرواية، حتى لا ترى لغير أهلها مستحقه). ثم قال: (ومن شأن الطالب النبيه الفحص عن ذلك حتى لا يقع في الخطأ...)^(٢).

وقد جعل الله مشايخ العلم الشرعي ورثة أنبيائه، وحفظة شرعه وأمناءه الذابين عن حماه بسيوف علومهم، الذائدين عن حياضه بسهام فهمهم، الحافظين له على تعاقب الأجيال، بما بثوه من علم في صدور الرجال، وأثبتوه في السطور في كل مجال؛ فأسدوا إلى الأمة أعظم المعونة وكفؤا من جاء بعدهم المؤونة.

وقد قال الإمام أحمد ابن حنبل: (العلماء هم خلفاء الرسول ﷺ في أمته، وورثته في حكمته، والمحيون لما مات من سنته؛ فيهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا؛ قيصهم الله لحفظ الدين، ولولا ذلك لبطلت الشريعة وتعطلت أحكامها)^(٣).

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: مقدمة المؤلف (١/١). ط: دار التراث للطبع والنشر - القاهرة.

(٢) فهرس الفهارس للكتاني (٩٢٣/٢).

(٣) الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي: مقدمة المؤلف.

وقد قيل: أهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل؛ ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.

ولقد أحسن من قال:

وَمَا عَبَّرَ الْإِنْسَانُ عَنْ فَضْلِ نَفْسِهِ بِمِثْلِ اعْتِقَادِ الْفَضْلِ فِي كُلِّ فَاضِلٍ
وَإِنَّ أَشَدَّ النَّقْصِ أَنْ يَرْمِيَ الْفَتَى قَدَى الْعَيْنِ عَنْهُ بِإِنْتِقَاصِ الْأَفْضَلِ

وقد قال الحطاب في مقدمة «مواهب الجليل» نقلاً عن الإمام النووي، موضحة أهمية معرفة سلسلة تلقي الفقه عن الأشياخ: (وهذا من المطلوبات المهمات، والنفائس الجليلات، التي ينبغي للفقهاء والمتفقه معرفتها ويقبح به جهالتها؛ فإن شيوخ هذا العلم آباء في الدين، ووصلة بينه وبين رب العالمين؛ وكيف لا يقبح جهل الأنساب، والوصلة بينه وبين ربه الكريم الوهاب؛ مع أنه مأمور بالدعاء لهم وبرهم وذكر مآثرهم والثناء عليهم والشكر لهم)^(١).

ومن نظم العلامة مَمُّ بن عبد الحميد لسيرة شيخه يحظيه:

شُيُوخُ هَذَا الْعِلْمِ آبَاءُ الْوَرَى فِي الدِّينِ فَالْجَهْلُ بِهِمْ قُبْحًا يُرَى
وَقَدْ أَمَرْنَا بِالْدُّعَاءِ وَالثَّنَا وَالْبِرِّ وَالشُّكْرِ لِمَنْ عَلَّمَنَا
وَذَكَرْنَا مَآثِرَ الشُّيُوخِ مُعَلِّمِي الدِّينِ أُولِي الرُّسُوخِ
حَسَبَمَا نَسَبَهُ الْحَطَّابُ إِلَى النَّوَاوِيِّ فَيَسْتَطَابُ
قُلْتُ وَفِي هَذَا الْمَقَامِ قِيلاً مُسْتَوْجِبٌ ثَنَائِي الْجَمِيلَا
أَحْسِنُ إِلَى الشَّيْخِ وَفِيهِ أَطْلِقُ حَضَرَ أَوْ سَافَرَ، مَاتَ أَوْ بَقِيَ

(١) مواهب الجليل (٤/١). ط: دار الرضوان - نواكشوط - موريتانيا.

وَأَنْصُرُ وَجَابِبَ عَنْهُ مَنْ قَوْلًا أَسَا وَإِنْ عَجَزْتَ فَلْتَنَاءِ الْمَجْلِسَا
وَمَنْ إِلَيْهِ كَقَرِيبٍ يُنْسَبُ كَذَلِكَ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ يُطَلَّبُ
«تَوَاضَعُوا لِمَنْ»^(١) حَدِيثَ الْهَادِي نَقَلَهُ كُنُونٌ فِي الْجِهَادِ
فَرِحَ اللَّهُ الْمُعَلِّمِينَ لَنَا وَمَنْ نَشَرَهُذَا الدِّينَا

وجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء.

هذا وقبل الشروع في التعريف بأصحاب السند التوحيدي والفقهي لا بأس

بتقديم نبذة موجزة عن علوم العقيدة والسيرة النبوية والفقهاء.

فأقول وبالله التوفيق:

(١) يشير إلى حديث «تواضعوا لمن تعلمون منه، وتواضعوا لمن تعلمونه ولا تكونوا جبابرة العلماء». رواه الخطيب البغدادي، وضعفه الألباني «في ضعيف الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير».



المبحث الأول
لمحة مختصرة عن العقيدة الأشعرية
وعلم السيرة النبوية

المبحث الأول

لمحة مختصرة عن العقيدة الأشعرية والسيرة النبوية

١ - العقيدة:

أما عن العقيدة؛ فإن أول ما يجب على الإنسان بعد بلوغه تصحيح إيمانه وإصلاح عقيدته؛ لأنها أساس الدين، ولا قيمة لأي عمل دونها. ولقد كان علم العقيدة علماً قرآنياً؛ لأنه مبسوط في كلام الله تعالى بذكر العقائد وذكر النبويّات والسّمعيّات، مذكور في آيات كثيرة مبينة للعقائد وبراهينها. ولقد نشأ عن البحث في العقيدة علمٌ يسمّى علم الكلام وعلم أصل الدين، وكان لنشأته أسباب، من أهمها: الفرق الإسلامية التي أخذت تختلف في كثير من القضايا، وكان من بين تلك الفرق فرقة عُرفت بالمعتزلة، شاع مذهبها الفاسد وعلت كلمتها، فبرز إلى جانبه مذهب أهل السنة والجماعة، الذي قام بنصره والدفاع عنه الإمام الحافظ أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل^(١) بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، صاحب رسول الله ﷺ.

وكان أبو الحسن الأشعري هذا من الأئمة المتكلمين المجتهدين، وكان أولاً قد تلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم، وصار يقصدهم في مجالسهم لمناظرتهم وإقامة الحجج عليهم بإثبات السنن، وما نفوه من صفات الله تعالى، وألّف العديد من التأليف في ذلك، قيل بلغت مُصنّفاته ثلاثمائة كتاب، فكان هو الذي دون علم العقائد، وهذب مطالبه، ونقح مشاربه، وقرر أدلته، ونفى عنه الشُّبه. ولما ظهر ذبه عن الدين والعقيدة

(١) ولد أبو الحسن الأشعري بالبصرة سنة: (٢٦٠هـ)، وتوفي في بغداد سنة: (٣٢٤هـ).

تعلق أهل السنة بكتبه وكثر أتباعه فسموا بـ «الأشعرية» و«الأشاعرة» نسبة إليه.

وقد قال تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: (واعلم بأن أبا الحسن لم يتدع رأياً ولم ينشئ مذهباً؛ وإنما هو مقرر لمذاهب السلف، مناضل بما كانت عليه صحابة رسول الله،؛ فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقاً وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به في ذلك السالك سبيله في الدلائل يسمى «أشعرياً»^(١)).

وقد قال العزبن عبد السلام في فتاويه في مسألة التأويل عند الأشاعرة: (ليس الكلام في هذا -يعني التأويل- بدعة قبيحة؛ وإنما الكلام فيه بدعة حسنة واجبة لما ظهرت الشبهة؛ وإنما سكت السلف عن الكلام فيه إذ لم يكن في عصرهم من يحمل كلام الله وكلام رسول الله على ما لا يجوز حمله عليه، ولو ظهرت في عصرهم لكذبوهم وأنكروا عليهم غاية الإنكار؛ فقد رد الصحابة والسلف على القدرية لما أظهروا بدعتهم ولم يكونوا قبل ظهورهم يتكلمون في ذلك)^(٢).

وقال إمام الحرمين الجويني: (لو بقي الناس على ما كانوا عليه لم نأمر بالاشتغال بعلم الكلام؛ وأما الآن فقد كثرت البدع فلا سبيل إلى ترك أمواج الفتن تلتطم)^(٣).

وفي نهاية المطالب تعليقات على ثبت الأمير الكبير «سد الأرب لمحمد ياسين بن عيسى الفاداني»، قال: ذكر ابن حزم أن لأبي الحسن الأشعري خمسة وخمسين تصنيفاً؛ منها كتاب «الإبانة في أصول الديانة» وهو آخر كتاب صنفه،

(١) طبقات الشافعية (٢/٢٥٤).

(٢) كتاب الفتاوى (ص: ٥٦) المسألة (٢٣) ط: دار المعرفة - بيروت - لبنان.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي القاري (١/١٦٢).

وقد ساق عقيدته فيها، قال الحافظ ابن عساكر بعد أن ساق عقيدته: (فتأملوا رحمكم الله هذا الاعتقاد ما أوضحه وأبينه، واعترفوا بفضل هذا العالم الذي شرحه وبينه)^(١).

ثم قال: (إن أصحاب الأشعري يعتقدون في «الإبانة» أشد الاعتقاد، ويعتمدون عليها أشد الاعتماد، وإنهم يثبتون لله سبحانه ما أثبتته لنفسه من الصفات، ويصفونه بما اتصف به في محكم الآيات، وبما وصفه به نبيه ﷺ في صحيح الروايات، وينزهونه عن سمات النقص والآفات، فإذا وجدوا من يقول بالتجسيم والتكييف فهم يسلكون طريق التأويل؛ خوفاً من وقوع من لا يعلم في ظلم التشبيه، فإذا آمنوا من ذلك رأوا أن السكوت أسلم، وترك الخوض في التأويل إلا عند الحاجة أحزم)^(٢).

هذا وقد دخلت العقيدة الأشعرية المغرب الإسلامي في عصر مبكر على أيدي علماء كبار، أخذها عنهم تلامذتهم، ثم انتشرت بعد ذلك في عموم المنطقة.

وقد اعتمد الشناقطة في عقيدتهم الأشعرية على عدة مؤلفات، منها: مؤلفات السنوسي: «الكبرى» و«الوسطى» و«الصغرى»، وعقيدة ابن أبي زيد القيرواني في «الرسالة»، وعقيدة عبد الواحد بن عاشر في «المرشد المعين»، و«إضاءة الدجنة في عقيدة أهل السنة» للمقري، ثم «وسيلة السعادة» للعلامة ابن بونا، ثم نظم «الواضح المبين» وشرحه للعلامة عبد القادر بن محمد بن محمد سالم... وغيرها.

(١) تبين كذب المفترى فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري للحافظ ابن عساكر (ت: ٥٧١) (١٦٣/١)، ط. دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٤هـ).

(٢) تبين كذب المفترى فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري للحافظ ابن عساكر (ت: ٥٧١) (٣٨٨/١)، ط. دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٤هـ).

٢- السيرة:

وأما علم السيرة النبوية فهو من أجل العلوم شأنًا، وأصفاها مشربًا، وأعلاها درجة، وأفضلها منزلة، وأوضحها محجة؛ وكيف لا وهو في فلك النبوة يدور، ومن مطالعه تشرق الشمس والبدور، ومن منابعه تستمد الأنهار والبحور، وبه يعرف الحبيب المصطفى ﷺ وكفى، فهو كعبة العلوم ومروتها والصفاء؛ فمن لم يعرف رسول الله ﷺ بعين النظر والعيان، فلن يعرفه إلا بالوصف والبيان، ولا يمكنه ذلك إلا بدراسة السيرة النبوية، التي تتجلى فيها تفاصيل حياته المطهرة، وملامح ذاته وصفاته النيرة، فإذا درس سيرته المشرفة عرفه حق المعرفة، وذلك ينتج خالص المحبة الذي هو شرط الإيمان «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»^(١) ويضدها تتبين الأشياء، وما ظهر ما ظهر من الإساءة إلى الجناب النبوي، والتطاول على المقام المصطفوي، إلا بسبب الجهل بعلم السيرة الشريف، وما له من قدر منيف.

ويعلم السيرة النبوية كذلك يعرف الكثير من معاني كتاب الله العزيز، والسنة النبوية القولية والفعلية؛ فالسنة النبوية والسيرة المطهرة علمان متكاملان لا ينفصلان؛ وذلك أن الكثير مما ورد في السيرة دون ذكر إسناده وتصحيحه جاء في الحديث مسندًا مصححًا، كما أن الكثير من الأحاديث المجملة والمختصرة جاء في السيرة مفصلاً موضحًا.

وعلم السيرة هو أساس العلوم الشرعية؛ وخصوصًا الفقهية منها والعربية.

وللعامة السيري حماد بن الأمين في وصيته المشهورة:

.....
.....
.....
وَالْعِلْمُ نِعْمَ الْمُقْتَنَى وَالْمُقْتَنَى

(١) صحيح البخاري الحديث (رقم: ١٥).

طَلَبُهُ فَرِيضَةٌ وَأَفْرَضُوهُ عِلْمٌ مُهِمٌّ كَ بِهِ ابْدَأْ تَقْبِضُهُ
فَقُوَّتُهُ الْفِقْهُ وَمِلْحَهُ الَّذِي يُصْلِحُهُ النَّحْوُ جَهُولُهُ انْبِذْ
وَأُسُّهُ إِدَامُهُ تَحْقِيقُهُ سِيرَةٌ خَيْرٌ وَاجِبٌ تَصْدِيقُهُ

كما أن بهذا العلم أيضاً تعرف فضائل أهل بيته عليهم السلام، وشرف قبيلته، وعلو منزلة صحابته الذين آمنوا به، وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، فرضي الله عنهم ورضوا عنه.

ومما يميز سيرته عليه السلام: أنها أصح سيرة نبي مرسل وقائد مصلح؛ فقد وصلت إلينا عن أصح الطرق وأقواها ثبوتاً، مما لا يدع مجالاً للشك في وقائعها البارزة وأحداثها الكبرى، كما تميزت بالوضوح التام، ونقل التفاصيل المتعلقة بحياته عليه السلام، من قبل مولده، إلى حين انتقاله إلى الرفيق الأعلى، مما جعل بعض النقاد الغربيين يقول: (إن محمداً عليه السلام هو النبي الوحيد الذي ولد في ضوء الشمس)^(١).

فتعين على المسلم أن يدرس سيرة نبيه الكريم عليه السلام، بجميع جوانبها؛ حتى يعرف ما خصه الله به من الفضائل والتكريم، وما جبله عليه من الخلق العظيم، الجامع لكل الفضائل والكمالات البشرية، مما لم يجتمع مثله في شخص بمفرده، ولا في مجتمع بعدته وعدده.

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

وكان خلقه عليه السلام تجسيداً عملياً لما جاء في القرآن الكريم، ولذلك قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها -لما سئلت عن خلقه عليه السلام-: «كان خلقه القرآن»^(٢).

(١) السيرة النبوية دروس وعبر، لمصطفى السباعي (ص: ١٧). الناشر: المكتب الإسلامي.
(٢) أخرجه أحمد (رقم: ٢٥٨١٣) واللفظ له، وأبو يعلى (رقم: ٤٨٦٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (رقم: ٤٤٣٥) مطولاً.

وبعلم السيرة أيضاً يتسنى التأسى به ﷺ الذي جاء الأمر به ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١) ﴿ (الأحزاب). وهو وسيلة لطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ: ﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (٨٠) ﴿ (النساء)، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٣٢) ﴿ (آل عمران).

ولا سبيل إلى طاعة الله إلا بتوحيده ومعرفته، كما أنه لا سبيل إلى طاعة رسوله ﷺ إلا باتباعه ومعرفة سيرته.

هذا وقد اعتنى الصحابة والتابعون ومن بعدهم بتعلم علم السيرة النبوية وتعليمها؛ فقد كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يسألان خالهما هند بن أبي هالة عن صفات النبي ﷺ ويحفظانها، وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعلم بنيه سيرة النبي ﷺ، ومغازيه وسراياه، ويقول: (يا بني هذه شرف آبائكم فلا تنسوها)^(١)، وكان علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما يقول: (كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن)^(٢)، وكان محمد بن سعد بن أبي وقاص يعلم بنيه المغازي والسرايا ويعدّها عليهم، وقد عكف السلف والخلف على دراسة السيرة وتدريسها وتدوينها، واعتبروها أفضل العلوم بعد علم التوحيد؛ لفضل مدلولها الذي هو معرفة النبي ﷺ.

وبدأ تدوينها والتأليف فيها في عهد مبكر من زمن التابعين وتابعيهم وهلم جرّاً.. وبما أن المؤلفين في فن السيرة لا يمكن حصرهم بأي وجه؛ فإني أذكر هنا نماذج منهم عبر القرون المتعاقبة، وأخص منهم أصحاب مراجع الشيخين السيريين: العلامة أحمد البدوي بن محمدا بن أبي أحمد، وابن أخيه العلامة

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (١٩٥/٢).

(٢) المصدر السابق.

حماد بن الأمين بن محمدا المجلسيين، اللذين كانا ضمن سلسلة مشايخي في السيرة النبوية، فأقول:

لقد كان ممن ألف في السيرة في القرن الأول الهجري عروة بن الزبير بن العوام القرشي (ت: ٩٣هـ)، وأبان بن عثمان بن عفان الأموي (ت: ١٠١هـ)، وفي ق (٢هـ)، ابن شهاب الزهري (ت: ١٢٤هـ)، ومحمد بن إسحاق (ت: ١٥١هـ)، وفي ق (٣هـ)، ابن هشام (ت: ٢١٣هـ)، ومصعب الزبيري (ت: ٢٣٦هـ)، وابن أخيه الزبير بن بكار، وفي ق (٤هـ)، أبو الحسن المسعودي صاحب مروج الذهب (ت: ٣٤٦هـ)، وفي ق (٥هـ)، ابن عبد البر صاحب الاستيعاب (ت: ٤٦٣هـ)، وفي ق (٦هـ)، السهيلي صاحب الروض الأنف (ت: ٥٨١هـ)، وفي ق (٧هـ)، ابن قدامة المقدسي صاحب الاستبصار (ت: ٦٢٠هـ)، وابن الأثير صاحب أسد الغابة (ت: ٦٦٣هـ)، وفي ق (٨هـ)، ابن سيد الناس اليعمري صاحب عيون الأثر (ت: ٧٣٤هـ)، وابن كثير صاحب السيرة النبوية والبداية والنهاية (ت: ٧٧٤هـ)، وفي ق (٩هـ)، العسقلاني صاحب الإصابة (ت: ٨٥٢هـ)، والقلقشندي صاحب نهاية الأرب وصبح الأعشى (ت: ٨٢١هـ)، وفي ق (١٠هـ)، القسطلاني صاحب المواهب اللدنية (ت: ٩٢٣هـ)، وفي ق (١١هـ)، نور الدين علي بن إبراهيم الحلبي صاحب السيرة الحلبية (ت: ١٠٤٤هـ)، وفي ق (١٢هـ)، الزرقاني شارح المواهب (ت: ١١٢٢هـ)، ومحمد اليدالي الديرمانى صاحب الحلة السيرا (ت: ١١٦٦هـ)، وأحمد البدوي المجلسي صاحب نظمي عمود النسب، والغزوات (ت: ١٢٠٨هـ).

وقد أخذ عن أحمد البدوي هذا ابن أخيه تلميذه المقرب لديه الذي أمره بشرح أنظامه في السيرة؛ الشيخ حماد بن الأمين بن محمدا (ت: ١٢٥٦هـ)،

وقد درّستُ أنظام أحمد البدوي من خلال مطالعة شروح حمادٍ لها، ودرّستها للطلاب، وقد أخذ عن حماد هذا العالم السيري الشاعر سيد أحمد بن الشيخ بن لمام بن محمدا المجلسي (ت: ١٣٠٥ هـ)، وعن سيد أحمد هذا أخذت بنته العالمة السيرية فاطمة بنت سيد أحمد (ت: ١٣٧٦ هـ)، وعن فاطمة أخذ حفيدها العلامة السيري الباحث محمد يحيى بن سيد أحمد المجلسي حفظه الله.

ومحمد يحيى هذا صديقي وزميلي في الدراسة على الشيخ محمد عالي بن نعم، وقد أجازني في مسموعاته ومروياته، وخصوصاً في علم السيرة النبوية، وبالأخص في أنظام جده العلامة السيري أحمد البدوي بن محمدا، وأنظام العلامة الرباني محمد فال بن متالي، وقد قال في ذلك: ^(١)

يَا شَيْخَنَا نَجَلَهُ ذَا الْقَوْسِ بَارِيهَا	أَخَا الْمَكَارِمِ بَانِيهَا وَحَامِيهَا
ذَا «الرَّوْضُ» ^(١) أَهْدِيهِ تَكْرِيماً لِحَضْرَتِكُمْ	إِنَّ الْهَدَايَا عَلَى مِقْدَارِ مُهْدِيهَا
عُمُرْتُمْ وَأَحَادِيثُ الثَّنَاءِ لَكُمْ	لِلْحُسْنِ يَرْفَعُهَا فِي النَّاسِ رَاوِيهَا
تَأْوِي إِلَيْكُمْ بُغَاةَ الْعِلْمِ رَاغِبَةٌ	فِي الْأَخْذِ عَنْكُمْ أَفَاصِيهَا أَدَانِيهَا
وَكَعْبُكُمْ فِي الْعُلَى فَوْقَ السَّمَاءِ كَمَا	قَدْ كَانَ شَيْخُكُمْ فِي النَّاسِ عَلِيهَا
وَفِي الْخِتَامِ أَحْيِيكُمْ وَلَا بَرِحَتْ	لَكُمْ مِّنَ الرَّتَبِ الْعُلْيَا أَعَالِيهَا
وَقَدْ أَجْرَتْكُمْ طَبَقًا لِرَغْبَتِكُمْ	فِي سِيرَةِ الثُّورِ خَافِيهَا وَبَادِيهَا
عَلَيْهِ أَرْكَى صَلَاةً لَا انْتِهَاءَ لَهَا	مَا أَطْرَبَ الْعَيْسَ بِالْأَنْعَامِ حَادِيهَا

والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) كان حفظه الله قد أرسل إلي كتاب «الروض الأتف» في شرح السيرة النبوية لابن هشام، هدية، وذلك بمناسبة انتهائي من تأليف «رياض السيرة والأدب في إكمال شرح عمود النسب»، وأرسل معه هذه الأبيات.



المبحث الثاني
لمحة موجزة عن
الفقه والمذهب المالكي

المبحث الثاني

لمحة موجزة عن الفقه والمذهب المالكي

يعتبر الفقه عماد الحق، ونظام الخلق، ووسيلة السعادة الأبدية، ولباب الرسالة المحمدية؛ من تحلّى بلباسه فقد ساد، ومن بالغ في ضبط معالمه فقد شاد، ومرتبة الفقه في علوم الدين لا تحتاج إلى التبيين، ويكفي في ذلك قول النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١).

وقد قال الحطاب في مقدمة شرحه «مواهب الجليل»: (وبعد فخير العلوم وأفضلها، وأقربها إلى الله وأكملها، علم الدين والشرائع، المبين لما اشتملت عليه الأحكام الإلهية من الأسرار والبدائع؛ إذ به يعلم فساد العبادة وصحتها، وبه يتبين حل الأشياء وحرمتها، ويحتاج إليه جميع الأنام، ويستوي في الطلب به الخاص والعام؛ فهو أولى ما أنفقت فيه نفائس الأعمار، وصرفت إليه جواهر الأفكار، واستعملت فيه الأسماع والأبصار).

وفي «ربيع الأبرار» للزمخشري: (سأل رجل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال فقال: «الْعِلْمُ بِاللَّهِ وَالْفِقْهُ فِي دِينِهِ» وكررها عليه، فقال: يا رسول الله أسألك عن العمل فتخبرني عن العلم؛ فقال: «إِنَّ الْعِلْمَ لَيَنْفَعُكَ مَعَهُ قَلِيلُ الْعَمَلِ وَكَثِيرُهُ، وَإِنَّ الْجَهْلَ لَا يَنْفَعُكَ مَعَهُ قَلِيلُ الْعَمَلِ وَلَا كَثِيرُهُ»^(٢)...) انتهى.

هذا ومن المعلوم ضرورة أن مصادر التشريع الإسلامي أربعة، هي: القرآن والسنة والإجماع والقياس، ولما كان استنباط الأحكام الشرعية، من هذه المصادر المذكورة، مختصاً بالفقهاء المجتهدين وجب على غيرهم ممن ليست له أهلية

(١) متفق عليه، البخاري (رقم: ٧١)، ومسلم (رقم: ١٠٣٧).

(٢) أخرجه الحكيم في «نوادير الأصول» (١٠١/٤)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢١٤) باختلاف يسير.

الاستنباط الاعتماد عليهم، ورد الأمر إليهم؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴾ (٤٣) (النحل).

وقد عرف عن أهل الحجاز أنهم كانوا لا يفتون فيما لم يرد فيه نص، ويعتبرون الأعمال التي أجمع أهل المدينة على القيام بها مصدرًا من مصادر التشريع؛ لأن الرسول ﷺ عاش بينهم آخر فترة حياته، وأكثر أيام بعثته تشريعًا، فشاهدوه عن كتب، واقتبسوا أعماله وأفعاله، ولاسيما آخرها؛ فروايتهم أرجح لأجل أنهم بالدين أقعد، وأنهم شاهدوها فصار نقلهم لها^(١) كالتواتر لها؛ إذ ينقل أبناؤهم عن آبائهم، وأخلافهم عن أسلافهم الأحكام والسنن النقل المتواتر بسبب جمع الدار لهم ولأسلافهم، فيخرج المسند عن حيز الظن والتخمين، إلى حيز العلم واليقين.

وقد كان عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- يكتب إلى الأمصار يعلمهم السنن والفقهاء، ويكتب إلى أهل المدينة يسألهم عما مضى، وأن يعملوا بما عندهم، وقد همَّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن يخطب في الناس في الموسم ردًا على كلام سمعه فيه، فقال له عبد الرحمن بن عوف: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإن الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاءهم، وإنهم الذين يغلبون على مجلسك إذا قمت في الناس؛ فأخشى أن تقول مقالة يطير بها أولئك فلا يعوها ولا يضعوها على موضعها، ولكن حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة، وتخلص بعلماء الناس وأشرفهم، فتقول ما تقول متمكنًا، فيعوا مقالتك، ويضعوها مواضعها... الخ، فامثل عمر رأي عبد الرحمن رضي الله عنهما.

(١) راجع تفسير ابن العربي، ورسالة مالك إلى الليث بن سعد.

هذا ولم يكن أهل المدينة يفتون إلا فيما وقع من الأمور، بعكس أهل العراق وعلى رأسهم أبو حنيفة -رحمه الله-؛ فإنهم بحثوا الأمور بحثاً علمياً مجرداً، سواء وقعت الحوادث فعلاً أم لم تقع، وعلى هذا تعددت المذاهب الفقهية وتنوعت، وظهر عدد من علماء الفقه اختلفوا في الحكم على الأمور، وصار الناس يتبعون آراء العلماء، مثل: الحسن البصري، والأوزاعي، والثوري، وغيرهم، إلا أن هذه المذاهب استقرت على أربعة مذاهب بارزة، نسبت إلى أربعة علماء، هم: الإمام أبو حنيفة، والإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد ابن حنبل -رحمهم الله تعالى-، واندثرت بقية المذاهب الأخرى، وأصبح أهل السنة في العالم الإسلامي مجمعين على تقليد هذه المذاهب الأربعة. قال العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي في مراقي السعود:

وَالْمُجْمَعُ الْيَوْمَ عَلَيْهِ الْأَرْبَعَةُ وَقَفُّوا غَيْرَهَا الْجَمِيعُ مَنَعَهُ

والمراد بالمذهب: ما اختص به من الأحكام الشرعية الفرعية الاجتهادية، وما اختص به من أسباب الأحكام والشروط والموانع والحجج المثبتة لها، أما الأحكام المجمع عليها، مثل: وجوب الصلاة والزكاة والصوم؛ فلا يصح أن يقال إنها مذهب مالك أو الشافعي أو غيرهما؛ بل هي مذهب إجماع الأمة لا تختص بمذهب دون مذهب.

قال الدسوقي في «حاشيته على شرح الدردير»: (إن مذهب مالك مثلاً: عبارة عما ذهب إليه من الأحكام الاجتهادية، أي التي بذل وسعه في تحصيلها، والأحكام التي نص الشارع عليها في القرآن أو في السنة لا تعد من مذهب أحد من المجتهدين)^(١).

(١) حاشية الدسوقي (ت: ١٢٣٠) على الدردير (ت: ١٢٠١) (٣٥/١)، ط. دار الكتب العلمية.

قال الدسوقي أيضاً: (وفي شرح الحطاب عند قول خليل: «وبالتردد لتردد المتأخرين»: سئل ابن عرفة هل يقال في أقوال الأصحاب إنها من مذهب الإمام؟ فقال: إن كان المستخرج لها عارفاً بقواعد إمامه، وأحسن مراعاتها، صح نسبتها للإمام وجعلها من مذهبه، وإلا نسبت لقائلها)^(١).

هذا وتعود جذور مذهب الإمام مالك الأولى إلى مدرسة الأثر بالمدينة المنورة، التي تقابل مدرسة الرأي بالعراق، فمذهبه مبني على مذهب أهل المدينة المنورة، دار السنة والهجرة، التي سن الله تعالى فيها لرسوله ﷺ سنن الإسلام وشرائعه، وإليها هاجر المهاجرون إلى الله ورسوله ﷺ، وبها كان الأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم، فمذهبهم في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهذه الأعصار الثلاثة هي أعصار القرون الثلاثة المختارة بنص الحديث الصحيح^(٢).

وقد تأثر مالك رحمه الله بأهلها، واعتبر إجماعهم على عمل من السنة، وفي «ترتيب المدارك» للقاضي عياض قال حميد بن الأسود: كان إمام الناس عندنا بعد عُمَرَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وبعده عبد الله بن عمر، ثم انتقل فقه عمر والصحابة إلى فقهاء المدينة (الفقهاء السبعة)^(٣) وورث علم هؤلاء تلاميذهم، أمثال ابن

(١) حاشية الدسوقي (ت: ١٢٣٠) على الدردير (ت: ١٢٠١) (١٩/١)، ط. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، وانظر الحطاب ج ١ - ص ٥٧ - ط دار الرضوان.

(٢) - وهو «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...» الحديث. رواه البخاري (رقم:

٣٦٥٠)، ومسلم (رقم: ٢٥٣٣) عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: لا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة. وقد قال أبو الحسن في شرح الرسالة: واختلف في القرن ما هو؟ فقيل: المراد به الجيل، واختاره بعضهم، وهو الذي يؤخذ من كلام الشيخ؛ فالقرن الأول الصحابة حتى يتقربوا. وقيل المراد به السنون، واختلف في تحديده، والأصح أنه مائة. واختلف هل ما بعد الثلاثة المحدودة سواء أو متفاضلون...؟

(٣) - وهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعروة بن الزبير بن العوام، وسعيد بن المسيب، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وسليمان بن يسار مولى أمنا ميمونة،

شهاب الزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وزيد بن أسلم، ونافع مولى ابن عمر، وربيعه الرأي، وأبي الزناد، وانتقل علم هؤلاء جميعًا إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحي؛ فمالك كان ينقل عن العلماء الذين نقلوا عن من قبلهم، فكان متبعًا لآثار من تقدمه، وقد قيل إن من خصائص هذا المذهب مراعاة المقاصد والمصالح، وسد الذرائع، واتقاء الشبهات، والتوقي من أسباب الفساد والانحراف والابتداع، والجمع بين الأثر والرأي، والنقل والعقل؛ فكان من أجل المذاهب تحقيقًا، وأقربها إلى الحق طريقًا، وذلك لعدة أمور، منها: اختصاص إمامه بسكنى دار مهبط الوحي، وامتيازه بضبط أقضية الصحابة، فقد أسعده الله تعالى وسدده لعمل أهل المدينة.

ومنها: تضافر الآثار، وتواتر الأخبار، بعلو مكانته، وقوة ديانته، ورسوخ أمانته؛ ولذلك كان سنده في الحديث يسمّى «سلسلة الذهب». وقد شهد له أعلام معاصريه بالأمانة، وضربت إليه أكباد الإبل من الآفاق، فهو عالم المدينة، وإمام دار الهجرة، وشيخ أئمة المذاهب الأربعة، إما مباشرة أو بواسطة^(١).

وخارجة بن زيد بن ثابت النجاري. واختلف في السابع فقيل هو: أبو بكر بن عبد الرحمن الشريد، وقيل: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وقيل: سالم بن عبد الله بن عمر. وخصوا باسم الفقهاء السبعة؛ لأن الفتيا صارت إليهم بعد الصحابة، وإن كان في عصرهم علماء كثيرون من التابعين. فهم السبعة متحدو الوقت والمكان، مكانهم المدينة شرفها الله، وزمنهم زمن التابعين. ونظمهم من قال:

ألا كل من لا يقتدي بأئمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجه

فخذهم: عبيد الله، عروة، قاسم، سعيد، أبو بكر، سليمان، خارجه

(١) في حاشية الدسوقي (١٤/١): أما إمامته بالنسبة للإمام الشافعي والإمام أحمد فظاهرة، لأن الشافعي أخذ عنه، كما قال: مالك أستاذي وعنه أخذت العلم. والإمام أحمد قد أخذ عن الشافعي. وأما بالنسبة لأبي حنيفة فقد ألف السيوطي «تزيين الممالك بترجمة الإمام مالك»، وأثبت فيه أخذ أبي حنيفة عنه، قال: وألف الدارقطني جزءًا في الأحاديث التي رواها أبو حنيفة عن مالك. اهـ.

وقد جعل الله رؤساء مذهبه حجة بعده في الحديث والفقه، وأئمة أثباتاً أمناء. وكان مذهبه - رحمه الله - مذهباً وسطاً بين الحزبيين المتمسكين بظاهر النصوص، وبين أصحاب التوسع في الرأي الذين اعتمدوا عليه أكثر من اعتمادهم على النقل والنص.

وفي شرح الحطاب: (لم أر مذهباً أنقى ولا أبعد من الزينغ من مذهب مالك.)^(١).

وقال بعض أهل العلم: (لقد نظرنا طويلاً في أخبار الفقهاء فلم نر مذهباً من المذاهب غيره أسلم منه؛ فإن فيها الجهمية والرافضية والخوارج والمرجئة والشيعنة... إلا مذهب مالك، فما سمعنا أن أحداً ممن تقلده قال بشيء من هذه البدع.)^(٢).

واشتهر في تلقين بعض مشايخ هذا المذهب أنه لم يعتزل مالكي قط، إلا ما رمي به الحفيد ابن رشد. فهو مذهب يعد حصناً من البدع، والاستمسك به نجاة من الزينغ إن شاء الله.

وقد دُونَ هذا المذهبُ تدويناً لم يحظَ به غيره من المذاهب، وحُقِّقت مسأله وحُررت، وتعاقبتها الآراء، ومخضتها كوامل العقول ونقحتها حتى وثقت بها النفوس، واطمأنت إليها القلوب، وانتشرت كتب هذا المذهب في الشرق والغرب.

وقد عد القاضي عياض من أقرانه الذين رووا عنه من الأئمة المشاهير: حماد بن سلمة، وهو شيخ أبي حنيفة، وأبا يوسف القاضي الحنفي.
(١) (٢٦/١).

(٢) ترتيب المدارك (٢٢/١).

وكان تأسيسه بالمدينة المنورة، ومنها خرج وانتشر في مختلف الأقطار، من الحجاز واليمن وبلاد العراق ومصر وخراسان وغيرها، وإن شاركه بعض المذاهب كمذهبي أبي حنيفة والشافعي، ثم دخل إفريقية وانتشر فيها على أيدي الكثير من علماء وأعلام المالكية، مثل: علي بن زياد، وابن أشرس، والبهلول بن راشد، وأسد بن الفرات، وسحنون، وغيرهم، ودخل الأندلس واستقر بها، وكان دخوله لها في عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل، في حياة الإمام مالك رحمه الله.

ثم انتقل إلى المغرب والصحراء، ثم إلى القطر الشنقيطي مع رجال العلم في دولة المرابطين، ورسخت قدمه به منذ ذلك العهد إلى اليوم، ثم استمر في التوسع جنوباً في القارة الإفريقية، وكان دَوْرُ الشناقطة محورياً في هذا الإنجاز؛ لمحاضرهم التي ظلت قبلة لأبناء القارة.

وقد أُجمع على فضل مشايخ هذا المذهب، وكثرة مناقبهم، وثناء الجلة عليهم، وعدالتهم وعلو مراتبهم في العلم والرواية، وأمانتهم وإمامتهم.

وفي ترتيب المدارك للقاضي عياض بتصريف يسير: (إن الله تعالى حفظ أهل هذا المذهب مما خالط سواهم من أهل المذاهب من الهوى، وعصمهم من علة الافتراق والتدابير؛ فليس في أيمتهم -بحمد الله- مَنْ صَحَّحَتْ عنه بدعة، ولا مَنْ اتَّفَقَ أهل التزكية على تركه لكذب أو جرحة، وهم أصح يقيناً من غيرهم، وأمتن ديناً، وأكثر أتباعاً، وأزكى صحابة وأتباعاً)^(١).

والخلاصة أن مذهب الإمام مالك هذا إذا فهم حق الفهم، وُدِّرس حق التدريس، دون تعصب له أو ضده؛ فإنه يعتبر من أعظم المدارس الإسلامية، المبنية على أصول متينة من النصوص والاجتهادات المستمدة منها، التي شيدها الراسخون في العلم على أساس من الورع والتقوى؛ رغبة فيما عند الله. والله تعالى أعلم.

(تراجم مشايخ السلسلة الفقهية)

وهذا أوان الشروع في تراجم مشايخ السلسلة الفقهية. وسأذكر فيه تاريخ موالدهم ووفياتهم؛ تحقيقاً أو تقريباً، وبعض مشايخهم الذين قرؤوا عليهم أو أخذوا عنهم دراية ورواية، وبعض ما وقفت عليه من حميد خصالهم، ومستحسن أخبارهم، وذكر بعض مؤلفاتهم وآثارهم، وبعض من تتلمذ عليهم أو أخذ عنهم، وأنشد هنا قول العلامة أحمد البدوي الناظم:

وَمَنْ رَأَى خِلَافَ مَا ذَكَرْتُهُ فَلْيَتَّبِدْ لَعَلَّ مَا أَبْصَرْتُهُ
فِي غَيْرِ مَا طَالَعَهُ ... الخ.

وقول الآخر:

وَعُهُدَةُ الْعَزْوِ عَلَيَّ وَعَلَى سِوَايَ عُهُدَةُ الَّذِي قَدْ نَقَلَا

فأقول وعلى الله وحده أعتمد:



الفصل الأول
في التعريف
بأصحاب السند الفقهي

الفصل الأول

في التعريف بأصحاب السند الفقهي

● محمد عالي ابن نعمه (١٣١٤ - ١٤٠٩ هـ):

أما ولد نعمه فهو: العلامة الفقيه الأشعري النحوي المدرس لمرابط محمد عالي (أبوه)، بن محمد فال، بن محمد، بن نعم العبد، المجلسي الأحمدي. ولد بـ «مفتاح الخير»^(١) سنة: (١٣١٤ هـ)، قرأ القرآن ومبادئ العلوم الشرعية على والديه وبعض أقاربه وقراء عشيرته، ثم قرأ النحو على شيخه الأول سيد أحمد بن أحمد محمود بن السعيدي، ثم أعاده بتحرير وتعميق وتدقيق على شيخه الثاني سيبويه عصره يحظيه بن عبد الودود الجكني، كما قرأ عليه التوحيد والفقه، وسائر النصوص التي تدرس في المحاضر الشنقيطية، ولازمه حتى أجازته إجازة مطلقة في المنقول والمعقول، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد، الحمد لله الكبير المتعال، الموصوف بجميع صفات الجمال والجلال، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد خير بني عدنان.

وبعد: فقد أجزت وإن لم أكن أهلاً للإجازة، ولله در القائل:

وَكُنْتُ بِأَهْلِ أَنْ أُجِيزَ وَإِنَّمَا قَضَىٰ أَوْقَاتُ يَرْقَىٰ الدُّوْنَ مَرْقَىٰ الْأَكَابِرِ

وحيد زمانه وفريد عصره وأوانه، تلميذي محمد عالي ابن نعم العبد في: جميع مسموعاتي ومروياتي ومقروأتي، وجميع ما تجوز عني روايته، وتصح لي

(١) «مفتاح الخير»، أو «المفتاح» بئر قرية من «لفريوه»، على بعد ستين كلم جنوب شرق انواكشوط.

وتنسب إليّ درايته؛ من معقول ومنقول، وفروع وأصول. والسلام.

كتبه اتاه بن يحظيه بن عبد الودود بإملاء منه.

مَا كُلُّ مَنْ زَارَ الْحِمَى سَمِعَ النَّدَا مِنْ أَهْلِهِ أَهْلًا بِذَاكَ الزَّائِرِ.

وكتب يحظيه بخط يده تحت هذه الكتابة ما نصه: «صح مني يحظيه بن عبد

الودود تيب عليهما».

ولما أراد الرحيل من المحظرة بأمر من شيخه، طفق زملاؤه فيها يتأسفون على رحيله عنهم، ويودعونه وينظمون في ذلك الأشعار الحسنة، وعلى رأسهم في ذلك زميله وصديقه العلامة المحقق والشاعر المفلق مُمُّ بن عبد الحميد الجكني، الذي كتب له القطعة التالية في إحدى صفحات طرته، ومن خطه نقلت:

طُلُوْلٌ بِأَعْلَى الْبُرْقَتَيْنِ بَوَالِ	لَعْمَرُكَ مَا هَاجَتْ عَلَيَّ خَبَالِي
غَزَا لِي هَوَى مِنْهَا بِجِدِّ غَزَالِ	وَلَا الْخَذْلَةَ ^(١) السَّاقِ الْبَرْهَرَهَةَ ^(٢) الَّتِي
تَبَسَّمَ لِي عَنْ مِثْلِ شَوْكِ سَيَالِ	وَلَا طَيْفَهَا الْمُتَّابُ بِالْغَلَسِ الَّذِي
أَخُو الْكَرَمِ الْعَالِي مُحَمَّدٌ عَالِ	وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ نَأَى عَنْ مَحَلَّتِي
إِلَى حُكْمِ مَوْقُوفٍ وَحُكْمِ مُمَالِ	فَهَلْ فِي أُولِي التَّدْرِيسِ بَعْدَكَ مُهْتَدٍ
إِلَى حُكْمِ مَمْنُوعٍ وَحُكْمِ حَلَالِ	وَهَلْ فِي أُولِي التَّدْرِيسِ بَعْدَكَ مُهْتَدٍ
لَهَا زَوْرٌ أَضْلَاعٍ وَطَيٌّ مَحَالِ	يَمِينًا بِمُجْتَازَاتِ كُلِّ تَنُوفَةٍ

(١) الخَذْلَةُ من النساء: الغليظة الساق المستديرتها، وجمعها خِدَالٌ. لسان العرب - حرف الخاء (خدل)..

(٢) البيضاء التي لها بريق من صفائها، رقيقة الجلد كأن الماء يجري فيها من النعمة. لسان العرب - حرف الباء (بره).

لَقَدْ كِدْتُ مِنْ ذَاكَ الْفِرَاقِ وَوَشِكِهِ أَمْحُ لَدَى التَّوْدِيْعِ غَبْرَ قَتَالِ
أَلَا فِي ذِمَامِ اللَّهِ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فَهُوَ الَّذِي نَرْجُو لِكُلِّ كَمَالِ

وقال آخر في نفس المناسبة:

أَلَا فَاحْزَنَ فَإِنَّكَ مَنْ تُحِبُّ أَنَاخُوا كُلَّ دَوْسَرَةٍ وَأَبُوا
فَإِنْ سَارُوا لَوِجَتِهِمْ وَيَأْنُوا فَإِنَّ الْعَيْشَ بَعْدَهُمْ أَجَبُّ

هذا وكان محمد عالي من أعيان متصدري قُطْرِهِ علماً وتدريساً، وأسس محظرة جامعة شاملة تضرب إليها أكباد الإبل، وتؤمها أفواج الطلاب من كل الفجاج والسبل، وكان يُدرِّسهم في كل الأوقات والأحوال، في المقام والتَّرحال، وفي حال جلوسه وقيامه، وفي حال سيره إلى أي وجهة سار إليها، فكانت محظرتُه من أُمَمَاتِ المحاضر الجامعة في المنطقة.

وقد شهد له معاصروه وأقرانه من متصدري محظرة شيخه يحظيه؛ بأنه كان الوارث له في طريقة التدريس؛ من جودة التَّلْقِينِ، وحسن الأداء، وحفظ مفردات الألفاظ التي كان يعبر بها شيخه بدقة متناهية، مع سَوْقِ الأمثلة والاستطرادات، بنفس الأسلوب والنسق عند شيخه يحظيه؛ ولذلك اشتهر عند زملائه وتلامذته بـ «أباه الثاني».

وقد آتاه الله ملكة فريدة في الإقراء وإفهام الطلاب، فكان يقرب لهم المعاني البعيدة، بأفصح عبارة وأوضح إشارة، تجلو غوامض النَّصِّ وتوضح إشكاله بحسن بيان وفصاحة لسان، مع الاستيعاب لما يحتاج إليه الطالب، ويتوق إلى معرفته الراغب؛ من تحرير المسائل وإيضاحها بشتى الطرق والوسائل، وكان يراعي في ذلك مستوى الطالب ومدى قابليته للفهم والاستيعاب.

ومن خلال ذلك يمكن تقسيم طريقته في الإقراء إلى ثلاثة مستويات عند الاستقراء:

المستوى الأول: للطلاب المبتدئين ومن على شاكلتهم، يقتصر فيه على شرح ما أشكل من النص وتقرير معناه بأسلوب جلي.

المستوى الثاني: للطلاب المتوسطين، يشرح فيه النَّصَّ شرحًا وافيًا، جالبًا في ذلك ما له صلة به من شواهد شعرية وأنظام مفيدة.

والمستوى الثالث: وهو أعلاها يختص بأذكاء الطلاب المؤهلين لاستيعاب التوسع في شرح المبهمات، والترقي إلى اكتساب المتمات، وفي هذا المستوى يسلك مسلك التعمق في الإقراء ملماً بكل ما له تعلقٌ بالنَّصِّ؛ من منقول ومعقول، وفروع وأصول، ونكت وأمثال واستطرادات مفيدة، تَشْحَدُ ذهن الطالب، وإذا كان في النَّصِّ ما يحتاج إلى إيضاح أكثر لغموضه، أو تعدد أوجه الاحتمالات الواردة فيه، ففي هذه الحالة يوضح للطالب ما أشكل عليه بوضع الصور عن طريق النقط على الأرض، بعملية حسابية تحصر جميع الاحتمالات في المسألة المستشكلة، ثم يقوم بالحكم عليها نقطة، نقطة، أمام نظر الطالب حتى يزول عنه الإشكال، ويستوعب جميع جزئيات الدرس براحة بال، وكان يُربِّي الطلاب بصغار العلوم قبل كبارها^(١).

وكان مجلسه وقفاً على تدريس العلم والعناية بطلبته، فهُمَا عنده الفرض المقدم والواجب المحتم، وما سواهما نافلة، ويخفض لطالب العلم الجَنَاح، وَيَهْشُ له ويرتاح، ويقابله بالدعابة والمزاح، ليزيح عنه وحشة الغربة ونصب الطلب، في حدود الوقار والسكينة.

(١) المراد بصغار العلم: ما وُضِحَ من مسائله، وبكباره: ما دق منها، وقيل: صغاره جزئياته، وكباره كلياته.

وكان لإقراءه -رحمه الله- وَقَعٌ خاص في الأذن، وتأثير بالغ في النفس، دون تكلف وتصنع، وممن نَوَّهَ بأسلوبه في الإقراء العالم الشهير والشاعر الكبير المجيد في اللسانين الحَسَّانِيَّ والفصيح: باباه بن اِبْتَّ -رحمه الله- في قصيدة له ينصح فيها عشيرته المَجْلِسِيَّة، حيث يقول:

فَنَعَمْ ابْنُ نِعَمِ الْعَبْدِ إِقْرَأُوهُ بَدَتْ بِهِ دُرَّرَ تُبْدِي الْخَفِيَّ لَوَامِعُ
لَهُ فَابْعَثُوا أَبْنَاءَكُمْ ثُمَّ حَلَّقُوا بِدَرَسٍ بِهِ يَهْتَزُّ مَنْ هُوَ سَامِعُ
يَمِيلُ بِهِ كُلُّ النَّفُوسِ إِلَى الْهُدَى وَتَهْمِي بِهِ خَوْفَ الْمَلِكِ الْمَدَامِعُ

ويقول فيه تلميذه الأستاذ الأديب والباحث الأريب محمد يحيى بن سيد أحمد المجلسي من قصيدة:

وَعَلَى الشَّيْخِ نَدْرُسُ الْعِلْمَ نَرْقَى فِي سَمَاءِ الْعُلُومِ أَعْلَى الْمَرَاقِي
يَبْنَ قَارِ عِلْمِ الْكَلَامِ وَقَارِ عِلْمِ فِقْهِ وَالْبَعْضُ لِلنَّحْوِ رَاقِ
فَبِرِينَا الْمَعْنَى الْخَفِيَّ جَلِيًّا بَعْدَ سَوْقِ الْأَلْفَافِ أَشْهَى مَسَاقِ
فَتَخَالَ ابْنَ قَاسِمٍ وَابْنَ مَالٍ وَالْجُوَيْنِيَّ أَبْرَزُوا لِلتَّلَاقِي
بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ فَهُوَ الْمُجَلِّي فِي مَجَالِ الْإِقْرَاءِ عِنْدَ السَّبَاقِ

...الخ.

ويقول من أخرى:

تَوُؤْمَنَا لِلْعِلْمِ طَلَّابُهُ يَرْمُونَ بِالْعَيْسِ عِرَاضَ الْمَوَامِ
حَتَّى يُوَافُونَ سِرَاجَ الْهُدَى إِمَامَنَا الشَّيْخَ الْكَرِيمَ الْهُمَامِ
وَارِثَ إِقْرَاءِ الرُّضَى شَيْخِهِ مُجَدِّدِ الدِّينِ سِرَاجِ الظَّلَامِ

كَانَهُمْ حَوْلَ الْإِمَامِ الرَّضَى كَوَاكِبُ حَفَّتْ بِبَدْرِ التَّمَامِ
يُرِيهِمُ الْمَعْنَى الَّذِي قَدْ نَأَى فِي صُورَةِ الْمَحْسُوسِ سَهْلَ الْمَرَامِ
يَدِبُ فِي الْأَلْبَابِ إِقْرَاؤُهُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ دَيْبَ الْمُدَامِ
...الخ.

وله أيضًا من أخرى يخاطب فيها بعض زملائه في المحاضرة، ملتتمسًا منه
إبلاغ تحاياهُ للشيخ فيقول:

وَخَصَّصْ شَيْخَنَا الْعَالِي مَقَامًا سِرَاجَ زَمَانِهِ قَمَرَ النَّدِيِّ
وَخَيْرَ مُدَرِّسٍ وَخَدَتْ إِلَيْهِ بِأَرْيَابِ الْعُلَى فُتْلُ الْمَطِيِّ
مَنْ أَحْيَا الْأَشْعَرِيَّ وَسَيَّبِيهِ وَمَنْ أَحْيَا طَرِيقَ الْأَضْبَحِيِّ
وَمَنْ يُبْدِي الْخَفِيَّ مِنَ الْمَعَانِي فَيَبْرِزُ مِثْلَ مَحْسُوسِ جَلِيِّ
يُقَرِّبُهَا لَنَا شَيْئًا فَشَيْئًا فَتَظْهَرُ لِلذِّكْرِ وَلِلْغَيْبِيِّ
...الخ.

ويقول من أخرى، وكان إذ ذاك نازحًا عن وطنه وأهله:

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى جَالِسًا أَكْرُرُ النَّحْوَ لَدَى الْمَعْهَدِ
مَعْهَدِنَا لِدَرْسِهِ سَابِقًا مُحَرَّرًا! يَا لَكَ مِنْ مَعْهَدِ!
مَعِيَ بِهِ «ابْتَاهُ» فِي فِتْيَةٍ زَيْنِ النَّوَادِي وَحُلَى الْمَشْهَدِ
يُقَرِّتُنَا الشَّيْخُ كَمَا يَنْبَغِي يَعْطُنَا مِنْ بَحْرِهِ الْمَزِيدِ
نَشْرَبُ مِنْ مَعِينِهِ سَلْسَلًا أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنَ الصَّرْخَدِ
...الخ.

ويقول فيه الشيخ العلامة والجهيد الفهامة محمد الحسن بن أحمد الخديم

اليعقوبي الجوادي، من قصيدة يرثيه بها:

فَنِعَمَ ابْنِ نِعَمِ النَّدْبِ سَيِّدُ قَرْنِهِ	وَأَوْثَقُهُمْ حَزْمًا وَأَصْدَقُهُمْ عَزْمًا
هُوَ الْمُرْتَضَى عَالِي الْمَقَامِ مُحَمَّدٌ	فَلِلَّهِ أَسْمَى قَدْ سَمَى صِفَةً وَأَسْمَا
تَحَرَّكَ فِي فِعْلِ الْمَكَارِمِ حَرْفُهُ	دَوَامًا فَلَمْ يَقْبَلْ سُكُونًا وَلَا جَزْمًا
وَمَا زَالَ يَبْغِي الْخَيْرَ وَالْمَجْدَ وَالتَّقَى	وَدَرَكَ عُلُومَ فَهْمَهَا أَعْجَزَ الشَّهْمَا

إلى أن يقول في علمه ووصف إقرائه:

فَأَحْرَزَ مُلْكَ الْعِلْمِ إِذْ صَارَ مُلْكُهُ	وَكَانَ وَزِيرُ الْعِلْمِ فِي مَلِكِهِ الْحِلْمَا
وَجَدَّدَ مِنْهُ الرَّسْمَ حِينَ يَدُ الْبَلَى	مَحَنَّهُ وَنُكِبَ الْجَهْلِ غَيَّرَتِ الرَّسْمَا
فَكَمْ شَرِبَ الطُّلَّابُ مِنْ حَوْضِ عِلْمِهِ	فُنُونًا وَمَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْحَوْضِ لَنْ يَظْمَا
وَطَهَّرَهُمْ بِالصَّفْوِ مِنْهُ فَلَا الْهَوَى	يُكَدِّرُ مِنْهُ اللَّوْنُ وَالرِّيْحُ وَالطَّعْمَا
وَرَدَّ أَقَاصِي الْمَشْكَلَاتِ لِفَهْمِهِمْ	وَقَرَّرَهَا نَثْرًا وَحَرَّرَهَا نَظْمَا
إِلَى أَنْ مَضَى قِرْنٌ هُوَ الْقِرْنُ فِي الْمَدَى	شَأَى فِي الْمَرَايَا وَالْعُلَى قِرْنَهُ الْقِرْمَا
مَتَى تَلَقَّه تَلَقَّ الْجُنَيْدَ وَالْأَشْعَرِي	وَتَلَقَّ جَمَالَ الدِّينِ وَالْبَدْرَ وَالنَّجْمَا
وَتَلَقَّ الْفَتَى الْمَحْمُودَ فِي النَّاسِ سِيرَةً	وَ«كَالْبَدْوِي» فِيهَا وَ«حَمَادٍ» الْأَسْمَى
عَلَى كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ التِّي	بِهَا خَمْرَةٌ تُغْنِيكَ أَنْ تَعَصِرَ الْكَرْمَا
وَحَفْضِ جَنَاحِ لِلْوَرَى وَتَوَاضِعِ	وَيَذَلِّ وَعَقْلٍ رَاجِحٍ يَغْلِبُ الْوَهْمَا

...الخ.

ويقول فيه العالم الألمعي والشاعر اللوذعي الطفيل بن الواثق المالكي، من قصيدة يرثيه بها:

ذَاكَ الْإِمَامَ الْمُرْتَضَى شَمْسُ الْهُدَى شَيْخَ الْمَشَايخِ خَاتَمَ الْأَعْيَانِ
«أَبُوهُ» وَلَى بَعْدَ مَا سَارَ الْوَرَى بِعُلُومِهِ فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ
وَتَصَدَّرَ الرَّأُوُونَ عَنْهُ وَصَدَّرُوا فِي شَاسِعِ الْأَنْحَاءِ وَالْأَوْطَانِ

إلى أن يقول:

يَا لَهْفًا تَدْرِيسِ الْعُلُومِ وَبَثَّهَا يَا لَهْفًا شَرْحِ اللَّفْظِ بِالتَّبْيَانِ
يَا لَهْفًا تَقْرِيْبِ الْبُعِيدِ وَحَلُّ مَا مِنْ مُشْكِْلِ أَعْيَا ذَوِي الْأَذْهَانِ

إلى أن يقول:

إِنَّ النُّصُوصَ جَمِيعَهَا مِنْ فَقْدِهِ تَبْكِي أَخَا التَّحْقِيقِ وَالْإِتْقَانِ
مَنْ يُبْرِزُ الْمَعْنَى الْخَفِيَّ مُصَوِّرًا فِي صُورَةِ الْمَحْسُوسِ لِلْإِنْسَانِ
مَنْ كَانَ فِي كُلِّ الْخِصَالِ مُبْرَزًا بَدُّ السُّورَى وَمُجَلِّي الْمَيْدَانِ

....

مَعَ حُسْنِ أَخْلَاقٍ وَطَيْبِ فُكَاهِيَةٍ وَتَوَاضُعٍ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ

...الخ.

وقد كان -رحمه الله- حسن اللقاء كريم الطبع مليح المجلس، يهتدي إلى أغراض مجالسيه بأدنى مخالطة، ويعامل كلاً بما يناسبه؛ غايةً في الذكاء والفتنة ورجاحة العقل وبعد النظر

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يَرَى بِصَوَابِ الرَّأْيِ مَا هُوَ وَاقِعٌ

إلى حكمة بالغة، وبصيرة نافذة، وهمّة عالية، وعزيمة ماضية، وقدرة على تحمل المشاق، وحمل الكلِّ، ورأب الثأى، ومواجهة الأزمات، وحل الصعاب، بصبر وأناة وشجاعة تتحطم أمامها جبال المحال، وتتقاعس عن مجاراتها همم الرجال... إلى ما وهبه الله من سعة الاطلاع، وسلوك مسالك الاعتدال، في جميع الأحوال؛ ترفعاً عن أسلوب النقد في المسائل الخلافية، صائناً قلمه ومقوله ووقته عن ميدان المساجلات، ومعتزك المنازعات التي دارت في عصره؛ إثارةً للسلامة وبعداً عن مسالك الشهرة، وصرفاً للوقت والجهد فيما هو أهم.

وكان يقول الشعر، ولم يكن من شأنه الإكثار منه، وقد نظم في بحر الرجز كثيراً من الأنظمة المفيدة في المسائل الفقهية، والنوادر الأدبية، والابتهالات، وكان مُمدِّحاً، ورثي بمراثٍ جيدة.

والمتصدرون عليه لا يحصون كثرة، وقد أجاز منهم عدداً، وكان يجيز بنفس الإجازة التي أجازها بها شيخه؛ تيمناً بألفاظها وتبركاً -حسبما أخبرني به-، ومن بين من أجازهم ابنه سَمِيٌّ شيخه، وتلميذاه محمد عبد الله بن محمد سيدي بن محمد المومن بن حماد، ومحمد يحيى بن سيد أحمد بن مولود.

وممن تصدر عليه العلامة أحمد عبد الحي بن محمد بن أحمد محمود بن السعيدي، والعلامة محمد عبد الله بن المصطفى بن عبد آل، ومحمد يحيى بن محمد محمود بن سيدي بن السعيدي، ومحمد الأمين بن أمِّي... المجلسيون. والعلماء الأجلاء أحمدو بن عابدين، والشيخ وحمود ابنا عبد القادر الصعيديون.

وعبد الحي بن التاب، وحمدان بن محمد زين، والنُّونُ والكُبُود ابنا محمد
السَّالم... الانتابيون.

وسعد بوه بن زين بن الصَّفِّ، والطفيل بن محمد عبد الله بن الواثق،
ومحمد لولي بن مينوڪ... التندغيون.

ومحمد الطفيل بن باليل التاشديتي، ومحمد بن بوكم الكمليلي، وسيد
أحمد بن أحمد يحيى اليعقوبي، ومحمد الحسن بن عبدأ البوفلاني... وغيرهم.
أما من درسوا في محظرتة وأخذوا عنه، فلا يحصى عددهم ولا يحاط
بتنوعهم، وتنوع أوطانهم وأقوامهم؛ بل يكفي أنه جلس للتدريس، يحفه من
حوله الطلاب، لا يفتأ عنه في أي وقت من اليوم ولا أي فصل من السنة، نحو
ستين سنة.

وتوفي -رحمه الله- في موطنه وحاضرة عشيرته وداره بـ«الغريوه» مساء يوم
الخميس، الثالث عشر من شوال سنة: (١٤٠٩هـ)، ودفن بمقبرة «الطلبه» مع
والديه وإخوته وزمرة كبيرة من عشيرته.

• يحظيه بن عبد الودود (١٢٦٥ - ١٣٥٨هـ):

وأما ولد عبد الودود: فهو العلامة الجليل، والإمام العلم النبيل، الجامع بين
المنقول والمعقول، وحيد زمانه، وفريد عصره وأوانه، ومحط رحال الواردين،
ومنتهى آمال الوافدين، الفقيه الأشعري النحوي يحظيه (أباه) بن عبد الودود، بن
أوبك، بن المختار، بن أيوب، الجكني ثم الرمطاني نسباً، القناني خؤولة ووطنًا.
ولد يوم الإثنين ثاني عشر ربيع الأول سنة: (١٢٦٥هـ)، وقرأ النحو
والتصريف واللغة على العلامة النحوي الشهير الحسن بن زين القناني، كما

تواتر عند أبنائه وتلامذته، وذكّر أيضاً في «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» لأحمد بن الأمين العلوي^(١)، و«المنارة والرباط» للخليل النحوي^(٢).

وأخذ الفقه والتوحيد عن مشايخ عصره وأعلام دهره، كشيخي المشايخ أحمد بن محمد بن محمد سالم، ووالده محمد المجلسي^(٣)، والعلامة المختار بن ألما اليدالي، وغيرهم.

وأخذ الطريقة الشاذلية عن نادرة زمانه في العلم والولاية، محط الرحال ومنتهى الآمال، لمرابط محمد فال بن متال التندغي.

وبرع في علمي المنقول والمعقول حتى أصبح مجدد القرن الرابع عشر الهجري، وتوسعت المدرسة «البونية»^(٤) على يده حتى بلغت أقصى غاية من الانتشار والنضج على كافة المستويات، وقد ابتكر لها منهجاً في الدراسة، يجمع بين التوسع في دراسة النصوص المنتقاة من شروح «الخلاصة»، مع ترسيخ فهمها وإتقان حفظها.

فكانت نتيجة هذا المنهج تخريج صفوة من الطلاب المتميزين بأعلى مستوى من المعارف، أتاح لهم أن يجتهدوا ويجددوا في مجالات اختصاصاتهم، بالإضافة إلى ما نشروا من العلم عن طريق التدريس، وصار هو شيخ الشيوخ وأستاذ الأساتذة، وظلت محظرتة في «القبلة» مورد نوابغ الطلبة ومصدر أعلام العلماء الجلة.

(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط: (٣٧٤-٣٧٧).

(٢) المنارة والرباط للخليل النحوي: (٤٩٦-٥١١-٥٣٣).

(٣) كما في «المنارة والرباط» صفحة: (٥٣٣)، وكما ذكره تلميذه مم في نظمه لسيرته، وتواتر عند أبنائه وتلامذته.

(٤) نسبة إلى العلامة المختار بن بونا الجكني، وهي مدرسة النحو خاصة، والفقه والتوحيد عامة.

هذا وكان الشيخ يحظيه قد بهر العقول في التحلي بالأخلاق النبيلة، والفضائل الجليلة، حيث بلغ الغاية القصوى في الجود والكرم، ورجاحة العقل، والذكاء، والشهامة، والسيادة، والقيادة، مع الصلاح والتواضع والزهد والقناعة، وضربت إليه أكباد الإبل، وأمه الطلاب من كل حذب وصبوب، وأحبه طلبة العلم؛ فظفروا من بحره الزاخر بأشرف مطلوب، وظهرت بركة تعليمه على مرتادي محظرتة؛ فكانوا بُدورَ التمام، ومصاييح الظلام حيثما حلوا وارتحلوا، كأصحاب سحنون! وقد ألحق الأبناء بالأباء في التصدير، واعترف له معاصروه بجلالة القدر ونباهة الذكر، مع سعة العلم والتفرد بجودة التدريس وحسن الأداء، ومدحه الشعراء البلغاء، والعلماء الأدباء، بعيون الشعر الفصيح والحساني، فمن ذلك على سبيل المثال: قول علامة دهره وقائد قطره الشيخ سيديا بابه، بن الشيخ سيدي محمد، بن الشيخ سيديا الكبير، من قصيدة في مدحه:

أَحْظَى الَّذِي جَلَّ عَنْ شِرْكٍَ وَتَشْبِيهِ	بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ الْمُخْتَارِ يُحْظِيهِ
يَرْضَى بِهِ النَّاسُ فِي أَيَّامِهِ خَلْفًا	مِنْ سَيِّئَاتِهِ، مُصَافِيهِ وَشَانِيهِ
يَا رَبِّ جَوْهَرِ عِلْمٍ ظَلَّ يَنْقُفُهُ	فِي آخِذِينَ لَهُ لَمْ يُغْمِضُوا فِيهِ
يُيَدِّي عَوِيصَاتِهِ فِي الدَّرْسِ وَاضِحَةً	كَأَنَّ كُلَّ عَوِيصٍ مِنْ مَبَادِيهِ
لَوْلَا هُدَاهُ بِتِلْكَ التِّيهِ مَا بَرِحَتْ	فِيهَا الْهُدَاةُ إِلَى حِينٍ مِنَ التِّيهِ
فِي مَجْلِسِ نَفَعِ اللَّهِ الْعِبَادَ بِهِ	سَيَّانَ عَاكِفُهُ فِيهِ وَبَادِيهِ
مَا إِنْ تَصَدَّرَ بِالتَّمْوِيهِ صَاحِبُهُ	وَإِنْ تَصَدَّرَ أَقْوَامٌ بِتَمْوِيهِ
دَعَا إِلَيْهِ أُولِي الْأَلْبَابِ مُجْتَهِدًا	لِسَانَ حَالٍ فَلَبَّوْا صَوْتَ دَاعِيهِ

ويقول العالم الأديب والشاعر الأريب أبو مدين بن الشيخ أحمد بن سليمان

الديماني، من قصيدة في رثائه:

أَلَا إِنَّ عِلْمَ النَّحْوِ حُمٌّ رَحِيلُهُ وَبَانَ خَلِيلٌ يَسُومَ بَانَ خَلِيلُهُ
 وَقَدْ بَانَ بَابُ الْعِلْمِ عَنَا وَفَضْلُهُ وَكَافِلُهُ بَيْنَ الْوَرَى وَكَفِيلُهُ
 تَوَلَّى أَخُو الْعِلْمِ الْعَزِيزُ وَجَدُّهُ وَوَالِدُهُ الْمَوْلَى لَهُ وَسَلِيلُهُ
 فَمَا هُوَ إِلَّا الْعِلْمُ وَالْعِلْمُ وَصَفُهُ وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا تَضَمَّنَ قِيلُهُ
 يُزِيلُ التَّبَاسَ الْمُشْكِلَاتِ بِفَهْمِهِ وَمُوهِمٌ مَحْدُورِ الْكَلَامِ يُزِيلُهُ
 فَلَا يَغْتَرِزُ مَنْ ظَنَّ أَنَّ سَبِيلَهُ سَبِيلٌ تَنَاهَى بِالْمَمَاتِ سَبِيلَهُ
 فَكَمْ خَلَفَ الْمِفْضَالَ فِي النَّاسِ مِنْ فَتَى بَلِيغٌ قَدْ أَفْنَى الْعُمَرَ وَهُوَ زَمِيلُهُ
 فَنَالَ عُلُومًا جَمَّةً مِنْ عُلُومِهِ فَمَنْ أَمَّهُ لِلْعِلْمِ يُشْفَى غَلِيلُهُ
 وَمَا خَلَفَ الْمِفْضَالَ فِي كُلِّ خَصَلَةٍ سَيُحْرِزُهَا أَبْنَاؤُهُ وَقَبِيلُهُ

ومن نظم ميم بن عبد الحميد لسيرته:

فَشَيْخُنَا يُحْظِيهِ مِنْ جَاكَانَا وَالْأُمُّ وَالْوَطَنُ فِي غَنَانَا

.....

وَكَانَ هَذَا الشَّيْخُ فِي شَنْكِيَطَا مُعْظَمًا مُبْجَلًا وَسَيْطَا

.....

كُنَّا نَعُدُّهُ مِنَ السَّمَّاحِ أَجُودَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيَّاحِ
 عَقْلُ الْأَكَابِرِ مِنَ الرَّجَالِ حَوَاهُ فِي شَهَامَةِ الْأَزْوَالِ
 حَدِيدٌ سَمِعَ وَحَدِيدٌ بَصَرَ فِي فِطْنَةٍ مَعَ تَيْقُظِ دُرِي
 فَكَانَ فِي السَّخَاءِ لَا يُبَارَى وَكَانَ فِي الذِّكَاةِ لَا يُجَارَى

.....

وَكَانَ ذَا قَنَاعَةٍ شَدِيدَةً وَسِيرَةٍ بَيْنَ الْوَرَى حَمِيدَةً
لِأَنَّهُ مُشْتَغِلٌ بِالْعَمَلِ وَالْعِلْمِ نِعْمَتُ سِيرَةِ الْعَبْدِ الْوَلِيِّ

.....

كَمْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيَّ بَلِيدِ لَدَيْهِ فَتْحًا ظَاهِرَ الْمَزِيدِ
كَانَ لِطَالِبِ الْعُلُومِ يَرْحَمُ لَأَسِيْمًا إِذَا اعْتَرَاهُ السَّقَمُ
يُؤْنِسُهُ بِعَرْكَ أُذُنٍ وَشَعْرُ وَقَدْ يَضُمُّهُ إِلَيْهِ فَيَسْرُ
وَلَا يَصُونُ كُتُبَهُ عَنِ طَالِبِ وَلَيْسَ دُونَ بَابِهِ مِنْ حَاجِبِ

.....

وَكَانَ بَحْرًا فِي الْعُلُومِ زَاخِرَا وَقَدْ تَرَى الْفُلْكَ بِهِ مَوَاحِرَا
وَكُلُّ حَيٍّ فِي الْعُلُومِ مُرْتَحِلُ إِلَيْهِ يَضْرِبُونَ أَكْبَادَ الْإِبِلِ
لَهُمْ حَسَوَالِي بَيْنَهُ ضَجِيجُ كَانَتْهُمْ مِّنْ كَثْرَةِ حَجِيجِ
وَكَانَ فِي إِقْرَائِهِ يَصُوغُ عِبَارَةً لِفَهْمِهِمْ تَسْوِغُ
يُرِيهِمُ الْمَعْنَى أَخَا الطُّمُوسِ مَبْرَزًا فِي صُورَةِ الْمَحْسُوسِ
يَضْرِبُ الْأَمْثَالَ الَّتِي تُفَهُمُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَهُمْ مُجَسِّمُ

.....

تَحَسِبُ نَجَلَ قَاسِمِ بَيْنِ الْوَرَى وَسَيَبُؤِيهِ بَعْدَ مَوْتِ أَنْشِرَا
وَلَمْ يُصَنَّفْ لِأَزْدِحَامِ الْمُدْرَسَةِ عَلَيْهِ كُلُّ نَفْسٍ تَنْفَسُهُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يُحْدِقُ الطُّلَّابُ بِهِ فَيَبْدُو الْعَجَبُ الْعُجَابُ
مِنْ بَكْرٍ وَضَاحٍ لَهُمْ مَثَابِرُهُ لِثَنِي دُهْمَانَ الْعِشَاءِ الْأَخْرَهُ

.....

وَرِيَّمَا سَأَلَ وَقَبَّتِ السَّحَرِ فَحَلَّ مُشْكَلاً بِحَلِّهِ حَرِي

....

وَشَيْخُهُ فِي الْفِقْهِ أَحْمَدُ بْنُ وَالِدُهُ مُؤَلَّفُ اللُّوَامِعِ
وَأَخَذَ النَّحْوَ وَبَدُونَ مَعِينِ وَذَا هُوَ النَّاطِقُ لِلْأَمِيَّةِ
وَشَيْخُنَا فِي فِقْهِهِ الْمَأْتُورِ كَمَا أَتَى فِي نَحْوِهِ الْمُصُونِ
وَالشَّاذِلِيَّةُ بِهَذَا كَفِيْلُ

مُحَمَّدٍ سَالِمٍ وَهُوَ رُكْنُ وَالنُّهْرِ وَالرِّيَّانِ ذِي الْمَنَافِعِ
عَنْ شَيْخِهِ الْحَسَنِ نَجَلِ زَيْنِ تَتِمَّةُ أَعْدَاهَا مَرْضِيَّةُ
مُتَّصِلُ السَّنَدِ بِالْأَجْهُورِيِّ مُتَّصِلُ السَّنَدِ بِالْأَشْمُونِيِّ
لَهُ ابْنٌ مِثَالُ الرُّضِيِّ النَّبِيلِ

...الخ.

وقد وصل يحظيه في شأو العلوم إلى أقصى الغاية، وخرَّجت محظرتة صفوة من المتصدرين السباق، بهرت معارفهم سكان الآفاق، وأورد العلامة مم في هذا النظم بعضهم، وختم ذكرهم بقوله:

وغيرهم ممن يضيِّق الصِّكُّ عَنْهُ وَيَعْيَا بِالْعَدِيدِ الْفَكُّ

ومن نظم للعلامة محمد عالي بن نعم في سيرته أيضاً قوله:

وَعِلْمُهُ مُتَشَرِّبٌ بَيْنَ الْوَرَى وَلَيْسَ يُحْصَى مَنْ بِهِ تَصَدَّرَا

....

مَنْ يُمْنِيهِ فَالْأَخِذُونَ عَنْهُ نَالُوا جَمِيعَ ذِي الْخِصَالِ مِنْهُ
مَنْزِلُهُ رَحْبٌ لِكُلِّ أَحَدٍ يَتَّبَعُهُ طُلَّابٌ كُلُّ بَلَدٍ
وَالنَّاسُ فِي إِحْسَانِهِ سَوَاءٌ مَنْ مَّا لَهُ، وَمَنْ لَهُ لِسَوَاءٍ

...الخ.

هذا وكان من بين من تصدر عليه بإجازة مطلقة منه في المنقول والمعقول والدنا وشيخنا محمد عالي بن نعم العبد - كما مر - .

ومنهم أبناؤه أوفى واثاه وعبد الله السالم .

ومنهم أبي بن حَيْمُود ومَمُّ بن عبد الحميد الجكنيَّان، ومحمد سالم بن المختار بن ألما اليدالي، ومحمد عالي بن عبد الودود المباركي ... وغيرهم .

توفي - رحمه الله - يوم الإثنين ليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة: (١٣٥٨ هـ)، ودفن بـ «ذَاتِ الْكِعَابِ» (بَادُغُوغَ) في الناحية الشمالية الغربية من بير الميمون، الواقع على بعد (٩٠) كم شرقي انواكشوط، وفي ذلك يقول العلامة محمد عالي ابن نعم العبد:

مُدَّ حَلَّ غَوْرِكَ قُطْبُ الدَّهْرِ يُحْظِيهِ	ذَاتِ الْكِعَابِ عَلَوَتْ الْأَرْضَ فَافْتَحِرِي
لَمَّا حَبَاكَ بِهِ الرَّحْمَنُ مُعْطِيهِ	بُشْرَاكَ نَلْتِ الَّذِي مَا نَالَهُ بَلَدٌ
- وَمُنْشِدُ الشَّيْءِ قَدَمًا مِثْلُ مُنْشِيهِ -	لِسَانُ حَالِكٍ فِيهِ الْيَوْمَ مُنْشِدَةٌ
وَالرَّحْبُ وَالْبَشْرُ وَالتَّكْرِيمُ لَأَقِيهِ	«أَهْلًا بِمُقَدَّمِهِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُعْطِي مَا نُرْجِيهِ»	كُنَّا نُرْجِيهِ مُذْ حِينٍ وَنَأْمَلُهُ

... الخ .

● أحمد ابن محمد سالم (١٢٣٨ - ١٣٠٩ هـ):

وأما أحمد فهو: العلامة الزاهد، والأديب الناقد، شيخ المشايخ، القدوة الفدُّ، والبحر الزاخر، ذو الصيت الطائر، الفقيه المالكي الأصولي، أحمد بن محمد بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي .

ولد سنة: (١٢٣٨هـ) في منطقة «تيرس» الشمالية، وتربى ونشأ في كنف والديه الكريمين محمد -الآتي ذكره- وفاطمة بنت محمد بن سيدي محمد، وقرأ عليهما القرآن العظيم وحفظه قبل كل شيء، ثم التحق بمحظرة والده في سن مبكرة، ودرس عليه جميع العلوم الشرعية، وخصوصاً منها ما يدرس آنذاك في المحاضر الشنقيطية، وتصدر عليه حتى صار مدرساً إلى جنبه، وأصبح علامة بارعاً وإماماً متبحراً في سائر العلوم الشرعية، متخصصاً في علوم القرآن والحديث، وله اليد الطولى في التوحيد والفقه وعلم الأصول، وقد شهد له بذلك مشايخ عصره، أمثال الشيخ سيدي الكبير بن المختار بن الهيب الانتشائي، والشيخ ماء العينين، والشيخ سعد أبيه ابني الشيخ محمد فاضل، وأبناء مايايا الجكنيين... وغيرهم.

كانت له معرفة فائقة بما يعرف في مصطلح المحاضر بفن «المُتَمَّات»، مثل علم البيان والبديع والبلاغة والمنطق، وغيرها.

اشتغل بالتدريس طيلة حياته، وقد امتاز بجودة الإقراء، وحسن التلقين، ووضوح التعبير، والغوص على المعاني البعيدة، مع الفصاحة والبلاغة، وكان مُبرِّزاً في علمي المنقول والمعقول، خارق الذكاء راجح العقل حلو الفكاهة، أدبياً ظريفاً، يروى أنه كان إذا تناول بيده كتاب والده «لوامع الدرر» لحل مشكلة، يقول:

إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ السَّلَاحَ وَجَدْتَنِي مَنِيعًا إِذَا بُلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي^(١)

(١) البيت كما هو معروف من معلقة طرفة بن العبد البكري من (الطويل):

لِخَوْلَةٍ أَطْلَلُ بِبُرْقَةٍ تَهْمِدُ تَلُوخُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

وابتدر القوم السلاح: أي أسرعوا إليه. والمنيع: الذي لا يقهر. وبلت: ظفرت. وقائم السيف: مقبضه. انظر: شرح المعلقات للرزني: (٧٨) البيت الثامن والثمانين من معلقة طرفة بن العبد (٧٠ق. هـ).

وكان شاعراً مجيداً باللسانين: الفصيح والحساني، وأكثر شعره في مدح النبي ﷺ، وقد مدحه بقصائد رائعة ذائعة، تنم عن حبه الشديد، وتعلقه الأكيد بالجناب النبوي الشريف، وحنينه إلى البلاد المقدسة ومعاهدها ومشاهدها، حتى لقب بـ«شاعر النبي ﷺ»؛ منها قصيدته التي مطلعها:

أَمِنْ ذِكْرِ رَسْمٍ مِنْ أَهَالِيهِ أَفْقَرَا	تَهِيمٌ وَيَجْرِي مَاءٌ عَيْنَيْكَ أَحْمَرَا
أَلَا مَنْ لَصَبٌ شَجْوُهُ مُتَجَدِّدٌ	وَصَفْوُ رَحِيقِ الْوَضْلِ أَمْسَى تَكَدَّرَا
تَذَكَّرَ أَطْلَالًا بِهَا كَانَ إِلْفُهُ	وَدَأْبُ شَدِيدِ الشُّوقِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
عُهُودًا بِ«سَلْعٍ» فَ«الْعَقِيقِ» فَ«رَامَةٍ»	بِتَذْكَارِهَا حِلْمُ الْحَلِيمِ تَغَيَّرَا
عُهُودٌ لَهَا فِي الْقَلْبِ أَعْلَى مَكَانَةٍ	تَحَلَّتْ بِأَبْهَى مِنْ جُمَانٍ وَأَبْهَرَا
تَحَلَّتْ بِعَقْدٍ مِنْ جِوَارٍ مُحَمَّدٍ	فَأَضَحَّتْ بِذَا أَعْلَى الْبِلَادِ وَأَطْهَرَا

... الخ (وهي نحو ثلاثة وستين بيتاً).

ومنها قصيدته التي مطلعها:

لِمَا مِنَ الشُّوقِ وَالتَّهْيَامِ قَدْ دَخَلَهُ	نَارُ الْفَرَامِ عَلَى أَحْشَاءِ مُشْتَعِلَهُ
أَهٍ لَصَبٌ نَأَى إِنْسَانٌ مُقْلِتُهُ	فَاسْتَخْرَجَ الْوَجْدُ مِنْ أَجْفَانِهِ بَلَلَهُ
لَجَّتْ عَوَاذِلُهُ فِي لَوْمِهِ سَفْهًا	فَرِزْدُهُ كَلْفًا يَا حُمُقَ مَنْ عَذَلَهُ
هَاجَتْ بِلَابِلُهُ جَرَاءَ مَنْزِلِهِ	يَا بُعْدَهُ مَنْزِلًا أَقْوَى وَمَنْ نَزَلَهُ!
مَعَاهِدٌ بِلَوَى «سَلْعٍ» فَ«ذِي سَلَمٍ»	مَتَى تَذَكَّرْتُهَا فَالْعَيْنُ مُنْهَمِلَةٌ
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْأَحْوَالُ مُنْتَقِلَةٌ	هَلْ أَنْتِ آتِ الْحِمَى أَوْ مُبْصِرٌ قُلَلَهُ؟
وَهَلْ أُعْظِرُّ خَدِّي فِي رُبَاهُ وَهَلْ	يَقْضِي الزَّمَانُ غَرِيماً طَالَمَا مَطَّلَهُ؟

... الخ (وهي نحو ستين بيتًا).

ومنها قصيدته التي مطلعها:

أَتَذْرِي عَيْنُهُ فَضَضَ الْجُمَانِ	غَرَامًا مِنْ تَذَكُّرِهِ الْمَغَانِي
مَغَانِي «بِالْعَقِيقِ» إِلَى «الْمُنْقَى»	إِلَى «الْحَدِيدِ» تَذَكُّرَهَا شَجَانِي
أَمِنْ تَذَكَارٍ مَنْزِلَةٍ بِ«سَلْعٍ»	إِلَى «الْجَمَاءِ»... تُعَانِي مَا تُعَانِي؟
فَهَلْ عَزَمَ يَصُورُ عَلَى التَّوَانِي	وَهَلْ بَعْدَ التَّبَاعُدِ مِنْ تَدَانِ؟
وَهَلْ أَغْدُو بُكُورَ الطَّيْرِ رَحْلِي	عَلَى وَجَنَاءِ دَوْسَرَةٍ هِجَانِ؟
تَبْدُ الْعَيْسَ لَاحِقَةً كُلاهَا	وَتَطْوِي الْبَيْدَ مُسْتَفَنَةَ اللَّبَانِ
حَدَاهَا شَوْقُ دَارِ الْفَتْحِ مَشْوَى	إِمَامِ الرُّسُلِ مَأْمَنِ كُلِّ جَانِ

... الخ (وهي نحو خمسين بيتًا).

وله أنظام كثيرة مفيدة في شتى الفنون، وخاصة في الفقه.

وكان -رحمه الله- جميل المنظر طيب المخبر، مهيبًا ذا نخوة وشكيمة وإبابة ضميم، وكان ورعًا، برًّا، تقيًّا، غاضبًا بصره عن المحارم، شديد الاجتناب والامتنال، مشتغلًا بأمر دينه ودنياه، حكيماً حليماً موطأً الأكناف، صبورًا ذا رزانة، مكرمًا للجار والفقير والضعيف، حاملاً للكلِّ، قائماً بأمر العامة والخاصة، يكفل اليتامى والأرامل وطلبة العلم، كما كان جوادًا سخياً حسن الخلق متواضعًا.

وكانت علاقته مع أبيه محمد كما قال معاوية بن مرة المزني حين قيل له: كيف كان ابنك لك؟ (يعنون إياسًا) قال: «نعم الابن، كفاني أمر دنياي،

وفرغني لأخرتي»^(١)، فكذلك كفى أحمد والده محمدًا أمر دنياه؛ من تدريس الطلبة وتديير شؤون الناس والمعاش، وفرغه لأخرته؛ فكان محمد منقطعًا في الذكر والعبادة، وتأليف الكتب النافعة آخر عمره، وربما كان يحضر تدريس أحمد للتلاميذ فيثني عليه، وكان شديد الإعجاب به، كما كان أحمد أيضًا شديد الإعجاب بمحمد ويثني عليه.

وكان أحمد -رحمه الله- قد اعتنى بجميع العلوم الشرعية حتى أتقنها ونبغ فيها، وحاز قصب السبق في تحرير قاصيها ودانيها، وفي ذلك يقول تلميذه عبد السلام بن عبد الجليل العلوي:

إِذَا خَاضَ فِي فَنِّ تَيَقَّنْتَ أَنَّهُ مَدَى الدَّهْرِ لَمْ يُسْطِرْ سِوَاهُ لَهُ سَطْرٌ

وقد أناخت ببابه الركبان، وصدرت وهي تثني بما له من خصال حسان، يعز اجتماعها في مفرد من بني الإنسان؛ حيث كان الثناء عليه جاريًا على كل لسان.

فَسَارَ بِهِ مَنْ لَا يَسِيرُ مُشْمَرًا وَغَنَى بِهِ مَنْ لَا يُغْنِي مُغَرَّدًا

وحمل عنه العلم في الآفاق، وصار التنويه به موضع إجماع واتفاق، سواء في ذلك من لقيه وتلمذ عليه، ومن سمع به من بعيد ولم يصل إليه.

والمتصدرون عليه -وعلى والده محمد وأخويه عبد القادر وعبد الله- لا يحصون كثرة، والنَّاهلون من علمهم لا يحصيهم عدد.

ومن مشاهير تلامذته المتأثرين به والمعجبين به؛ العالم الجليل عبد السلام بن محمد بن عبد الجليل العلوي، والعلماء الأجلاء أبناء ماياها الجكنيون؛

(١) المعارف لابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) (٤٦٧).

وخصوصًا منهم محمد الخضر ومحمد حبيب الله، والعالم الفاضل أدّو (محمد فال) بن محمد مولود المباركي، والعالمان الجليلان؛ الشيخ محمد عبد الحي، واشريف ابنا سيد أحمد بن محمد بن الصبار، والعلامة محمد مولود بن محمد بن المختار (امرابط أغشممت)، ومحمد بن أحمد محمود بن السعيدي المجلسيون.

والعالم الكبير سيدي محمد بن داداه الانتشائي، والعلامة محمد عالي بن سيد الألفغي المعروف بـ«مع»، وأحمد باب بن البخاري بن الفلالي الشمشوي، ومحمد فال بن عينين الحسني، والعلامة الجليل سيويه زمانه يحظيه بن عبد الودود الجكني، وكان من أشد الناس تأثرًا وإعجابًا به.

ومن ذلك ما رواه تلامذة يحظيه عنه؛ أنه كان يتتبع عباراته في إلقاء الدرس وشرح النص كلمة كلمة، ويذكر الكيفية والمكان والزمن الذي قرأ عليه الدرس فيه، ويصف حركاته وسكناته، ويقول: قال أحمد وفعل أحمد...

هذا وقد أقام أحمد بشمال البلاد مع إخوته وسائر فصيلته ينشر العلم، عاكفًا على إقراء طلابه وإفادتهم بالتلقين الشفهي، فانتفع به خلق كثير.

ولم يزل يواصل بثه للعلم في صدور الرجال إلى أن توفي سنة: (١٣٠٩هـ)، بموضع في «تيرس» يعرف بـ«اگليب طير آلال»، ودفن به حول منهلٍ عُرف فيما بعد بـ«ابير أحمد».

ولما سمع يحظيه نعيه وأنه دفن بـ«اگليب طير آلال» أنشد قول الشاعر:

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجِدْ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعَهَا لَجْمُودُ
فَإِنْ تُمْسِ مَهْجُورَ الْجَنَابِ فَرُبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودُ

ثم قال: (أكلع لك يا اگليب طير ألال الغب أحمد مأه مَحْجُوم! أي: اقرأ كل يوم يا «اگليب طير ألال»؛ فقد نزل بك أحمد وليس معه طلاب يزدحمون ازدحامًا على درسه!) ؛ وذلك لكثرة ما كان يزدحم طلاب العلم على حلقات درسه في حياته؛ فيطول انتظار كل طالب لنوبته.

والحديث عن أحمد ذو شجون.

وخلاصة القول فيه باختصار: ما قاله الشريف بن سيد أحمد بن الصبار في قصيدته الفريدة في مدح آل محمد سالم، حيث يقول:

مَنْ مَثَلُ أَحْمَدَ فِي الْخِصَالِ جَمِيعِهَا وَالشُّطْرُ فِي إِيجَازِهِ إِطْنَابُهُ

ولما توفي -رحمه الله- سارع العلماء والأدباء في رثائه والثناء عليه، فمن ذلك على سبيل المثال، قول عبد السلام بن محمد بن عبد الجليل:

قَضَاءُ الْمَلِكِ الْعَدْلِ فِي فِعْلِهِ قَهْرٌ فَلَا تَبْتَسُّ مِمَّا دَهَاكَ بِهِ الدَّهْرُ
وَلَا تَغْتَرِرُ إِنْ لَانَ يَوْمٌ بِلِينِهِ فَمَنْ سَرَّ لِينُ الدَّهْرِ فَهُوَ امْرُؤٌ غَرٌّ
وَهَبْ لَذَّةَ الدُّنْيَا وَطِيبَ حَيَاتِهَا مُلِمَاتِ أَحْلَامِ تَزُورُ وَتَزُورُ
تَوَى تَبَّعَ عَنْهَا وَأَتْبَاعُ تُبَّعٍ وَهِيضَ بِكَسْرِي بَعْدَ عِرْتِهِ الْكَسْرُ
فَلَا قَيْصَرَ أَبَقْتُهُ فِيهَا قُصُورُهُ وَلَا خَلَدَتْ «دَارًا» الدِّيَارُ وَلَا الدُّرُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَارِدٌ غَيْرُ صَادِرٍ فَآوِنَةٌ زَوْجٍ وَأَوِنَةٌ وَتَرُ
إِلَى مَنْهَلٍ لَا يَمْنَعُ الْمَرْءَ وَرْدَهُ عَلَى كُرْهِهِ جَزءٌ وَلَا مَنْهَلٌ غَمْرُ
حَنَانًا لِعَيْنٍ دَمْعُهَا مَأْوُهُ قَطْرُ وَقَلْبٍ جَرِيحٍ فِيهِ يَلْتَهَبُ الْجَمْرُ
أَتَى خَبْرٌ عَمَّ الْبَرِيَّةَ غَمُّهُ وَغَمَّتْ بِهِ الْأَنْعَامُ وَالسَّهْلُ وَالْوَعْرُ

بِأَنَّ فَرِيدَ الْعَصْرِ «أَحْمَدَ» مَا كَثُرَ
كَانَ لَمْ يُبْنِغْ وَفَدٌ وَيُصْبِحُ ثَاوِيًا
وَلَمْ تَتَكَنَّفَهُ الْبَيْوْتُ وَمَا لَهَا
وَلَمْ تَزْدَحِمَ يَوْمًا حَوَالِيهِ فِتْيَةٌ
بُدِيرٌ عَلَى وُرَادِهِمْ كَأَسَ حِكْمَةٍ
وَيُضَدِّرُهُمْ فِي كُلِّ فَنٍّ وَإِنَّهُ
إِذَا خَاضَ فِي فَنٍّ تَيَقَّنَتْ أَنَّهُ
وَإِنْ سَأَلَ الْقَارِيَّ أَجَابَ بَلِيغًا
أَلَا إِنَّ فَقْدَ الْغَوْثِ أَحْمَدٌ ثُلْمَةٌ
هُوَ الرُّزْءُ فَلْتَبِكَ الْبُكَاءُ لِفَقْدِهِ
أَيُّضْدُقُ نَاعِيهِ وَمَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ
وَلَا انْهَدَّ طَوْدٌ لَّا وَلَا انْقَضَ كَوْكَبٌ
لَكِنْ كَانَ حَقًّا فَقَدْ أَحْمَدٌ فَالْأَمْرُ
أَنَاعِيهِ مَنْ ذَا يُؤْمَلُ عَائِلٌ
وَجَارٌ جَنِيْبٌ صِفْرٌ كَفَيْنِ بَائِسٌ
وَمَنْ لِقَرَى الْأَضْيَافِ فِي لَيْلَةِ الدُّجَى
وَجَفَّتْ عِيَابُ الْمُقْتَنِينَ وَالْقَيْتُ
أَنَاعِيهِ أَيْنَ الرَّرَّانَةِ وَالسَّخَا
وَأَيْنَ اخْتِمَالُ الْكَلِّ وَالصَّمْتُ وَالْحَيَا

بِعَمِّيَاءَ فَرْدًا مَا بِهَا غَيْرُهُ بَحْرُ
لَدَيْهِ وَلَمْ يَرْحَلْ لَهُ مِنْ نَوَى سَفْرُ
سِوَى مَالِهِ الْمَبْدُولِ ضَرْعٌ وَلَا ظَهْرُ
عَطَارِيْفُ شُمَّ مِنْ سِمَارِ الْعَلَا سُمْرُ
دِهَاقًا فَيَغْشَاهُمْ مِّنَ الطَّرِبِ الشُّكْرُ
لَعَمْرُكَ فِي كُلِّ الْفُنُونِ هُوَ الصَّدْرُ
مَدَى الدَّهْرِ لَمْ يُسْطَرْ سِوَاهُ لَهُ سَطْرُ
مِنَ الْقَوْلِ لَا تَثْرِيْبَ فِيهِ وَلَا رَجْرُ
وَكَسْرٌ لِدَيْنِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ جَبْرُ
فَلَا عَدْلَ إِنْ تَبَكَ الْبُكَاءُ وَلَا وَزْرُ
وَلَا زُلْزَلْتَ أَرْضٌ وَلَا كُشِفَ الْبَحْرُ
وَلَا كَسِفَتْ شَمْسٌ وَلَا خَسَفَ الْبَدْرُ؟!
- وَلَا سُخْطَ مِمَّا اللَّهُ قَدْرُهُ - إِمْرُ
مُضَافٌ أَجَاءَتْهُ الْمَحَافَةُ^(١) وَالْفَقْرُ؟
وَجَارٌ أَخُو قُرْبَى أَنَامِلُهُ صِفْرُ؟
إِذَا اغْبَرَّتِ الْأَقْطَارُ وَأَنْقَطَعَ الْقَطْرُ
أَصِرَّةُ أَشْوَالِ^(٢) الرَّعَا وَغَلَا السَّعْرُ؟
وَتَوَطَّئَةُ الْأَكْنَافِ وَالْحِلْمُ وَالصَّبْرُ
وَتَسْلِيمُ أَمْرِ اللَّهِ وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

وَأَيْنَ اتَّبَاعِ الشَّرْعِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَا
 وَأَيْنَ حِكَايَاتِ وَحُلُوفِ فَكَاهَةِ
 جَزَاهُ عَلَى فِعْلِ الْجَمِيلِ وَعَوْنِهِ
 وَأَسْكَنَهُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ جَنَّةٍ
 بِهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَنَمَارِقُ
 وَحُورٌ يَحَارُّ الطَّرْفُ فِيهِنَّ بِهَجَةٍ
 وَأَنْهَارٌ مَاءٍ مَأْوَاهَا غَيْرُ آسِنٍ
 وَدَانِي جَنِّي لَا شَوْكَ دُونَ اقْتِطَافِهِ
 جِوَارِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَحَوَارِهِ
 أَأَشْيَاخَنَا صَبْرًا جَمِيلًا فَمَا الدَّهْرُ
 إِلَّا فَاضِبِرُوا فَاللَّهُ خَيْرٌ لِمَيْتِكُمْ
 لَئِنْ سُرَّ يَوْمًا شَامِتٌ بِمُصَابِكُمْ
 فَأَنْتُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي عَيْنِهِ قَدَى
 مَا تَرَكْتُمْ لَا يَبْلُغُ الشُّعْرُ حَضْرَهَا
 وَلَا زَلْتُمْ غَيْظَ الْحَسُودِ وَمُنْتَهَى
 صَلَاةٍ وَتَسْلِيمٍ عَلَى خَيْرٍ مَنْ مَشَى
 وَإِحْيَاءُ لَيْلٍ وَالتَّلَاوُةُ وَالذِّكْرُ
 وَصِدْقُ مَقَالٍ لَا جَفَاءَ وَلَا هُجْرًا؟
 عَلَى الْبِرِّ مَوْفُورَ الْجَزَا رَبُّهُ الْبِرُّ
 بِهَا النَّخْلُ وَالْعُنَابُ وَالطَّلْحُ وَالسِّدْرُ
 وَإِسْتَبْرَقٌ مِنْ فَوْقِهَا رَفْرَفٌ خُضْرُ
 كَوَاعِبُ أَثْرَابٍ مُطَهَّرَةٌ زُهْرُ
 بِهَا وَمُصَفَى الشَّهْدِ وَالرُّسُلُ وَالْخَمْرُ
 وَمَمْدُودٌ ظِلٌّ لَا حَرُورٌ وَلَا قَرُّ
 لَدَى حَيْثُ لَا خَوْفٌ هُنَاكَ وَلَا زَجْرُ
 بِمُسْتَنْكَرٍ مِنْهُ التَّنَكُّرُ وَالْعَدْرُ
 وَخَيْرٌ لَكُمْ حَمْدُ الْعَوَاقِبِ وَالْأَجْرُ
 وَدَاخِلُهُ مِمَّا دَهَى الْبَشَرَ الْبَشْرُ
 وَفِي صَدْرِهِ وَخَرٌّ وَفِي قَلْبِهِ صَخْرُ
 وَلَمْ يُحْصِهَا الشَّهْمُ الْبَلِيغُ وَلَا النُّثْرُ
 مَسْرَّةً صَافِي الْوُدِّ مَا جَنَحَ النَّسْرُ
 وَمَنْ مَسَّ تَمْهِيدَ الْفِرَاشِ لَهُ الْقَدْرُ

● محمد بن محمد سالم (١٢٠٦ - ١٣٠٢هـ):

وأما ولد محمد سالم فهو: العالم العلامة أعجوبة زمانه وزينة قرنه وأقرانه، منتهى القصد والأمل، الجامع بين فضيلتي العلم والعمل، مالك أزمّة الفضائل، المتحلّي بأسنى ما تسعى إليه وتسعد به الأفاضل، الفقيه المالكي محمد بن محمد سالم، بن محمد سعيد، بن محمد بن عمر، بن أبي السيد المجلسي.

ولد -رحمه الله- سنة: (١٢٠٦هـ) في منطقة «تيرس» الغربية، ونشأ في كنف ورعاية والديه، وبدأ بدراسة القرآن العظيم في وقت مبكر من حياته على والدته وخاله محمد بن سيد محمد، وكان غاية في الذكاء والنجابة وسرعة التحصيل، الشيء الذي جعله يتقن القرآن حفظاً وضبطاً وتجويداً وهو ما زال في العقد الأول من عمره، ثم صرف همّته إلى طلب العلم في منطقتة، وأكّـب على درسه وتحصيله، منقطعاً إليه بكلّيته في مقامه وأسفاره، مواصلاً ليله بنهاره، تؤازره في ذلك همّة صادقة، وموهبة فائقة، وحافظة خارقة، مع إقبال على مطالعة الكتب ومراجعتها.

وقد أخذ عن بعض أعيان وفقهاء منطقتة، ثم التحق بالعلامة الفقيه حامد بن أعمار البارتيلي، الذي درس عليه مختصر خليل بن إسحاق بكامله.

ثم كان اعتماده بعد ذلك في تحصيل العلم على المطالعة بالدرجة الأولى، وحفظ الكثير من النصوص والامتون، وتبحّر في العلم وتعمّق في شتى الفنون، وكانت له اليد الطولى في الفقه وعلم الكلام، وكان مختصر العلامة خليل ربّع عزته، ومرباع نجعته؛ خاض عُبابه، وراض صعابه، وكشف للطلاب مخبّآته، وأبرز لهم ما خفي من مكنوناته، بالإضافة إلى غيره من النصوص

الفقهية المحظرية المتداولة، وامتدت منه البنان إلى علوم أخرى، كعلوم القرآن والحديث فأجاد فيها وأفاد.

وقد شهد له بذلك معاصروه من أهل العلم، كما عرف بجودة الإقراء، وحسن التعبير، والمهارة في كشف خبايا النصوص وحل ما أشكل منها.

ولما أكمل دراسته أسس محظرة جديدة، لم تكد تفتح أبوابها حتى طار ذكرها، وشاع أمرها؛ فأقبلت أفئدة الطلاب تهوي إليها، وأفواج الوافدين تنثال عليها، مغامرين بحياتهم في مجاهل الصحراء الموحشة، وأهوالها المرعبة، تحت تأثير مناخ قاس لم يألفه أكثرهم مع بعد الشقة، ووعورة المسالك، وندرة المياه؛ رغبة في الحصول على موطئ قدم في رحاب هذه المحظرة، التي فتحت صدرها لطلاب العلم، وأمدتهم بجوهره الثمين، وأخرجت لهم كنزه الدفين، وأحاطتهم بعين الرعاية ومزيد العناية، حتى جمعت في زواياها مجتمعاً فريداً من الطلاب والوافدين من شتى أصقاع البلاد ممن لا تربطه قرابة نسب، ولا تجمعهم علاقة سبب، غير التعلق بطلب العلم في هذه المحظرة، وشدة الإعجاب بها وبالقائمين عليها.

فمنهم من يستطيب دوام المقام هنالك، فلا يعود إلى الأهل بعد ذلك، ومنهم من يعود عودة ميمونة وقد ملأ اليدين بما يصلح به الدنيا والدين؛ ولذلك كان يقال: إن محظرة أهل محمد سالم يرُدُّها الطالب جاهلاً فقيراً ويصدر عنها عالماً غنياً.

وبعد أن امتد إشعاع هذه المحظرة، وانتشر خريجوها في نواحي البلاد، وبلغت درجة من الشهرة لم تبلغها نظيراتها في القطر، أصبحت من أمّات

المحاضر الشنقيطية، التي نشرت العلم على أوسع نطاق داخل البلاد وخارجها، على أيدي مؤسسيها محمد وبنيه وأحفاده، أو بواسطة خريجيها الكثر.

ونظرًا إلى علو مكانتها، ورفعة منزلتها؛ فقد كان شرف الانتساب إليها أمل كل طالب، وبغية كل راغب، خصوصًا من يسعى إلى التعمق في دراسة النصوص، فكان طلاب المحاضر بعد التخرج من محاضرتهم يتوجهون إليها؛ ليعيدوا ما درسوه بتعمق واستيعاب أكثر، فهي تمثل لهم ما يسمى في العصر الحديث بالدراسات العليا.

ومما قيل في شأنها: إن محظرة آل محمد سالم تبدأ من حيث تنتهي المحاضر الأخرى!

وقد برعت بصفة خاصة في دراسة علمي الكلام، والفقه، وبلغت مستوى لم يبلغه غيرها، ووصلت إلى درجة من كثرة الطلاب وإقبالهم على دراسة «مختصر خليل» أنه قد يوجد نصه من ألفه إلى يائه متكاملًا في ألواح الطلاب في وقت واحد دون قصد ذلك! وعن الفنون التي كانت تدرس بهذه المحظرة يقول أحد خريجيها، وهو العلامة الأديب الشريف بن سيد أحمد بن محمد بن الصبار، من قصيدته الرائعة التي مدح بها محمدًا وبنيه:

بِهِمْ لَبَالِي الْأَصْبَحِيَّةِ أَصْبَحَتْ	وَعَوِيصُ عِلْمِ الدِّينِ فُكَّ حِجَابُهُ
بِهِمْ كِتَابُ اللَّهِ أَتَقَنَّ حِفْظُهُ	تَأْوِيلُهُ تَجْوِيدُهُ إِغْرَابُهُ
عِلْمُ الْقَوَاعِدِ وَالْأُصُولِ قَدْ أَحْكَمَا	عِلْمُ الْبَيَانِ بِهِمْ أُدِلَّ صِعَابُهُ
وَكَذَا التَّصَوُّفُ وَالْحَدِيثُ وَقَدْ أَضَا	عِلْمُ النُّهَى أَشْكَالُهُ وَحِسَابُهُ

وَالسِّيَرَةُ الْغُرَاءُ أَكْمَلُ عِلْمُهَا غَزَوَاتُهُ وَبِعُوْنُهُ أَنْسَابُهُ

...الخ.

وباختصار فإن حياة محمد بن محمد سالم كانت غرة في جبين الدهر، وحلقة ذهبية لا يفي بحقها تحبير الحبر، على صفحات التبر، تعطرت بخدمة العلم في جميع أوقاته، منذ نشأته إلى حين وفاته، بأثا له في قلوب الرجال، وناثراً له بالتأليف في بطون الكتب في الحِلِّ والتَّرحال، وعاملاً به في الظاهر والباطن في جميع الأحوال، فبارك الله له في علمه وعمله وعمره، وفي بنيه العلماء النجباء الذين ساروا على منهاجه.

وقد أَلَّفَ محمد في فنون كانت عزيزة الوجود في هذه البلاد، مثل: علوم التفسير والحديث، فأجاد فيها وأفاد، كما أَلَّفَ في غيرها.

ومن أشهر مؤلفاته: «الريان في تفسير القرآن» و«النهر الجاري على صحيح البخاري» و«لوامع الدرر في هتك أستار المختصر»، وكل واحد من هذه الكتب الثلاثة في سبعة مجلدات ضخام.

ومنها: «منح العلي في شرح كتاب الأخصري» و«الدر النظيم في الثناء على المولى العظيم»... وغيرها.

وإلى بعض هذه المؤلفات يشير العلامة الشريف بن سيد أحمد بن الصبار في قصيدته المشار إليها آنفاً، حيث يقول:

مَا مَاتَ مَنْ أَبَقَى «اللَّوَامِعَ» بَعْدَهُ وَ«النَّهْرَ» يَجْرِي تَسْتَهْلُ سَحَابُهُ
وَلْبَحْرُهُ «الرِّيَّانُ» يُحْيِي وَحْدَهُ يَشْفِي غَلِيلَ ذَوِي الْغَلِيلِ شَرَابُهُ

وَلَحَسْبُهُ «الدُّرُّ النَّظِيمُ» حُلَى وَلَمْ يُسْبَقَ إِلَى مَا جَاءَ فِيهِ كِتَابُهُ
لَا تَنْسَ وَشِي الْأَخْضَرِيِّ فَإِنَّهُ حَنَمٌ إِذَا حُسِبَ الْخِصَالُ حِسَابُهُ

ويقول العلامة الكبير والمجاهد الشهير الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل:

لَمَعَتْ لَوَامِعُنَا «اللُّوَامِعُ» كَالدَّرَزِ فَسَقَى لَنَا «الرِّيَّانُ» رِيَّانَ «النَّهْرِ»
بِخَرٍّ تَقَاذِفَ دُرَّةٍ مِنْ مَوْجِهِ أَكْرَمَ بِبِحْرِ مَوْجِهِ كُلاً دُرَزًا

ويقول محمد فال بن محمد مولود الملقب «الددو» المباركي من قصيدة له

في مدح أسرة آل محمد سالم:

تَحَلَّوْا وَحَلَّوْا بِاللُّوَامِعِ وَارْتَوَوْا وَرَوَّوْا بِرِيَّانِ تَسْحُ مَوَاطِرُهُ
وَبِالنَّهْرِ الْجَارِي غَدًا لِنَبِيَّيَا لَفِي النَّهْرِ الْجَارِي جَنَى الدُّرِّ نَاطِرُهُ
لَقَدْ هَتَكَتْ أَسْتَارُ كُلِّ مُخْبِئًا وَذَلَّلَ صَعْبُ الْعِلْمِ فِيهَا وَنَافِرُهُ
تَنَاقَلَهَا أَهْلُ الْعُلُومِ لِفَضْلِهَا وَيَزْهَدُ فِيهَا سَيِّئُ الْفَهْمِ قَاصِرُهُ

ويقول محمد فال بن محمد بن أحمد بن العاقل:

طَرِبْتُ شَوْقًا وَمَا شَوْقِي إِلَى الْحَوْرِ وَلَا اللَّمَى بِذَوَاتِ الدَّلِّ وَالْخَفْرِ
وَلَا لِرِنْعِ بِذَاتِ الضَّالِّ مِنْ أَجَلِي وَلَا الْأَجَارِعِ مِنْ أَنْجَادِ ذِي عَشْرِ
لَكِنْ طَرِبْتُ إِلَى رَوْضِ كَسَاهُ أَبُو عُدْرِ الْمَسَائِلِ أَلْوَانًا مِنَ الرَّهْرِ
فَرَزُهُ إِنْ شِئْتَ تُبْصِرُ كُلَّمَا عَجَبَ بَيْنَ اللُّوَامِعِ وَالرِّيَّانِ وَالنَّهْرِ

وقد تصدر عليه من العلماء الأعلام، والفقهاء النبلاء من يضيق بحصره
المقام، ولا يستوفيه الكلام. ومنهم على سبيل المثال: أبناؤه الأربعة، وخصوصاً

منهم العلامة المدرس خليفته الأكبر أحمد بن محمد سالم.

وكان محمد هذا مضرب المثل في الورع والتقوى، كريماً، زاهداً، متواضعاً، حسن الخلق، منفقاً عابداً مجاب الدعوة، لا يخاف في الله لومة لائم.

وقد توفي -رحمه الله تعالى- بعد صلاة الظهر يوم الجمعة آخر يوم من ذي الحجة، سنة: (١٣٠٢هـ)، ودفن عند بير «دومس» في منطقة «تيرس».

ولما توفي طفق الشعراء والأدباء في رثائه والثناء عليه، فمن ذلك قول بعضهم:

تَنَاطَرَ دَمْعُ الْعَيْنِ مِنِّي عَلَى الرَّدَا	مَتَى مَا نَعَى النَّاعِي الْإِمَامَ مُحَمَّدَا
وَأَصْبَحَ رُكْنُ الدِّينِ غَيْرَ مُشِيدٍ	وَقَدْ كَانَ بِالشَّيْخِ الْقَوِيمِ مُشِيدَا
وَأَعْمَدَ سَيْفِ الْحَقِّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ	وَكَانَ بِهِ سَيْفُ الْعُلُومِ مُجَسَّرِدَا
إِمَامًا غَدَا سُبُلَ السَّلَامَةِ سَالِكَا	بِهِ لَاحَ ضَوْءُ الْحَقِّ مِنْ بَعْدِ أَحْمَدَا
إِمَامًا لَهُ فِي الْفَضْلِ أَشْرَفُ مَوْطِنٍ	أَنَارَ عَوِيصَاتٍ مِنَ الْعِلْمِ شُرْدَا
إِمَامًا عَلَا فِي الْمَكْرَمَاتِ وَذِكْرُهُ	أَغَارَ لَعْمِرِي فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا
فَقَدْ بَدَّدَ التَّالِيفَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا	فَأَضْحَى بِهِ عَافِي الْفُنُونِ مُجَدَّدَا
فَكَمْ قَدْ تَخَلَّى بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ	فَلَمْ يُرَ إِلَّا فِي الْفَلَا مُتَوَحِّدَا
بِهِ بَرَقَتْ قِطْعًا بُرُوقُ «لَوَامِعِ»	إِذَا شَامَهَا الْمُؤَصِّفُ بِالْحَيْرَةِ اهْتَدَى
وَبِ«النَّهْرِ الْجَارِي» غَدَا الشَّرْبُ جَارِيًا	وَمَا الرَّيُّ بِ«الرِّيَّانِ» يُلْفَى مُصَرَّدَا
تَلَامِيذُهُ صَارَ الْخَلِيلُ خَلِيلَهُمْ	وَمِنْ فَضْلِهِ نَالُوا الْمَقَاصِدَ وَالْهُدَى
وَكَمْ قَيَّدُوا نُورَ الْحَدِيثِ بِبَابِهِ	كَمَا قَيَّدُوا نُورَ الْقُرْآنِ مُؤَيَّدَا

وَلَوْ رَامَ مِنْهُ قَطُّ بِالْجُودِ حَانِمٌ مُسَابِقَةً عَنْهُ تَقَاصَرَ فِي الْمَدَى
وَأَقْصَرَتْ الْأَمْطَارُ عَنْ سَيْبِ نَفْلِهِ وَلَا الْبَحْرُ يَحْكِي فِي الْكِرَامَةِ سُودَا
فَيَا رَبِّ هَذَا الشَّيْخُ لَا زَالَ مَرَضِيًّا لَدَيْكَ وَوَسَّعَ لِحَدِّهِ مَثْوَحًا
وَقَابِلُهُ بِالرُّضْوَانِ وَافْتَحَ لَهُ غَدًّا مِنَ الْجَنَّةِ الْعَلِيَاءِ بَابًا مُصَمَّدًا
وَعَوَّضَ لَهُ وَسَطَ الْجَنَانِ مِنْ أَهْلِهِ كَوَاعِبَ أَتْرَابًا مِنَ الْحُورِ خُرْدًا
وَصَلَّى عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ رَبُّ الْعِبَادِ وَمَجَّدًا

● حامد ولد أعمر (.....):

وأما ولد أعمر فهو: العلامة الشهير، والبدر المُنير، جاني جَنَى العلم
المستَجاد، بالجد والاجتهاد؛ مُدني شَوَارِدِهِ، ومُقَيَّد أَوَائِدِهِ، ومُحَلِّي الأَعناقِ
بفرائده وفوائده، الفقيه المالكي حامد بن أعمر بن أَلْفَغ محيي الدين بن اعلي،
بن محمد بن الطالب جبريل البارتيلي الشنقيطي.

أخذ العلم عن ابن عمه العلامة أحمد محمود بن أَلْفَغ الخطاط البارتيلي،
ولازمه في الشدة والرخاء، كما أخذ عن العالم الشريف الصالح الأمين بُوعَتْرُوسَ
دفين «انتفاشيت» (شمال وادي الناقة).

وكان رحمه الله من أهل الجد والاجتهاد في طلب العلم، كثير السهر في
ذلك شديد الصبر.

وكان عالمًا جليلاً، متواضعًا، مشهورًا بالزهد والصلاح، وقد أسس محظرة
جامعيةً إلى جانب محاضر بني عمومته، تنتظم في سلك محاضر أسلافه،
وضرب إليها طلاب العلم أكباد الإبل من كل حذب وصوب، وكانت مُتَنَقِلة

- كسائر المحاضر الشنقيطية آنذاك- بين مناطق «أوكار» و«إينشيري» و«أكشار» و«أمساگه» و«تيرس».

ومن أماكنها المشهورة «لگلیتات» و«أغسرمت» و«لمدن» و«تابرنكوت» وضواحي «أگجوجت» و«ألبه» في «أكشار» و«أعلاب جرك» في «أمشتيل».

واشتهر ذكر هذه المحاضرة في هذه المواضع، وارتادها الطلاب من الشرق والغرب.

وقد ظل هذا الشيخ ينشر العلم وبيته في صدور الرجال طيلة حياته، وعرف بجودة التدريس وسلاسة التعبير، واشتهر بلقب «عالم الساحل»، وبلغت محضرته الغاية القصوى في كثرة الطلبة وازدحام الواردين، حيث يروى أن مختصر العلامة خليل تكامل نصّه، على شكل دروس في ألواح تلامذتها، من بدايته إلى نهايته في آن واحد في بعض الفترات.

وقد نوه بذكره العلماء، وأثنى عليه الشعراء، ومن ذلك قول بعضهم: (١)

سَلَامٌ عَلَى مَنْ كَانَ لِلْعِلْمِ نَاشِرًا وَمَنْ كَانَ يُحْيِي مِنْهُ مَا كَانَ خَامِدًا
وَمَنْ كَانَ يَجْنِي طَالِبُوهُ ثِمَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُدْنِي مِنْهُ مَا كَانَ شَارِدًا
عَنَيْتُ بِدَا مَنْ كَانَ وَاحِدَ دَهْرِهِ إِمَامَ الْهُدَى شَمْسَ الظَّهِيرَةِ حَامِدًا
فَلَا زَالَ سُؤْبُوبٌ مِنَ الْعَفْوِ وَالرِّضَا لِبَابِكَ يَا شَيْخَ الْمَشَائِخِ قَاصِدًا

ومن آثاره العلمية بعض الفتاوي، ولكنها ما زالت مفقودة.

وقد تخرج من محضرته خلق كثير من فطاحلة العلماء، ومن

أشهرهم:

(١) نسب بعضهم هذه الأبيات للعلامة أحمد بن محمد بن محمد بن محمد سالم.

ابنه عمر بن حامد، الذي خلفه في المحظرة، والعلامة محمد بن محمد سالم المجلسي، ومحمد مختار (ابوه) بن حبيب الله بن محمد آب بن المختار بن ألفغ موسى الموسوي، والشيخ سيد أحمد بن الحسن بن أحمد محمود بن ألفغ الخطاط، ولفضل بن عبد الودود بن الحاج المختار، وعلي لبريشي... وغيرهم.

توفي -رحمه الله- في القرن الثالث عشر الهجري، ودفن في منطقة «أمساگه» بموضع يعرف بـ «ظايت ول أعر»،^(١) وقد أصبح ذلك الموضع مزاراً مشهوراً ومدفناً مذكوراً.

● أحمد محمود بن ألفغ الخطاط (.... - ١٢١٧هـ):

وأما ولد ألفغ الخطاط فهو: العلامة العلم، والبدر الأتم، المدرس النبيه، والقدوة الوجيه، وارث علوم أبيه وناشرها بين وارديه وطالبيه، الفقيه المالكي الصالح التقى الشيخ أحمد محمود بن ألفغ الخطاط البارتيلي.

تصدر في العلم على والده ألفغ الخطاط، وخلفه على المحظرة وتدریس العلم، وقام بذلك أحسن قيام، وأقبل عليه طلبه العلم من مختلف الأصقاع والأرجاء، متزاحمين على منهل العذب ازدحام الظماء على معين الماء، وتخرج به العلماء الأجلاء، والمشايخ الفضلاء، والآخذون عنه كثر لا يحيط بعدهم حصر.

(١) نسبت إليه، وهي تبعد من مدينة أكجوجت حوالي (٥٥) كم شمالاً.

وممن تصدر عليه:

ابنه الحسن بن أحمد محمود، الذي خلفه على المحظرة، وحامد بن
أعمر البارتيلي، ومحمد (لمجيدري) بن حبيب الله اليعقوبي، وعبد الله بن
لمرابط سيدي محمود الحاجي، ومحمد بن عبد الودود بن الحاج المختار
الجكني، وأحمد مسكه بن الفلالي الباركلي، وسيد إبراهيم بن عبد الله بن باب
السملالي... وغيرهم.

وكان من أهل السيادة والفضل والصلاح، مجاب الدعوة، ظاهر المزية، شاع
ذكره واشتهر أمره بين الخاص والعام، وقام بسياسة قبيلته ومن انضم إليها أحسن
قيام، وكان ذا وجاهة عظيمة عند أصحاب الشأن؛ من زوايا وحسان، وأهدى له
أمراء عصره الهدايا السنية، وأغدقوا عليه العطايا السخية.

توفي -رحمه الله تعالى- لسبع خلون من شوال، سنة: (١٢١٧هـ)، ودفن
عند جبل «أشليشل» في طرف «أكشار» في مزارعة كبيرة فيها شرفاء وصلاحاء.

• ألفغ الخطاط (.... - ١١٩٦هـ):

وأما ألفغ الخطاط فهو: العلامة الراسخ، والطود الباذخ، منار سبيل السالك،
وقطب رحي فقه الإمام مالك، قبلة طلاب العلوم، ومرتادي رياض التصوف
والفهوم، الفقيه المالكي، الولي الصالح، عمر بن محمد، بن عمر، بن أوبك
(أبي بكر)، بن علي، بن يعقوب، البارتيلي الشنقيطي الملقب: ألفغ الخطاط،
ويلقب أيضا بـ «آبيه»^(١).

ولد في مطلع القرن الثاني عشر الهجري، واشتغل بطلب العلم، تحته همة
لا تعرف الكلال، وتشد أزره عزيمة لا تقبل الملل، فجد واجتهد في تحصيل

(١) بمد الهمزة وإمالة الموحدة مشددة وسكون الهاء.

العلم، وتوجّه له إلى كل الجهات، كأنّه مجتهد تحيّر في تحديد جهة الصلاة. ومن الأقطار التي شملها تطوافه بالإضافة إلى منطقتيه: «القبلة» و«آدرار»، «ولاته» و«أزواد» وبعض المناطق المغربية، وأخذ عن العديد من علماء عصره، ومن أبرزهم:

العلامة القاضي ولد اعلي أمّم السباعي، الذي أخذ عنه الفقه وغيره، والعلامة انجبنان بن محمد بن أحمد جهجه الحبيثي، والولي الصالح سيد أحمد لحبيب السجلماسي.

ولم يزل يتابع الدرس والتحصيل حتى صار من أبرز علماء البلاد، وأكثرهم شهرة في كل صُقع ونادٍ، وكان له التفوق الظاهر، والسبق الباهر، في علم الكلام والفقه المالكي والعلوم اللغوية.

وأسس محظرة كبيرة أصبحت مرجعًا للفقه، وقبله لطلاب العلوم الشرعية واللغوية، رَوَى وُرَادَهَا بفنون العلم؛ فاشتهرت إفادته، وكثرت تلامذته، حتى اشتهر أنه كانت تجتمع عنده مائة تلميذ في قراءة مختصر خليل خاصة.

فطار صيت محظرتيه في نواحي البلاد، وأصبح عليها التعويل والاعتماد، وكانت -كغيرها من المحاضر الشنقيطية- متنقلة، وأكثر استقرارها في منطقة «إينشيري»، وبالذات بموضع يسمّى: «تابرنكوت» في شمال شرق مدينة «أگجوجت» الحالية.

ويعدُّ آبيه من أبرز علماء الصوفية ورؤاد الطريقة الشاذلية، وكان قد أخذها عن العلامة الصوفي سيد أحمد لحبيب السجلماسي.

وتخرج على يديه العديد من فطاحلة العلماء، ومشايخ الصوفية النبلاء،

مثل:

ابنه وخليفته العلامة أحمد محمود الذي انتصب للتدريس بعده في المحظرة، وعلماء أجلاء من بني عمومته، وممن تخرج عليه: سيد عبد آل بن الفاضل بن باركل، في جماعة من آل باركل، كما يشير إليه العلامة الكبير، والصالح الشهير، الشيخ محمد المامي في قصيدته المعروفة بـ«الدلفينية» حيث يقول:

وَقَدْ تَوَى أَلْفُخُ الْخَطَّاطُ بَيْنَهُمْ وَالْأَخْذُ عَنْ جِلَّةِ الْأَشْيَاحِ مَيْمُونُ
وَسَارَ فِينَا بَنُوهُ الْغُرُ سِيرَتُهُ فِي تَبَعِ أَوْرَقَتِ مِنْهُ الْأَخَاصِينُ

ومنهم: العلامة لمجيدري بن حبيب الله اليعقوبي^(١)، والشيخ الجليل حمدي بن الطالب أجود^(٢) الحاجي... وغيرهم.

وكان -رحمه الله- حسنة من حسنات الدهر علماً وعملاً وصلاً وفضلاً وخُلُقاً، كريم النفس، عالي الهمّة، فقيهاً نحوياً، تقياً نقياً، مُتَطَهِّراً ورعاً عابداً، جواداً كريماً، محبباً لأهل السُنَّة، مُجَانِباً لأهل البدعة، وَصُولاً للرحم، حاملاً للكُلِّ، ظاهر الكرامات.

ومن آثاره العلمية: طُرَّةٌ وضعها على مختصر الشيخ خليل بن إسحاق لتفسيره وفك رموزه، تُعرف بـ«طرة آبيه»، وبـ«طرة ألفخ الخطاط»، وقد اعتنى بها مشايخ وطلاب المحاضر الشنقيطية فدرَّسوها ودرَّسوها ونسخوها.

(١) عن لمجيدري هذا أخذ العلامة البخاري بن الفلالي.

(٢) عن حمدي بن الطالب أجود هذا أخذ العلامة محض بابنه بن ابيد الديماني.

وله ابتهالات وتوسلات، منها قوله:

يَا لَللّهِ يَا لَللّهِ أَلْفَا مُكْرَرَةً يَا بَرُّ يَا حَسِيَّ يَا قَيُّوْمُ خُذْ بِيَدِي
يَا مَنْ هُوَ الْمُرْتَجَى وَالْمُلْتَجَى وَيَدِي حِرْزِي مِجْنِي وَسَيْفِي مَلْجَايَ عَضُدِي
وَحَسْبِيَ اللّهُ لَمْ أَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا وَحَسْبِيَ اللّهُ مِنْ وَالٍ وَمِنْ مَدَدِ
يَا رَبِّ بِالتَّسْعِ وَالتَّسْعِينَ زَيْدَ عَلَاً لِمَا أَثْمَرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدِ

توفي -رحمه الله- في شهر شعبان سنة: (١١٩٦هـ)، ودفن بموضع يسمّى: «أَنْتَر»، في منطقة «إينشيري»، وأصبح ذلك الموضع مزاراً كبيراً ومدفناً شهيراً، جامعاً للكثير من أهل العلم والفضل والصلاح.

وقد قال العلامة السيري أحمد البدوي المجلسي وهو ينقل أخاه المختار بن محمدا ليدفنه في ذلك المدفن:

إِلَيْكَ أَيَا خَطَّاطُ جُبْنَا سَبَاسِبَا نُؤْمُكَ بِالْمُخْتَارِ قُدُّسْتُمَا مَعَا
...الخ.

● ولد اعلي امم (..... - نحو ١١٢٠هـ):

وأما ولد اعلي امم فهو: بحر العلوم الزخار، وغيث تدرسيها المدرار، مُجَلِّي حَلَبَةِ السَّبَاقِ، وَمُحَلِّي الأَعْنَاقِ بِنَفَائِسِ الأَعْلَاقِ، الفقيه المالكي القاضي بن اعلي امم السباعي المومني^(١).

(١) المومني نسبة إلى فخذ «أولاد المومنه» الذين ينحدرون من سيد اعمار بن إبراهيم بن أعمر بن عامر أبي السباع، ويقال له في الخطاب الدارج «الغاظ (بالين والظاء المشالة) ولد اعلي امم».

ولد في النصف الأخير من القرن الحادي عشر الهجري، ودرس العلوم الشرعية - وخصوصاً الفقه والنحو - على شيخ الشيوخ الفألبي بن بوالفألبي الحسيني، ولازمه عشرين سنة.

ولم يزل مكباً على طلب العلم وتحصيله حتى فاق أقرانه، وصار من أبرز علماء عصره وأشهرهم، وشهد له شيخه بذلك.

فقد سئل الفألبي بن بوالفألبي ذات مرة عن طلاب محظرتة، وكانت من كُبريات المحاضر الجامعة الرائدة في المنطقة، فقال: أفضلهم في الفقه فلان، وأفضل منه ابن اعلي أمم السباعي، وأفضلهم في النحو فلان وأفضل منه السباعي... حتى عدد كل الفنون التي تُدرّس في محظرتة، وفي كل فن منها يقول: إن أفضل طلابه فيه القاضي بن اعلي أمم السباعي.

وهؤلاء الطلاب الذين كان الشيخ يذكرهم، مُبرزاً كل واحد منهم في فنّ معيّن، مُفضّلاً عليهم القاضي السباعي، كانوا بعد ذلك من أبرز وأشهر علماء البلاد الشنقيطية!

أسس ولد اعلي أمم محظرة كبيرة في منطقة «آدرار»، أصبحت قبلة لطلاب العلم، وتخرج عليه العديد من العلماء الأجلاء، مثل:

العلامة ألق الخطاط بن محمد بن عمر البارتيلي، والعلامة ألق مينحن بن مودي مالك، وغيرهما كثير.

وكان للقاضي بن اعلي امم هذا تفوق كبير، وإتقان فائق لسائر العلوم الشرعية، كما كانت له علاقات وثيقة بعلماء عصره، ومكانة اجتماعية كبيرة في نواحي قطره، وفيه يقول العلامة الجليل الشيخ محمد المامي بن البخاري في

قصيدته المشهورة بـ«الدلفينية» متحدثاً عنه وعن علاقته بقبيلته آل بارك الله
الكريمة:

وَالْقَاضِ الْأَنْقَى ابْنُ أَعْلَى أُمَّمَ رَأْسَلَهُمْ إِتْقَانُهُ قَصْرَتْ عَنْهُ الْأَتَاقِينُ

وكان -رحمه الله- من أهل الفضل والصلاح، ظاهر الكرامات والخوارق، منها:

أنه كان أول من أشار بحفر البير المعروفة ببير «عظم أناجيم» في الشمال
الغربي من القطر الشنقيطي،^(١) وكان محلها إذ ذاك مفازة لا ماء فيها، وأشار على
من معه بذبح ثور عندها، والثور الكبير يطلق عليه في اللغة الصنهاجية «أناجيم»،
فحفرت تلك البير وانفجرت بالماء، وصارت تعرف باسم «عظم أناجيم».

ثم توفي بها حوالي (١١٢٠هـ)، ودفن بها فصار قبره مزاراً شهيراً.

وقد زاره العلامة الشهير عبد الله بن لمرابط سيدي محمود الحاجي وخاطبه

بقصيدة منها:

أَيَا شَيْخَنَا الْقَاضِي إِمَامَ الْأَكَابِرِ وَيَا قَمَرًا مَثْوَاهُ بَيْنَ الْقَنَاطِرِ
نَزُورُكَ لِلْحَاجَاتِ تُقْضَى بِأَسْرِهِا وَلِلدُّنْيَا وَجِبْرِ الْخَوَاطِرِ

● الفالبي بن بو الفالبي (.... - نحو ١٠٨٠هـ)

وأما شيخ الشيوخ فهو: العلامة الشهير، والقاضي الكبير الفقيه المالكي،
شيخ الإسلام، وعلم الأعلام، ذو الفضل والرسوخ، الشهير بشيخ الشيوخ،
سيدي الفاضل بن أبي الفاضل: محمد بن يعقوب بن أبوبك (أبي بكر) الحسني
الفاضلي، ويدعى: الفال بن بو الفالبي.

(١) تقع بين مدينتي ازويرات وبير أم اقرين الحاليتين.

ولد في النصف الأوّل من القرن الحادي عشر الهجري، بمنطقة العُقْل، جنوبي «أبي تلميت» الحالية، وهي منطقة اشتهرت باهتمام أهلها باللغة العربية والأدب وعلوم الفقه.

وأخذ الفأل عن بعض مشايخ قطره، مثل:

الحاج عبد الله بن الفقيه محمد العلوي، وأحمد بن أحمد بن الحاج الشنقيطي.

ثم سمت به همته فسافر في منتصف القرن المذكور إلى الحج والاستزادة من العلم، فقدم مصر، وأقام بها أربع سنوات التَّحَقَّ فيها بشيخ المالكية في عصره علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري، فأخذ عنه، كما في «المنارة والرباط»^(١)، وكما تواتر عن العديد من علماء الشناقطة.

ويروى أيضًا أنه أخذ عنه مختصر خليل وعلوم الحديث، ولازمه حتى أجازته إجازة بخط تلميذه الشبراخيتي، كما دَرَسَ ودَارَسَ بعض تلامذته، من أمثال: عبد الباقي الزرقاني، والشبراخيتي، والخرشي.

ثم سافر إلى الحج وأخذ عن بعض علماء الحرمين الشريفين.

ثم سافر إلى الشام والعراق في رحلة علمية وبحث عن الكتب.

ثم عاد إلى مصر ومكث فيها سنوات أخرى يستنسخ الكتب.

ثم عاد إلى بلاده بعد أن أخذ علمًا جمًّا عن شيوخ المالكية بمصر، واستفاد مكتبة ضخمة.

(١) في (ص: ٢٧٤).

وبعد قدومه أسس محظرة طارت شهرتها في بلاد شنقيط، وأقبل عليها طلاب العلم من كل وجهة، وخرَّجت ما يزيد على الثلاثين من العلماء المؤسسين للمحاضر في مختلف مناطق بلاد شنقيط، ولذلك لقب بـ«شيخ الشيوخ».

ومن بين أولئك العلماء العلامة القاضي بن اعلي أمم السباعي، والفقير أحمد بابة بن الحاج الإيجي، والقاضي المختار بن ألفغ موسى اليعقوبي، ومحض بن أحمد بن وديعة الله الحسيني، والفقير مسك بن باركله، والفقير سيد أحمد العلوي... وغيرهم.

وله حاشية على مختصر خليل.

وتعود للفأل هذا مختلف أسانيد رواية مختصر خليل المالكي في بلاد شنقيط.

وتوفي -رحمه الله- في بداية القرن الثاني عشر الهجري، ودفن بمقبرة «أغورط»^(١).

● علي الأجهوري (٩٦٧ - ١٠٦٦هـ):

وأما الأجهوري^(٢) فهو الإمام العلامة الفقيه عالم الإسلام، وشيخ الشيوخ العظام، خاتمة أهل الإسناد ومفتي المالكية، أبو الحسن علي نور الدين بن محمد زين العابدين بن عبد الرحمن بن علي الأجهوري المصري. ولد بمصر سنة: (٩٦٧هـ).

(١) شمال شرق التاغلالت بمقاطعة المذرذرة (ولاية اترارزه).

(٢) الأجهوري: بضم الهمزة وسكون الجيم وضم الهاء نسبة إلى «أجهورة الورد» قرية بريف مصر، (خلاصة الأثر) وقد اشتهر بالانتساب إليها عدة شخصيات علمية.

وقد أخذ عن أعلام يُشَقُّ استقصاؤهم، منهم:

شمس الدين محمد بن سلامة البنوفري المصري كما في «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» للعلامة أبي عبد الله محمد بن محمد بن مخلوف المالكي التونسي^(١)، و«خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر»، للمحبي محمد أمين بن فضل الله الحموي الدمشقي^(٢)، و«فهرسة الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات»، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني^(٣)، و«فهرسة الشيخ أبي الحسن علي بن خليفة الشريف المساكني»^(٤).

وقد أجازته البنوفري هذا، وأخذ أيضاً عن عبد الكريم بن ناصر الدين البرموني، وعن قاضي المالكية البدر بن يحيى، والحافظ نور الدين علي بن أبي بكر القرافيين، وعثمان بن علي بن محمد بن علي العزّي المصري المالكي^(٥)، وهؤلاء المذكورون أخذوا جميعاً عن جده عبد الرحمن الأجهوري كما في «شجرة النور الزكية»^(٦) و«سلسلة إجازة علامة شنقيط ولد بلعمش» للجماني^(٧)، وأخذ أيضاً عن أبي النجاة سالم بن محمد بن ناصر الدين المعروف بسالم السنهوري، وشمس الدين محمد الرملي، ومحمد بن إبراهيم التتائي، وصالح البلقيني وغيرهم.

(١) في تراجم الأجهوري، والبرموني، والبنوفري.

(٢) في ترجمة علي بن محمد الأجهوري.

(٣) في ترجمة علي الأجهوري.

(٤) في إجازته وسلسلة مشايخه.

(٥) توفي عثمان بن علي هذا سنة (١٠٠٩هـ).

(٦) في ترجمة علي الأجهوري.

(٧) المنارة والرباط (ص: ١٨٠).

وكان من العلماء الأفاضل في الفقه والحديث، وكان شيخ المالكية في عصره وصدر الصدور في مصره (القاهرة)، إمام الأئمة، وقدوة الزهاد، محدثاً، فقيهاً، صوفياً، جمع بين العلم والعمل، وطار صيته في الخافقين، وعم نفعه، وبرع في الفنون فقهاً وعربيةً وبلاغةً ومنطقاً، ودرّس وأفتى وصنّف وألّف، ورحل إليه الناس من الآفاق للأخذ عنه، وانتفع الناس به طبقة بعد طبقة من سائر المذاهب، فألحق الأحفاد بالأجداد، وانتهت إليه رئاسة مذهب مالك في المشرق.

وتخرج عليه من لا يُحصون كثرة، منهم:

الفقيه إبراهيم بن مرعي بن عطية الشبراخيتي، والفقيه محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني، والفقيه محمد بن عبد الله بن علي الخرشي، وكل هؤلاء الثلاثة شرح مختصر خليل.

وممن أخذ عنه وأثنى عليه كثيراً: أبو الحسن علي بن خليفة بن رزق الله بن عبد الواحد بن علي الشريف الحسيني المساكني^(١)، وشيخ الشيوخ الفاضل بن أبي الفاضل الحسيني الشنقيطي، والقاضي عبد الله بن حبيب العلوي، وأبو محمد الحاج عبد الله بن الفقيه محمد.

وله مؤلفات كثيرة منها:

ثلاثة شروح على مختصر خليل بن إسحاق، كبير، ووسط، وصغير^(٢).

(١) المولود سنة: (١٠٨٠هـ)، توفي سنة: (١١٧٢هـ)، والمساكني نسبة إلى مدينة مساكين: بلدة من سواحل تونس، أسس بها عليّ هذا مدرسة كبيرة نالت بها هذه المدينة شهرة فائقة.
(٢) قيل الكبير اثنا عشر مجلداً، والوسط خمسة مجلدات، والصغير مجلدان، والله أعلم.

ومنها: شرح منظومة العقائد في التوحيد، وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني المسمّى: «تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة»، و«شرح مختصر ابن أبي جمرة على البخاري» في الحديث، و«المغاربة وأحكامها»، و«شرح الدرر السنية في نظم السيرة النبوية»، و«النور الوهاج في الكلام على الإسراء والمعراج»، و«شرح ألفية ابن مالك» و«حاشية على شرح التتائي» و«حاشية التهذيب للفتازاني» في المنطق، وله مجموع في الفتاوى، وغير ذلك، وقد رزق في كتبه الحظ والقبول.

توفي في جمادى الأولى سنة: (١٠٦٦هـ).

● محمد البنوفري (... - ٩٩٨هـ):

وأما البنوفري: فهو العلامة الورع الفقيه الحجة، شيخ المالكية في عصره، أبو عبد الله محمد شمس الدين بن سلامة البنوفري، المصري.

أخذ عن الشيخ عبد الرحمن بن علي الأجهوري، وناصر الدين اللقاني، كما في «شجرة النور الزكية» لابن مخلوف^(١)، و«الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة» للنجم الغزي^(٢)، و«فهرسة الشيخ علي بن خليفة المساكني»^(٣)، و«مد الأرب وعلوم الإسناد والأدب» للعلامة الأمير الكبير.

وكان الأجهوري يثني عليه ويحبه ويصفه بالزهد، وقد أجازوه.

وأخذ أيضاً عن التاجوري، والشيخ فتح الله الدميري، والشيخ نور الدين الديلمي، وغيرهم، وأجازوه بالإفتاء والتدريس.

وكان من أعيان فقهاء مصر وفضلائها، إماماً عمدة عالماً مشهوراً بالدين

(١) في ترجمتي علي الأجهوري والبنوفري.

(٢) في ترجمة محمد بن سلامة البنوفري.

(٣) في سلسلة مشايخ علي بن خليفة المساكني.

المتين، والصلاح والزهد والعبادة، تفرّد برئاسة المذهب في مصر، وكان مُكَبِّاً على العلم والعمل، غير ملتفت إلى شيء من الدنيا، وحج كثيراً، ورأبَط، وبَثَّ العلم. وأخذ عنه كثيرون، منهم: علي نور الدين بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري وسالم السنهوري، وغيرهم. توفي في حدود سنة: (٩٩٨هـ).

● البرموني (٨٩٣-٩٩٨هـ):

وأما البرموني: فهو الشيخ الكبير الفقيه المالكي عبد الكريم، كريم الدين بن ناصر الدين البرموني المصراطي^(١).

ولد بمصراطه سنة (٨٩٣هـ)، وتفقه بها، وأخذ عن عبد الرحمن بن علي الأجهوري، كما في «شجرة النور الزكية»^(٢)، و«فهرسة الشيخ أبي الحسن علي بن خليفة الشريف المساكني»^(٣)، ثم تفقه بمصر على ناصر الدين اللقاني، كما في «شجرة النور الزكية»^(٤)، وأخذ أيضاً عن أخيه الشمس اللقاني ولازمه، وعن الشيخ التاجوري، وأبي المكارم البكري، وعبد القادر الفاكهاني، وغيرهم.

فكان إماماً عالماً بفقهِ المالكية، محدثاً راوية، نبيهاً، صوفياً، ثم انتقل إلى مكة المشرفة؛ فنال بها من العز والتكريم ما لم ينله في غيرها.

(١) البرموني: بفتحين وضم الميم: نسبة إلى قرية بين المنصورة ودمياط. والمصراطي نسبة إلى مصراطه أو مصراته مدينة في ليبيا كان بها أخواله، حيث ولد هناك، وكان والده من أصحاب الشيخ أحمد زروق.

(٢) في ترجمتي علي الأجهوري والبرموني.

(٣) في سلسلة مشايخ علي بن خليفة.

(٤) في ترجمتي عبد الكريم البرموني واللقاني.

ومن آثاره العلمية:

شرح على مختصر خليل في جزأين، و«روضة الأزهار» في مناقب شيخه عبد السلام بن سليم الطرابلسي المتوفى (٩٨١هـ).

وأخذ عنه أئمة منهم: نور الدين علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري، والشيخ إبراهيم اللقاني وآخرون. وتوفي بعد (٩٩٨هـ).

• عبد الرحمن الأجهوري (... - ٩٦١هـ):

وأما عبد الرحمن الأجهوري: فهو الإمام العلامة الزاهد الخاشع الفقيه المالكي أبو محمد عبد الرحمن زين الدين بن علي بن يوسف الأجهوري المصري.

أخذ الفقه وغيره عن ناصر الدين محمد بن حسن اللقاني، وأجازه بالتدريس والإفتاء. فأفتى ودرس كما في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد عبد الحي بن أحمد بن محمد أبي الفلاح الحنبلي^(١)، و«شجرة النور الزكية في طبقات المالكية»^(٢)، و«الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة» للنجم محمد بن محمد الغزي^(٣)، و«فهرسة الشيخ علي بن خليفة المساكني»^(٤)، و«سد الأرب من علوم الإسناد والأدب» للأمير الكبير، و«نيل الابتهاج بتطريز الديباج»^(٥).

وكان ناصر الدين إذا جاءته الفتيا يرسلها إليه لإتقانه وحفظه للنقول.

(١) في ترجمة عبد الرحمن الأجهوري.

(٢) في ترجمتي اللقاني وعبد الرحمن الأجهوري.

(٣) في ترجمتي البنوفري وعبد الرحمن الأجهوري.

(٤) سلسلة شيوخ علي بن خليفة الشريف المساكني في إجازته.

(٥) في ترجمة عبد الرحمن الأجهوري.

وأخذ أيضًا عن شمس الدين اللقاني، أخي ناصر الدين، وعن الشهاب القسطلاني، وحضر عليه قراءة كتابه: «المواهب اللدنية»، كما أخذ عن الشهاب الفيشي... وغيرهم.

وكان عالمًا عاملاً، كريم النفس، قليل الكلام، زاهدًا خاشعًا حافظًا لجوارحه، كثير التلاوة والتهجد، أثنى عليه الشيخ الشعراني في طبقاته.
من مؤلفاته:

«شرح على مختصر خليل»، و«القول المصان عن البهتان في غرق فرعون وما كان عليه من الطغيان»، وغيرهما من مصنفاته النافعة التي سارت بها الركبان إلى بلاد المغرب والتكرور.

وتخرج به جماعة منهم:

أبو عبد الله محمد بن سلامة البنوفري، وعبد الكريم بن ناصر الدين البرموني وعثمان القرافي، والبدر القرافي، وأحمد بن أحمد، والد الشيخ أحمد بابا التنبكتي... وغيرهم. وتوفي في شهر صفر سنة (٩٦١هـ) بالقاهرة.

● ناصر الدين اللقاني (٨٧٣ - ٩٥٨هـ):

وأما اللقاني: فهو الإمام العالم العلامة، الفقيه المالكي الأصولي، خاتمة المحققين، أبو عبد الله محمد بن حسن بن علي بن عبد الرحمن، المعروف بناصر الدين اللقاني المصري.

ولد سنة (٨٧٣هـ)، وأخذ عن جَمِّ غفير من الشيوخ، منهم:

أبو الحسن علي نور الدين بن عبد الله بن علي السنهوري، كما في ملاحق تراجم الفقهاء في «الموسوعة الفقهية»^(١)، و«خلاصة الأثر» للمحبي^(٢)، و«شجرة النور الزكية»^(٣)، و«فهرسة الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات» لعبد الحي بن عبد الكريم الكتاني^(٤)، و«فهرسة علي بن خليفة المساكني»^(٥)، و«سد الأرب» للأمير، و«سلسلة إجازة علامة شنقيط ولد بلعمش» للجماني^(٦)، وقد شارك أخاه شمس الدين في غالب شيوخه.

فكان فقيهاً مالكيًا أصوليًا، وانتهت إليه رئاسة العلم بمصر بعد موت أخيه شمس الدين اللقاني. وأخذ عنه من لا يُعدُّ كثرة، منهم:

عبد الرحمن الأجهوري، والشيخ البنوفري، والشيخ البرموني، ويحيى القرافي، وسالم السنهوري، وأحمد بن عمر التنبكتي، وأحمد بن أحمد، والد الشيخ أحمد بابا التنبكتي.

توفي في شعبان سنة (٩٥٨هـ).

● علي السنهوري (٨١٥ - ٨٨٩هـ):

وأما السنهوري: فهو الإمام الكامل العالم العلامة، شيخ المالكية في عصره، أبو الحسن علي نور الدين بن عبد الله بن علي المصري السنهوري^(٧) الأزهري، ولد سنة (٨١٥هـ).

(١) في ترجمة إبراهيم اللقاني.

(٢) في ترجمة ناصر الدين اللقاني.

(٣) في ترجمة ناصر الدين اللقاني.

(٤) في ترجمة اللقاني.

(٥) في سلسلة مشايخ علي بن خليفة المساكني.

(٦) المنارة والرباط (ص: ١٨٠).

(٧) السنهوري نسبة لقرية من قرى مصر.

أخذ عن محمد شمس الدين بن أحمد بن عثمان البساطي، كما في «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» لأحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت التكروري السوداني التنبكتي^(١)، و«شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» لابن مخلوف^(٢)، و«الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» للإمام محمد بن عبد الرحمن السخاوي^(٣). وأخذ أيضاً عن طاهر بن علي بن محمد النويري، ويحيى العلمي، والتتائي، والسنباطي، وأحمد الجياني، وغيرهم.

وكان عالماً جليلاً، فاضلاً حافظاً محدثاً، واشتهر بالفقه والعربية والقراءات؛ قرأ بالسبع، وحفظ العديد من المتون في القراءات والفقه والنحو، وأخذ الكثير من الفنون المختلفة التي يصعب حصرها عن عدد كثير من المشايخ، وأشير إليه بالأفضلية، وحجَّ وجاورَ، وأقرأ هناك، وصار شيخ المالكية بلا مُدافع، وازدحم على حلقاته فضلاء أجلاء، حتى صارت من أجلِّ حلقِ دروس العلم، واستغرق أوقاته في ذلك. هذا مع التحرير والتدقيق في مباحثه.

من مؤلفاته:

شرح على مختصر خليل في الفقه - لم يكمل -، وشرحان للأجرومية في النحو، وتعليق على التلقين.

وأخذ عنه جَمٌّ غفير صاروا مدرسين، منهم:

(١) في ترجمة السنهوري. وترجمة خليل بن إسحاق.

(٢) في ترجمتي البساطي، والسنهوري.

(٣) في ترجمة علي السنهوري.

أبو عبد الله محمد ناصر الدين اللقاني، وأخوه شمس الدين اللقاني، والشيخ أحمد زروق، وأبو الحسن الشاذلي المنوفي، والحطاب الكبير، ويوسف التتائي، وغيرهم. توفي سنة (٨٨٩هـ).

• البساطي (٧٦٠ - ٨٤٢هـ):

وأما البساطي: فهو العلامة المحقق والإمام المدقق، قاضي القضاة، الفقيه المالكي، أبو عبد الله محمد شمس الدين بن أحمد بن عثمان الطائي البساطي. ولد في بساط من «الغربية» بمصر سنة (٧٦٠هـ)، وانتقل إلى القاهرة؛ فدرّس الفقه على تاج الدين بهرام بن عبد العزيز، كما في «مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل» لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بـ«الحطاب»^(١)، و«شجرة النور الزكية» لابن مخلوف^(٢)، و«نيل الابتهاج بتطريز الديباج» لأحمد بابا التنبكتي^(٣)، و«فهرسة الشيخ علي بن خليفة المساكني»^(٤).

ودرس أيضًا على سليمان بن خالد بن نعيم، والعز بن جماعة، والأقفهسي، ونور الدين بن عبد الله -أخي بهرام-

وأخذ أصول الفقه عن ابن خلدون، وتفقه أيضًا على المقرئ نور الدين الجلاوي المغربي المالكي... وغيرهم.

(١) (١٠/١).

(٢) في ترجمة البساطي.

(٣) في ترجمة بهرام.

(٤) في سلسلة مشايخ علي بن خليفة المساكني.

واشتهر بالفقه، وولِّيَ تدرِيسَه بالمدرسة «الشيخونية»^(١)، وغيرها.

وتولَّى القضاء بالديار المصرية واستمر فيه إلى أن مات.

فكان فقيهاً مالكيًا، قاضيًا، بارعًا في المعقول والمنقول، والعربية والمعاني والبيان والأصول، وكان شيخ شيوخ الإسلام، وفريد العصر والأوان، وذاع صيته، واشتهر أمره، وتزاحم العلماء من المذاهب والطوائف في الأخذ منه، وأثنوا عليه في تصانيفهم.

وكان متواضعًا لئنا، سريع الدمعة، رقيق القلب، محبًا في الصِّفح والسِّتر والاحتمال، طارحًا للتكلف.

وله مصنفات جليلة ومؤلفات كثيرة، منها:

«شرح ابن الحاجب الفرعي»، و«مقدمة في أصول الفقه»، و«مقدمة في أصول الدين»، و«حاشية على شرح مطالع الأنوار في المنطق» للقطب الرازي، و«توضيح المعقول وتحريم المنقول»، و«حاشية على المطول» للفتازاني، و«نكت على الطوالع» للبيضاوي، وكتاب «المغني في الفقه» - لم يكمل -، و«شفاء الغليل في شرح مختصر خليل» - لم يكمل -، و«كمله تلميذه أبو القاسم النويري... وغيرها.

وقد أخذ عنه جماعة، منهم:

أبو الحسن علي بن عبد الله بن علي السنهوري، والشيخ العارف بالله أبو زكرياء يحيى بن أحمد بن عبد السلام المعروف بالعلمي^(٢)، والشيخ قاضي

(١) الشيخونية مدرسة أنشأها الأمير شيخون العمري الناصري بمصر سنة (٧٥٦هـ). وكانت تجري بها دراسة الحديث والتفسير والقراءات والفقه على المذاهب الأربعة. وكان لكل درس شيخ وطلبة. واشترط على هؤلاء حضور الدرس ووظيفة التصوف. (وهي غير الشيخونية التي اشتهرت بالقدس).

(٢) العلمي (بضم العين وفتح اللام): نسبة للعلم، نزيل القاهرة ثم مكة (نيل الابتهاج).

القضاة بالمدينة الشريفة محمد بن أحمد بن موسى السخاوي^(١)، والتتائي،
ومحمد بن فرحون وأبو القاسم النويري، والثعالبي، وعبد القادر المكي،
ومحمد النويري، وغيرهم.

وتوفي في شهر رمضان سنة (٨٤٢هـ) بالقاهرة.

• بهرام (٧٣٤ - ٨٠٥هـ):

وأما بهرام: فهو العلامة الحافظ، الفقيه المالكي، قاضي القضاة، أبو
البقاء بهرام تاج الدين بن عبد الله، بن عبد العزيز، بن عمر، بن عوض، بن
عمر، السُّلَمِيُّ المِصْرِيُّ الدَّمِيرِيُّ^(٢).

ولد سنة (٧٣٤هـ)، واشتغل بطلب العلم، فأخذ عن الفقيه الصالح الشيخ
خليل بن إسحاق، كما في «مواهب الجليل» للحطاب^(٣)، و«كفاية المحتاج
لمعرفة من ليس في الديباج» للشيخ أحمد بابا التنبكتي، ومقدمة تحقيق
كتاب «التوضيح على جامع الأمهات»^(٤)، و«فهرسة الشيخ علي بن خليفة
المساكني»^(٥)، و«نيل الابتهاج بتطريز الديباج» لأحمد بابا التنبكتي^(٦)، و«حسن
المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» لجلال الدين السيوطي^(٧)، و«معجم

(١) أبو زكرياء بن أحمد ومحمد بن أحمد السخاوي، هذان أخذ عنهما الفقيه العلامة محمد بن عبد
الرحمن الحطاب، وأخذ عن محمد بن عبد الرحمن هذا ابنه إمام المالكية في عصره أبو عبد الله محمد
بن محمد بن عبد الرحمن المغربي، المعروف بالحطاب صاحب «مواهب الجليل شرح مختصر خليل»
(ت: ٩٥٤هـ).

(٢) الدميري: نسبة إلى دميرة، قرية قرب دمياط.

(٣) (١٠-٥/١).

(٤) (صفحة ٢١-٢٢).

(٥) في سلسلة مشايخ علي بن خليفة المساكني.

(٦) في ترجمة بهرام.

(٧) في ترجمة بهرام.

المؤلفين» لعمر رضا كحالة الدمشقي^(١). وكان على صلة وثيقة بشيخه خليل، بل قيل إنه ربيبه.

وأخذ أيضًا عن الشريف الرَّهوني، وإبراهيم القبيلي، والجَمال التركماني... وغيرهم.

وبرع في المذهب المالكي، وكان إمامًا في الفقه والعربية وغيرهما، وتصدَّر للإفتاء والتدريس بالمدرسة «الشيخونية»، وانتهت إليه رئاسة السادة المالكية في زمنه، وناب في القضاء بمصر، ثم استقلَّ به.

وكان محمود السيرة، لِينَ الجانب، كثير البرِّ، فاضلاً ثبَّتًا، أدبياً، محققاً، صحيح النُّقل، سهل العبارة، حسن الإشارة، وانتفع به الطلبة.

له مؤلفات كثيرة، منها:

ثلاثة شروح على مختصر خليل؛ كبير ووسط وصغير، وقد عمَّ النَّفع بها، وتداولها الطلبة والمدرسون مع وجود غيرها من الشروح المعتمدة، وكان شرحه الكبير حافلاً بالمطالب، مغنياً عن غيره، وهو والصغير مما يعتمد عليه في الفتوى.

وكان بهرام هذا من أوَّل وأجَلِّ مَنْ شرح مختصر شيخه خليل، ولذلك عرف بـ«الشارح»، ويقال: إنه وجد بعض المختصر في أوراق مسوِّدة فجمعه هو وبعض أصحابه ويَّضه، وإنَّه ألَّف باب المقاصَّة منه؛ لأنَّه وجد المصنِّف ترك له بياضاً.

ومن مؤلفات بهرام أيضًا: «نظم الدررة الثمينة» و«شرحها».

(١) في ترجمة بهرام.

ومنها: «الشامل»؛ وهو مختصره الفقهي الذي ألفه على نسق مختصر خليل.

ومنها: «شرح مختصر ابن الحاجب في الأصول»، و«شرح ألفية ابن مالك»... وغيرها.

وأخذ عنه جماعة كبيرة منها:

شمس الدين بن أحمد الطائي البساطي الذي أخذ عنه الفقه، والأقفهسي، وعبد الرحمن البكري... وغيرهم.

وتوفي -رحمه الله تعالى- سنة (٨٠٥هـ).

● الشيخ خليل (... - ٧٧٦هـ):

وأما ابن إسحاق: فهو الإمام العالم العلامة، الفقيه المالكي، القدوة الحجة، حامل لواء المذهب المالكي في وقته، أبو المؤدّة خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المصري، ويكنى أيضاً بأبي الضياء، ويعرف بـ «الجُندي»؛ لأنه كان من جند «الحلقة المنصورة» بمصر، ويلبس زيّ الجُنْد.

نشأ -رحمه الله- تحت رعاية والديه، وكان أبوه من أهل العلم والفضل والصلاح، وحفظ خليل القرآن في سن مبكّرة، ثم اشتغل بطلب العلم، فدرس على علماء أجلاء في فنون شتى، ودرس الفقه المالكي على الشيخ عبد الله المنوفي، ولازمه طويلاً حتى تخرج به، كما في «مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل» للحطاب^(١)، و«شرح أحمد الدردير على مختصر خليل»^(٢)، و«الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب»، لأبي الوفاء إبراهيم بن علي بن محمد

(١) (٩/١ و ٢٠).

(٢) ص: (٩).

بن فرحون المصري^(١)، و«توشيح الديباج وحلية الابتهاج» لبدر الدين القرافي^(٢)، ومقدمة تحقيق كتاب «التوضيح على جامع الأمهات»^(٣)، و«فهرسة علي بن خليفة المساكني»^(٤)، و«شجرة النور الزكية»^(٥)، و«نيل الابتهاج بتطريز الديباج»^(٦).

وأخذ أيضاً عن محمد بن عبد الرحمن بن البرهان الرشيدي، ومحمد بن محمد بن محمد العبدري المعروف بابن الحاج، كما في «شجرة النور الزكية»^(٧)، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي، وعبد الله بهاء الدين بن محمد بن خليل المالكي، وغيرهم.

وأقبل على المدارس بتجلد وصبر وهمّة عالية تتذلل أمامها مشاقُّ التَّعلم، وبرع في مختلف العلوم، وخصوصاً في الفقه المالكي، وتصدّر فيه بجدارة، وخلف شيخه المنوفي في التدريس، ودرّس بالمدرسة «الشيخونية» بمصر مدة طويّلة، وكان أوّل مدرّس للمالكية بها، ودرّس بالمدرسة «الصالحية»^(٨) الفقه والحديث والعربية، وأفتى وأفاد، فكان صدرًا في علماء القاهرة، مُجمَعًا على فضله وديانته، ثاقب الذّهن، أصيل البحث، صحيح النّقل، جمع بين العلم والعمل.

(١) في ترجمة خليل.

(٢) في ترجمة خليل بن إسحاق.

(٣) في ترجمة خليل.

(٤) في سلسلة مشايخه.

(٥) في ترجمة خليل.

(٦) في ترجمة المنوفي.

(٧) في ترجمة ابن الحاج.

(٨) الصالحية: مدرسة أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب عام (٦٤١هـ)، وهو سابع من حكم مصر من سلاطين الدولة الأيوبية، أقامها على جزء من مساحة القصر الفاطمي الكبير.

وكان من أهل المكاشفة والصلاح، عفيفاً، نزيهاً، تقياً، ورِعاً، مُتواضعاً، مشغلاً بما يعنيه، كثير الخدمة لأشياخه، منقبضاً عن أهل الدنيا، مقبلاً على العلم ونشره، مجتهداً في ذلك إلى الغاية، كثير المطالعة، قليل النوم والاستراحة، وأثنى عليه العلماء، وقد نفع الله به المسلمين.

وتخرّج على يديه الكثير من الفقهاء والفضلاء الأفذاذ، الذين صاروا بعده نجوماً في الفقه المالكي وغيره يهتدى بهم، منهم:

الشيخ الكبير بهرام بن عبد الله، والعلامة المؤرخ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، وأبو علي البدر حسين بن علي البوصيري.

وترك مؤلفات عديدة، منها:

كتاب «التوضيح على المختصر الفرعي لابن الحاجب»، و«المناسك»، وله ترجمة لشيخه عبد الله المنوفي مفيدة، جمع فيها مناقبه وجُلَّ ما يتعلّق بحياته وكراماته، وصفاته الجميلة، وأخلاقه المرضية، وله شرح على ألفية ابن مالك.

ومنها: كتاب «المختصر» على مذهب الإمام مالك، وهو أشهر كتاب في مختصرات الفقه المالكي، قصد فيه مؤلفه بيان المشهور مجرداً عن الخلاف، وجمع فيه فروعاً كثيرة مع الإيجاز البليغ الذي لم يُسبق إليه.

وقد أقبل عليه جميع الناس من الطلبة والشيوخ، ودرّسوه، وبالغ بعض المشايخ في التمسك بما فيه، كما يحكى عن ناصر الدين اللقاني أنه كان يقول: إذا عورض بكلام غير خليل: «نحن قوم خليليون إن ضل ضللنا»، وهذا منه

-رحمه الله- مبالغة في الحرص على متابعتة؛ لكمال الاعتقاد في فضله وتحريره، لا أنه يتبعه على الضلال مع علم الخطأ في المسألة؛ إذ لا يُظنُّ مثلُ هذا بأهل العلم والعمل إذا علموا الخطأ في المسألة.

وإنما أقبل الناس على هذا المختصر شرقاً وغرباً بالدَّرس والتَّدریس، والشرح والتعليق؛ لما فيه من المنافع الجمة، ومن حلول المعضلات، في المعاملات وغيرها، وحصر المسائل الكثيرة في العبارات الوجيزة اليسيرة؛ رغم ما فيه من العبارات المُقفلة على طلاب العلم، فضلاً عن عامة الناس، ولكن العيب في ذلك إنما هو في النَّاس وليس في المختصر، فهو كتاب التَّخصُّص الدَّقِيق في الفقه المالكي.

وقد قال ابن القيم: لم تزل لطائف الله بالمالكية تتوالى حتى أخرج لهم شاباً جمع لهم مذهبهم في أوراق يتأبطها الرجل ويخرج، يعني: خليلاً ومختصراً. وإذا كانت مؤلفات خليل -رحمه الله- لم تكثر؛ فإنها أنفع الكتب للمسلمين، والعبرة ليست بكثرة التصانيف، وإنما هي بما يبقى نافعا للناس.

وامتدح مصنفاته العلماء الأجلاء، ومن ذلك قول الشيخ ابن عاشر الذي شغف بحبِّ مصنفات خليل، وخاصة كتابه التَّوضيح، فقال:

خَلِيلِي خَلِيلٌ قَدْ شَغِفْتُ بِحُسْنِهِ وَتَوَضَّيْحِهِ صُبْحًا يَزِينُهُ حَاجِبُهُ
وَأَلَيْتُ لَا أَلُوهُ شَرْحًا لِغَامِضٍ مِنْ أَلُوْدٍ يَرْضَاهُ خَلِيلٌ وَحَاجِبُهُ

وقال الشيخ محمد الفارضي:

أَطْلَابَ عِلْمِ الْفِقْهِ مُخْتَصِرُ الرُّضَى خَلِيلٌ لَكُمْ فِيهِ الْحَيَاةُ فَعِشُوا

وَلِلَّهِ بَيْتٌ ضَمَّنُوهُ مَدِيحَهُ بِهِ يَهْتَدِي مَنْ فِي الْأَنْامِ يَطِيشُ
(سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَا خَلِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْإِمَامِ يَعِيشُ)

توفي خليل -رحمه الله- ثالث عشر ربيع الأول، سنة (٧٧٦هـ).

• عبد الله المنوفي (٦٨٦ - ٧٤٩هـ):

وأما المنوفي: فهو الإمام العالم العامل، الصوفي الزاهد، الفقيه المالكي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سليمان المنوفي المغربي الأصل، المصري النشأة والدار.

ولد -رحمه الله- سنة (٦٨٦هـ)، وتفقه على مذهب الإمام مالك، وأخذ عن العديد من الشيوخ، منهم:

أبو عبد الله بن الحاج العبدري، كما في «الموسوعة العربية العالمية»^(١)، و«شجرة النور الزكية»^(٢)، وملاحق تراجم الفقهاء في «الموسوعة الفقهية الكويتية»^(٣) و«التاريخ العربي»^(٤) و«نيل الابتهاج بتطريز الديباج»^(٥).

وأخذ أيضاً عن شيخ المالكية محمد زين الدين بن محمد بن عبد الرحمن، الشهير بـ«القوبع»، وشرف الدين الزواوي، وشهاب الدين المرغل، ومجد الدين الأقفهسي، والشيخ سليمان التنوخي الشاذلي... وغيرهم.

(١) في ترجمة ابن الحاج.
(٢) في ترجمتي ابن الحاج وعبد الله المنوفي.
(٣) في ترجمة ابن الحاج.
(٤) في ترجمة ابن الحاج.
(٥) في ترجمة عبد الله المنوفي.

وبرع في الفقه، واستوعب جامع الأمّهات لابن الحاجب، وكانت له معرفة بالعربية والأصول، وشهد له معاصروه بأنه كان أحسن الناس إلقاءً للتفسير.

وجمع بين العلم والعمل، وكان من أهل الفضل والصلاح والتصوف، ظاهر الكرامات، واشتهر بالعبادة، والديانة، والزهادة، والتواضع، ونُكران الذات، وامتنع من الاجتماع بالسلطان، ومن مناصب عرضت عليه.

وكان قليل الخلطة للناس، منقطعاً بالمدرسة «الصالحية»، مقبلاً على نفسه، لا يكاد يخرج إلا إلى الصلاة.

قال عنه تلميذه خليل بن إسحاق: (إنه مع عظيم علمه لا يدّعي، ولا يرى نفسه أهلاً للإقراء، ويقول: إنما أضحح على المبتدئين، ويقول للطلبة: نحن إخوان، نتذاكر العلم، فمن ظهر معه الحق قبلناه)^(١).

وقال في ترجمته عنه: (إنه كان يتكلم في المعارف كلام من هو قُطب رُحاهَا، وشمس ضُحاهَا)^(٢).

وحكي عن بعض العلماء أنه قال: وقع في نفسي إشكال في مسألة، وكان لي صاحب من فقهاء الحنفية أتردد إليه، فركبت إليه لأسأله عن تلك المسألة فلم أجده، فأتيت الشيخ عبد الله المنوفي، فلما جلست، قال لي: كأنك مشتغل بشيء من الفقه؟ فقلت: نعم، قال: فما قولك في كذا وكذا (لتلك المسألة بعينها)؟ فقلت: منكم تُستفاد، فأخذ يتكلم في تلك المسألة وما عليها من الإيرادات - وذكر الإشكال الذي وقع في نفسي - ثم شرع يجيب عنه حتى انجلى، فسألته عن شيء آخر، فقال: لا، قُم، مع السلامة، والقصد قد حصل!^(٣)

(١) نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص: ٢٠٠).

(٢) الدرر الكامنة (٣١٢/٢).

(٣) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي (ت: ٩١١) (٥٢٥/١-٥٢٦).

وذكر عنه تلميذه خليل فيما جمع من مناقبه، قال: (لَمَّا حصل الفناء الطَّاعون) وأراد الناس أن يخرجوا ليدعوا ربَّهم، جئت إلى الشيخ، وطلبت منه الحضور مع الناس، فقال لي: نعم، أنا أكون معهم في ذلك اليوم، ولكن لا أظهر، فكان ذلك يومَ موته، ففهمت أنه أشار إلى خفائه عنهم بالكفن! وكان ذلك في يومٍ خرج فيه أهل مصر ليدعوا ربَّهم لَمَّا كَثُرَ فيهم الفناء).

وفي «المنهل الصافي» قال: وافق يومَ موته خروجُ النَّاسِ للاستسقاء فصلَّوا عليه جميعُهم، وكانت جنازته مشهودة.

وتوفي - رحمه الله - في شهر رمضان، سنة (٧٤٩هـ).

• ابن الحاج (٦٥٧ - ٧٣٧هـ):

وأما ابن الحاج: فهو الإمام العالم القدوة، الجامع بين العلم والعمل، الفقيه المالكي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد، المعروف بابن الحاج، العبدريُّ الفاسيُّ، نزيلُ مصر.

ولد سنة (٦٥٧هـ)، واشتغل بطلب العلم، وكان حريصًا على تحصيله، وتفقه في بلاده، وأخذ عن الفقيه المالكي أبي إسحاق بن يـخلف بن عبد السلام المظماطي التَّنسي، كما في «شجرة النور الزكية»^(١)، و«نيل الابتهاج» لأحمد بابا التنبكتي^(٢)، و«معجم المؤلفين»^(٣)، و«الموسوعة العربية العالمية»^(٤)، وملاحق تراجم الفقهاء في «الموسوعة الفقهية»^(٥).

(١) في ترجمتي ابن الحاج وأبي إسحاق المظماطي.

(٢) في ترجمة أبي إسحاق المظماطي.

(٣) في ترجمتي ابن الحاج، والمظماطي.

(٤) في ترجمة ابن الحاج.

(٥) في ترجمة ابن الحاج.

وحجَّ، وقدم مصرَ، وسمع الموطأً من الحافظ عبيد الأشعري، وحدث به،
وأخذ عن بعض علمائها، منهم:

شهاب الدين بن إدريس القرافي، ولازم الشيخ أبا محمد عبد الله بن أبي
جمرة، فعادت عليه بركاته وصار ملحوظاً بالجلالة بمصر، وأصبح أحد جهابذة
العلماء الراسخين، عالماً بالمذهب المالكي.

وعرف عنه الانقطاع عن الدنيا، والزهد والصلاح والتقوى، وأثرت فيه
صحبة أهل القلوب.

وله تصانيف جليلة، من أبرزها:

كتاب «المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات»، وهو كتاب كثير
الفوائد، كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها، وله «شموس
الأنوار وكنوز الأسرار»، و«بلوغ القصد والمني في خواص أسماء الله الحسنی»،
وغيرها.

وأخذ عنه خلق كثير منهم:

عبد الله بن محمد بن سليمان المنوفي، والشيخ خليل بن إسحاق، وشمس
الدين محمد بن علي بن ضرغام بن سكر، وقد نال منه إجازة... وغيرهم.
وتوفي - رحمه الله تعالى - في جمادى الأولى سنة (٧٣٧هـ) بالقاهرة.

● أبو إسحاق المظماطي (.... - ٦٧٠هـ):

وأما المظماطي: فهو العالم النبيل والعلامة الجليل، الفقيه المالكي، أبو
إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام المظماطي التنسي التلمساني^(١).

(١) المظماطي: نسبة إلى «مظمأة» شعب من بربر المغرب، كان يقيم في جنوب تنس والمغرب

أخذ عن جماعة من العلماء، منهم:

أبو العباس شهاب الدين بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي، كما في «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية»^(١)، و«معجم المؤلفين»، و«تعريف الخلف برجال السلف»، وقرأ عليه أيضًا المنطق والجدل، وقرأ بتونس على جماعة، وأخذ عن ناصر الدين المشذالي، وآخرين.

ورحل إلى الشرق؛ فزار مصر والشام والحجاز، وأخذ «المحصول» على الشيخ الشمس الأصبهاني، وحضر على السيف الحنفي «الإرشاد» للعميري حتى ختمه، كما قرأ على ابن دقيق العيد ولازمه وأخذ عنه كثيرًا.

ثم عاد إلى تلمسان واستقر بها إلى أن مات، ودرّس بها وشُدَّت إليه الرِّحالُ من الشرق والغرب، وانتفع به خلق لا يحصون، وكانت ترد عليه الأسئلة من داخل تلمسان وخارجها، ومن سائر بلاد إفريقية، وانتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب، وكان من علماء المالكية الكبار، ومن أهل الفضل والصلاح والدين المتين، والمروءة التامة، والخير الكثير، والكرامات.

ومن آثاره العلمية:

«شرح كبير على التلقين» للقاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر، و«تقييد على الإرشاد». وأخذ عنه جَمٌّ غفير.

الأوسط والأقصى، والتَّنْسِيُّ: نسبة إلى تَنَسُّ؛ مدينة ساحلية في الجزائر، على الساحل الغربي للجزائر العاصمة، تبعد عنها حوالي مائتي كم، تعتبر منارة علم وحضارة، أنجبت الكثير من العلماء الأجلاء على مختلف العصور، وبها جامع هو ثالث أقدم مسجد بالجزائر، ويقال: إنها كانت موجودة في عهد نبي الله موسى عليه السلام، والتلمساني: نسبة إلى تلمسان؛ مدينة في غرب الجزائر أيضًا، وكان أبو إسحاق هذا من أهل تَنَسُّ، ثم سكن تلمسان ومات بها. انظر: تكملة جامع كرامات الأولياء (ص: ٢٤)، ونيل الابتهاج (ص: ٣٨)، وشجرة النور (٣١٣/١). (١) في ترجمة المظماطي.

ومن أشهر تلامذته:

أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي، المعروف بابن الحاج.

توفي المطمطي -رحمه الله- بتلمسان سنة (٦٧٠هـ).

● القرافي (٦٢٦ - ٦٨٤هـ):

وأما القرافي: فهو الإمام المحقق، والعلامة المدقق، الفقيه المالكي الأشعري، أبو العباس أحمد شهاب الدين بن أبي العلاء، إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله، الصنهاجي، المصري، القرافي.

ولد سنة (٦٢٦هـ) بمصر، ونشأ بها، وأكَّب على العلم حتى أَلَمَّ منه بعلوم شتى، كالفقه والأصول واللغة.

وأخذ عن:

ابن الحاجب جمال الدين بن عمر، كما في «شجرة النور الزكية»^(١)، و«الدباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» لإبراهيم بن علي بن فرحون، و«مقدمة تحقيق كتاب التوضيح»^(٢).

وأخذ أيضًا عن سلطان العلماء العز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي، وعن قاضي القضاة شمس الدين أبي بكر محمد بن إبراهيم المقدسي، وغيرهما من العلماء الأفاضل.

(١) في ترجمتي ابن الحاجب، والقرافي.
(٢) (٤٢/١).

وبرع في الأدب، وعلم المناظرة، ورحل كثيراً في طلب العلم، فبلغ الغاية القصوى، فكان إماماً بارعاً في الفقه والأصول والعلوم العقلية، وله معرفة بالتفسير.

ولمَّا بلغ منزلة عالية في العلوم الشرعية والعقلية، وتخرَّج من أفضل المدارس المصرية، وعلى أيدي أفضل علمائها، مع ما امتاز به من ذكاء وفطنة، وحسن مناقشة؛ انتصب للتدريس في العديد من المدارس المصرية المشهورة، وأقبل عليه الطلبة، وقصدوه من كل حَـدْبٍ وصَوْبٍ، وعكف على التعليم في جميع الأزمنة، فصار شيخ الشيوخ، وانتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب الإمام مالك.

وفي عصره أجمع المالكية والشافعية على أن أفضل أهل عصره بالديار المصرية ثلاثة:

القرافي بمصر القديمة.

وناصر الدين بن المنير بالإسكندرية.

وتقي الدين ابن دقيق العيد بالقاهرة.

وكلهم مالكي إلا تقي الدين فإنه جمع بين المذهبين.

وقد دَرَسَ القرافي هذا على أيدي علماء من المذاهب الفقهية الأربعة، وهذا يكشف سِرَّ معرفته بآراء علماء المذاهب في مسائل الفقه المختلفة التي يذكرها في كتبه.

وله تصانيف كثيرة وتأليف بديعة، في الفقه والأصول وغيرهما، شاهدة له بالبراعة والتحقيق والرسوخ في العلم، منها:

«التنقيح في أصول الفقه»، وهو «تنقيح الفصول في اختصار المحصول وشرحه»، وهو مقدمة لتأليفه الآخر المسمى بـ«الذخيرة في فقه المالكية» الذي يعتبر من أجل كتب المالكية.

ومنها: «العقد المنظوم في الخصوص والعموم» و«شرح الأربعين في أصول الدين للرازي»، و«أنوار البروق في أنواء الفروق».

ومنها كتاب «القواعد» الذي لم يسبق إلى مثله، ولا أتى أحد بعده بشبهه، وكتاب «شرح التهذيب»، و«أدلة الوجدانية في الرد على النصرانية»، و«الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة» في الرد على أهل الكتاب، و«الإحكام في الفرق بين الفتاوي والأحكام»، و«اليواقيت في علم المواقيت»، وكتاب «الأمنية في إدراك النية»، وغيرها.

وقد قال ابن فرحون: (إن مصنفاته سارت مسير الشمس، ورزق فيها الحظ السامي على اللبس)^(١).

وتخرج به أئمة منهم:

أبو إسحاق إبراهيم بن يخلق المطمطي، وأبو عبد الله محمد بن راشد البكري، وأبو القاسم عبد الرحمن بن أبي محمد عبد الوهاب، وغيرهم.

وكان رحمه الله كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين^(٢):

وَإِذَا جَلَسْتَ إِلَى الرَّجَالِ وَأَشْرَقْتَ فِي جَوْ بَاطِنِكَ الْعُلُومُ الشُّرْدُ
فَاحْذَرِ مُنَاطَرَةَ الْحُسُودِ فَإِنَّمَا تَغْتَاطُ أَنْتَ وَيَسْتَفِيدُ وَيَجْحَدُ

(١) الديباج المذهب إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت: ٧٩٩هـ) (٢٣٧/١).

(٢) الديباج المذهب إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت: ٧٩٩هـ)

كما كان يتمثل كثيراً بقول محيي الدين، المعروف بـ «حافي رأسه»^(١):

عَتَبْتُ عَلَى الدُّنْيَا لِتَقْدِيمِ جَاهِلٍ وَتَأْخِيرِ ذِي عِلْمٍ فَقَالَتْ خُذِ العُدْرَا
بُنُو الجَهْلِ أَبْنَائِي وَكُلُّ فَضِيلَةٍ فَأَبْنَاوَهَا أَبْنَاءُ ضَرَّتِي الأُخْرَى

وتوفي -رحمه الله تعالى- في جمادى الآخرة سنة (٦٨٤هـ)، ودفن بالقرافة بمصر، فهو مصري المولد، والنشأة، والوفاة.

● ابن الحاجب (٥٧٠ - ٦٤٦هـ):

وأما ابن الحاجب: فهو الإمام العالم العلامة، الفقيه المالكي الأشعري، أبو عمرو عثمان جمال الدين بن عمر بن أبي بكر بن يونس، المعروف بابن الحاجب، الكردي الأصل، الدُّونِيُّ^(٢)، المصري، الدمشقي. سكن مصر ثم استوطن الشام.

ولد بـ «أَسْنَا» من صعيد مصر^(٣) سنة (٥٧٠هـ)، ونشأ على حب العلم والاشتغال به منذ صغره، فحفظ القرآن العظيم، وقرأ القراءات والتفسير على أبي محمد القاسم بن فيرُّوه بن أبي القاسم الشاطبي، صاحب قصيدة حرز الأمانى، وسمع منه التيسير والشاطبية وتأدب عليه، وقرأ علم الكلام والأصول على الإمام فخر الدين الرازي.

(٢٣٩/١).

(١) المصدر السابق.

(٢) اشتهر بابن الحاجب؛ لأن والده كان جندياً كردياً حاجباً للأمير عز الدين مدسك الصلاحي، وهو ابن خال السلطان صلاح الدين الأيوبي، ونسب إليه، والدُّونِيُّ: نسبة إلى «دونة» موضع للأكراد ببلاد المشرق، وقيل: هي نسبة إلى «دُون» وهي بلدة من آخر بلاد أذربيجان مما يلي الروم. وفيات الأعيان: (٢٤٨/٣)، والديباج: (٨٢/٢).

(٣) ذكر الصفدي في «الوافي بالوفيات» أنه ولد بأسنا، وأنها قرية بصعيد مصر الأعلى، وأكثر أهلها روافض، قال: قال لي والدي: إنما سميتك عثمان ترغيباً لأهل أسنا. الوافي بالوفيات لصلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيك بن عبد الله الألبكي الفاري الصفدي الدمشقي الشافعي (ت: ٧٦٤) (٧٦٤/١٦) (٢٠٦/١٦).

ولما تمَّ له ذلك انتقل إلى تعلم الفقه المالكي وأصوله على أبي الحسن علي بن إسماعيل الأبياري، وتفقه عليه، وعليه اعتماده، كما في «شجرة النور الزكية»^(١)، و«الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب»^(٢)، و«سير أعلام النبلاء» للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي^(٣)، و«مقدمة تحقيق التوضيح»^(٤)، و«حسن المحاضرة» للسيوطي^(٥).

وأخذ أيضًا عن أبي الحسن الشاذلي، صاحب الطريقة الشاذلية، والقاضي ناصر الدين الأبياري وآخرين، فكان فقيهاً أصولياً، مُبرِّزاً في العلوم، مُتبحِّراً فيها، مُقرِّناً، نحوياً، رئيسَ زمانه في العلوم، وسيِّدَ وقته في التحصيل، ركناً من أركان الدين في العلم والعمل، إماماً في الفروع والأصول، والعربية والتصريف، والتفسير والعروض.

وكان حجة، ثقة، متواضعاً، عفيفاً، منصفاً، محبباً للعلم وأهله، ناشراً له، ديناً، ورعاً، ذكياً؛ ضرب به المثل في حِدَّةِ الذَّهْنِ وحسن التَّصَوُّرِ.

وأخذ عنه جِلَّةٌ منهم:

أبو العباس شهاب الدين بن أبي العلاء القرافي، والقاضي ناصر الدين بن المنير، وأخوه زين الدين.

له مصنفات كثيرة في فنون عديدة منها:

«منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل»، والمختصر الفرعي في فروع الفقه المالكي الذي يسمى «جامع الأمهات».

(١) في ترجمتي ابن الحاجب والأبياري.

(٢) في ترجمة عبد الكريم بن عطاء الله.

(٣) في ترجمة ابن الحاجب.

(٤) (٤١/١).

(٥) في ترجمة الأبياري.

وقد بالغ تقي الدين ابن دقيق العيد في مدح هذا الكتاب والثناء عليه، وكان بعض الشيوخ يقول: (ليس للشافعية مثل مختصر ابن الحاجب للمالكية).^(١)، وكفى بهذه الشهادة تزكية، وقد اعتنى العلماء شرقاً وغرباً بشرح هذا الكتاب وتدرسه.

ومن مؤلفاته أيضاً: «الكافية» في علم النحو و«الشافعية» في الصرف^(٢).

ومنها: «الإيضاح في شرح المفصل للزمخشري»، وقصيدة في العروض تسمى «المقصد الجليل في علم الخليل».

ومنها: «الأمالى»؛ وهو في غاية الإفادة، اشتمل على فوائد عربية غريبة، ونكت وقواعد عجيبة... وغيرها.

وقد سارت بمصنفاته الركبان ورزقت كتبه القبول التام؛ لجزالتها وحسنها.

وكان ذا قدرة عجيبة على الاختصار، وإدراج المسائل الكثيرة في الألفاظ القليلة، وكان هو وابن مالك قد خالفا عادة قُطْرَيْهِمَا؛ فابن مالك مغربيٌّ شافعيٌّ، وابن الحاجب كرديٌّ مالكيٌّ!

وكان شاعراً، ومن شعره:

قَدْ كَانَ ظَنِّي أَنْ الشَّيْبَ يُرْشِدُنِي إِذَا أَتَى فَإِذَا غَيَّبِي بِهِ كَثُرًا
يَا وَاسِعَ الرَّحْمَةِ اغْفِرْ وَأَعْفُ عَنْ زَلَلِي قَدْ عَمَّ عَفْوُكَ مَنْ يَأْتِيكَ مُنْزَجِرًا
إِنْ خَصَّ عَفْوُ إِلَهِي الْمُحْسِنِينَ فَمَنْ يَرْجُو الْمُسِيءُ وَيَدْعُوهُ إِذَا عَثَرَ؟

(١) الدباج المذهب (ص: ٢٩٠). ط. دار الكتب العلمية.

(٢) قال الصفدي في (الوافي بالوفيات ص: ٥٥): ومن تصانيف ابن الحاجب رحمه الله «الحاجية» وهي المقدمة الموسومة بكافية ذوي الألباب، وهي خمسة كتب؛ واحد في النحو، وآخر في التصريف، وآخر في تمرين التصريف، والآخران أظنهما في العروض والقوافي، أو في المعاني والبيان... إلى أن قال: وقد رأيت بعض الأدباء الظرفاء كتب عليهما بيت الحماسة:

وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي السُّودَادَةُ أُنِّي بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِيَّةِ عَالِمٌ

وتوفي - رحمه الله تعالى - في (٢٦ شوال سنة: ٦٤٦ هـ) بالإسكندرية، وورثاه
الفقيه أبو العباس ناصر الدين أحمد بن المنير بقوله:

أَلَا أَيُّهَا الْمُخْتَالُ فِي مِطْرَفِ الْعُمْرِ هَلُمَّ إِلَى قَبْرِ الْفَقِيهِ أَبِي عَمْرٍو
تَرَ الْعِلْمَ وَالْأَدَابَ وَالْفِقْهَ وَالتُّقَى وَنَيْلَ الْمُنَى وَالْعِزَّ غُيَّبَ فِي قَبْرِ
وَتُوقِنُ أَنْ لَأَبَدًا تَرْجِعُ مَرَّةً إِلَى صَدَفِ الْأَجْدَاثِ مَكْنُونَةُ الدُّرِّ
فَتَدْعُو لَهُ الرَّحْمَنَ دَعْوَةَ رَحْمَةٍ يُكَافَا بِهَا فِي مِثْلِ مَنْزِلِهِ الْقَفْرِ

● الأبياري (٥٥٧ - ٦١٦ هـ):

وأما الأبياري: فهو الإمام العالم العلامة، الفقيه المالكي، الأصولي،
أبو الحسن علي شمس الدين بن إسماعيل بن علي بن حسن بن عطية الصنهاجيُّ
الأبياري.

ولد سنة (٥٥٧ هـ) بمدينة «أبيار» من بلاد مصر^(١)، تفقه على أبي طاهر
إسماعيل بن مكّي العوفي، كما في «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»
للسيوطي، و«شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» لمحمد بن محمد بن
مخلوف^(٢)، و«الديباج المذهب» لابن فرحون^(٣)، وكتاب «تاريخ الإسلام ووفيات
المشاهير والأعلام» للإمام الذهبي^(٤)، و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي،
وملاحق تراجم الفقهاء في «الموسوعة الفقهية»^(٥)، وأخذ أيضاً عن أبي القاسم
مخلوف بن علي وغيره.

(١) مدينة «أبيار» المصرية: على شاطئ النيل، بينها وبين الإسكندرية أقل من يومين، وهي بفتح الهمزة،
وبعدّها باء موحدة ساكنة، ثم ياء مثناة من تحت، ثم ألف، ثم راء مهملة.

(٢) في تراجم الأبياري، والعوفي، وابن الحاجب.

(٣) في ترجمة علي بن إسماعيل الأبياري.

(٤) في ترجمة الأبياري.

(٥) في ترجمة الأبياري.

كان عَلَمًا من الأعلام، وإمامًا من أئمة الإسلام، بارعًا في شتى العلوم، مثل:
الفقه والأصول وعلم الكلام، وكان مالكيًّا.

ودرّس بالإسكندرية، وانتفع به الناس، وناب في الحكم عن القاضي أبي
القاسم عبد الرحمن بن سلامة القضاعي المالكي.

رَحَلَ إليه الكثير من الناس، وتفقه به جماعة كبيرة منها:

ابن الحاجب عثمان بن عمر الكرديُّ.

وله تصانيف حسنة منها:

«التحقيق والبيان شرح البرهان في أصول الفقه» لأبي المعالي الجويني،
و«سفينة النجاة» التي ينحو بها منحى الغزالي في الإحياء، وله «تكملة على
كتاب مخلوف» الذي جمع فيه بين التبصرة،^(١) والجامع لابن يونس، والتعليقة
لأبي إسحاق؛ وهي تكملة حسنة تدل على قوته في الفقه وأصوله، وغيرها.

توفي -رحمه الله تعالى- سنة (٦١٦هـ).

• العَوْفِيُّ (٤٨٥ - ٥٨١هـ):

وأما العَوْفِيُّ: فهو إمام عصره وفريد دهره في الفقه المالكي، أبو طاهر،
إسماعيل بن مكِّي بن إسماعيل بن عوف بن يعقوب، القرشيُّ، الزُّهريُّ، العَوْفِيُّ،
المصريُّ، الإسكندريُّ، (والعَوْفِيُّ: نسبة إلى الصحابي الجليل عبد الرحمن بن
عوف؛ لأنه من ذريته).

ولد سنة (٤٨٥هـ).

(١) لعلها تبصرة اللخمي، والله أعلم.

وأخذ عن الفقيه أبي بكر بن محمد بن الوليد الطرطوشي، كما في «سير أعلام النبلاء» لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي^(١)، و«الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» لابن فرحون^(٢)، و«حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» للسيوطي^(٣)، وكتاب «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» للذهبي^(٤)، و«شجرة النور الزكية»^(٥).

وكان ربيبه^(٦)، وعليه تفقه، وبه انتفع في علوم شتى، وروى عنه الموطأ.

وكان شيخ المالكية في عصره، وعليه مدار الفتوى، وجمع إلى ذلك الورع، والزهد، والعبادة، والتواضع، ونزاهة النفس.

وكان من العلماء الأعلام، ومشايخ الإسلام، ظاهر الورع والتقوى، وكان بيته بيتاً مشهوراً بالعلم والفضل بثغر الإسكندرية، نُسب إليه جماعة من الفقهاء.

قال الشيخ شهاب الدين بن هلال: (سمعت أنه اجتمعت منهم سبعة في وقت واحد، وكانوا إذا دخلوا على الإمام أبي علي سند^(٧) بن عنان يقول: أهلاً بالفقهاء السبعة؛ تشبيهاً لهم بالفقهاء السبعة^(٨) أئمة المدينة النبوية)^(٩).

(١) في ترجمة إسماعيل بن مكي.

(٢) في ترجمة إسماعيل بن مكي.

(٣) (١٥٠/١).

(٤) في ترجمة محمد بن الوليد الطرطوشي.

(٥) في ترجمة أبي طاهر العوفي.

(٦) أي: ربيب أبي بكر الطرطوشي، وقيل: إن خالته كانت زوجاً لأبي بكر الطرطوشي.

(٧) مؤلف كتاب الطراز.

(٨) الفقهاء السبعة: تقدم ذكرهم في المبحث الثاني من هذا السفر في: (لمحة موجزة عن الفقه والمذهب المالكي).

(٩) الديباج المذهب (٢٩٢/١).

وله مصنفات منها:

«تذكرة التفكير في أصول الدين»، وشرح المدونة: «طراز المجالس»^(١)، وكتاب في الجدل، ومجلد سماه «الفاخم» في الرد على مصنف لبعض الجهلة المدعين للعلم ينال به من الشريعة، وله غير ذلك. وقد انتفع به الناس.

وممن أخذ عنه: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأبياري، وغيره.

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شعبان سنة (٥٨١هـ) بالإسكندرية.

● الطُّرُوشِي (٤٥١ - ٥٢٠هـ):

وأما الطُّرُوشِي: فهو الإمام القدوة الزاهد، الفقيه المالكي، أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب، القرشي، الأندلسي، الطُّرُوشِي!، يعرف بأبي بكر الطُّرُوشِي، عالم الإسكندرية.

ولد في مدينة «طُرُوشة»^(٢) الأندلسية سنة (٤٥١هـ)، وتفقه بيلاده، وقرأ القرآن، ثم انتقل إلى سَرَقُسطة، وتلمذ على أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، ولازمه وأخذ عنه مسائل الخلاف، وتفقه عليه، كما في «سير أعلام النبلاء» للذهبي^(٣)، و«مواهب الجليل» للحطاب^(٤)، و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي^(٥)، و«حسن المحاضرة» للسيوطي^(٦)، و«تاريخ الإسلام

(١) وقيل: إن «طراز المجالس» شرح المدونة لسند بن عنان. ولا مانع من وجود كتابين في الفقه المالكي باسم واحد، أحدهما لسند والآخر للعوفي؛ فالكتب المسماة: «طراز المجالس» متعددة، إلا أن أغلبها في علوم اللغة والأدب. والله أعلم.

(٢) طُرُوشة: هي آخر حد المسلمين من شمالي الأندلس، ومن أول ما استولى عليه العدو.

(٣) في ترجمة الطرطوشي.

(٤) (٥/١).

(٥) في ترجمة الباجي.

(٦) في ترجمة الطرطوشي.

ووفيات المشاهير والأعلام» للذهبي^(١)، و«فهرسة علي بن خليفة المساكني»^(٢)، و«الدبياج المذهب»^(٣)، و«شجرة النور الزكية»^(٤).

ثم رَحَلَ إلى المشرق فَحَجَّ، ثم قصد بغداد والبصرة ومكث فيهما مدة يتفقه على علماء العراق.

ثم زار مصر وفلسطين ولبنان، ثم قصد الشام، وأقام به مدة، وسمع من كثير من مشايخه ومن علماء المشرق، منهم:

أبو محمد بن حزم، وأبو محمد رزق الله التميمي الحنبلي، وأبو عبد الله الحميدي، وأبوبكر الشاشي، وأبو العباس أحمد الجرجاني، وأبو علي التستري، وغيرهم.

ثم عاد إلى الإسكندرية وأقام بها معلماً للفقهِ والحديث، وتولى التدريس بها، واستمر فيها إلى أن مات.

وكان إماماً، فقيهاً، حافظاً، محدثاً، عالماً، عاملاً، ثقةً، أديباً، عابداً، ورعاً، متواضعاً، فاضلاً، مُقبلاً على ما يعنيه، زاهداً، لم يتشبث من الدنيا بشيء، مُتَقَلِّلاً منها راضياً باليسير.

واشتهر بين علماء الأندلس بالعلم والردُّ على المبتدعات في الدين، وأصبح من علماء أهل السنة الذين يشار إليهم، ويعتمد في العلم عليهم، وحصل له القبول والثناء من العلماء، وبعُدَ صِيتُهُ وعظمت رِياسته.

(١) في ترجمة محمد بن الوليد الطرطوشي.

(٢) في سلسلة مشايخه.

(٣) في ترجمة أبي بكر الطرطوشي.

(٤) في ترجمة الباجي.

وله مؤلفات كثيرة منها:

«سراج الملوك» جمع فيه الكثير من سير الأنبياء، وأثار الأولياء، ومواعظ العلماء، وحكمة الحكماء، ونوادير الخلفاء، ورتبه ترتيباً أنيقاً.
ومن مؤلفاته أيضاً: «كتاب كبير عارض به إحياء علوم الدين للغزالي»، و«مختصر تفسير الثعالبي»، و«شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، و«كتاب كبير في مسائل الخلاف»، و«سراج الهدى»، و«بر الوالدين»، و«كتاب في تحريم الغناء»، و«الحوادث والبدع»، و«الفتن» و«كتاب في الزهد»... وغيرها.

وتخرَّج به أئمة، وتصدَّر عليه كثير من الفقهاء، منهم:

أبو طاهر إسماعيل بن مكي بن إسماعيل العوفي، وظافر بن عطية، وعبد الله بن عبد الرحمن العثماني، وأبو طالب أحمد المسلم اللخمي، وأبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، والقاضي أبو بكر بن العربي المالكي، وسند بن عنان الأزدي، وابن تومرت (مؤسس دولة الموحديين)، وغيرهم. وتوفي -رحمه الله تعالى- في جمادى الأولى سنة (٥٢٠هـ) بالإسكندرية.

● الباجيُّ (٤٠٣ - ٤٧٤هـ):

وأما الباجيُّ: فهو الإمام العالم العلامة، الحافظ الأشعري، الفقيه المالكي، القاضي: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التُّجِيبِي، الأندلسيُّ، القُرْطُبِي، الباجيُّ^(١).

(١) نسبة إلى «باجة» الأندلس، مدينة بقرب إشبيلية وهو ليس منها أصلاً، ولكن جده قد تحول إليها فنسب إليها، وليست هي «باجة» المدينة التي بتونس، التي ينسب إليها الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي، وابنه الحافظ الأوحدي أبو عمر أحمد بن عبد الله الباجي، وهما من علماء الأندلس أيضاً.

ولد سنة (٤٠٣هـ) بـ «باجة» الأندلس.

وأخذ عن العديد من العلماء، منهم:

أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني، كما في «ترتيب المدارك»
للقاضي عياض^(١)، و«مواهب الجليل» للحطاب^(٢)، وكتاب «طبقات المفسرين»
للحافظ السيوطي^(٣)، و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي^(٤)، و«فهرسة علي بن
خليفة المساكني»^(٥) و«شجرة النور الزكية»^(٦).

كما أخذ عن القاضي يونس بن مغيث، ومحمد بن إسماعيل، ومحمد بن
الحسن بن عبد الوارث، وغيرهم.

ثم رحل إلى الحجاز؛ فحجَّ، وجاور ثلاثة أعوام، أخذ خلالها عن العديد
من العلماء، مثل: الحافظ أبي ذر الهروي، الذي كان يسافر معه ويخدمه، وأخذ
عنه علم الكلام والحديث والفقه.

ثم توجه إلى دمشق؛ فسمع من الحسن بن السمسار، ومحمد بن عوف
المزني.

ثم ارتحل إلى بغداد؛ فسمع من عمر بن إبراهيم الزهري، ومحمد بن محمد
بن غيلان، وغيرهما.

ثم ذهب إلى الموصل؛ فأقام بها سنة، أخذ خلالها عن القاضي أبي جعفر
السماني، وغيره.

(١) في ترجمة الباجي..

(٢) (٦/١).

(٣) في ترجمة الباجي.

(٤) في ترجمتي مكي بن أبي طالب والباجي.

(٥) في سلسلة مشايخه.

(٦) في ترجمتي الباجي ومكي.

فبرز في الفقه وعلم الكلام والحديث.

ثم عاد إلى الأندلس، فولى القضاء في مواضع منها.

وكان فقيهاً مالكيًا محققاً راويةً فاضلاً ديناً، مُحدِّثاً أصولياً، اشتهر اسمه وعظم جاهه، قال عنه القاضي عياض: (لم يكن بالأندلس قط أتقن منه للمذهب)^(١).

وكان من رجال الأدب، شاعراً مطبوعاً جيد القريحة، ومن شعره:

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةٌ
فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَمِينًا بِهَا وَأَجْعَلُهَا فِي صَالِحٍ وَطَاعَةٍ

وكان وقوراً، مهيباً، بهياً، رفيع القدر، صنّف التصانيف النفيسة، وكان حسن التآليف.

ومن مؤلفاته:

«إحكام الفصول في أحكام الأصول»، و«تبيين المنهاج والتسديد إلى معرفة طريق التوحيد»، و«رسالة في أصول الفقه»، و«مختصر المختصر في مسائل المدونة»، وكتاب «المعاني في شرح موطأ الإمام مالك»، وهو كتاب كبير عديم النظير، وانتقى منه فوائد سماها: «المنتقى»، و«بيان ما مضى به العمل من الفقهاء والحكام»، و«التعليق في التعديل والتجريح لمن روى عنه البخاري في الصحيح»، و«شرح المنهج»، وكتاب «الحدود في أصول الفقه»، و«رسالة تحقيق المذهب»، و«السراج في علم الحجاج» في مسائل الخلاف... وغيرها.

(١) ترتيب المدارك (١١٩/٨).

وأخذ عنه خلق كثير منهم:

أبو بكر الطرطوشي الأندلسي، وأبو عمر بن عبد البر، وأبو محمد بن حزم،
وأبو بكر بن الخطيب... وغيرهم.

وكان يفتخر؛ بأنه أخذ عنه حافظا المغرب والمشرق: ابن عبد البر، وابن
الخطيب^(١)، وهما أسن منه. وتوفي بـ«المرية» تاسع عشر رجب سنة (٤٧٤هـ).

● مكّي بن أبي طالب (٣٥٥ - ٤٣٧هـ):

وأما ابن أبي طالب: فهو الإمام العالم العلامة، الفقيه المالكي، المقرئ،
المحقق: أبو محمد مكّي بن أبي طالب بن محمد بن مختار، القيسي^(٢)،
القيرواني، القرطبي، أصله من القيروان وسكن قرطبة.

ولد بمدينة القيروان، سنة (٣٥٥هـ) ونشأ بها، قرأ القرآن وتبحّر في علومه،
وكان جيد الفهم.

وأخذ الفقه عن أبي محمد بن أبي زيد القيرواني، كما في «سير أعلام النبلاء»
لشمس الدين الذهبي^(٣)، و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي^(٤)، وكتاب «الصلة»
في تاريخ أئمة الأندلس» لأبي القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال^(٥)،
و«مواهب الجليل» للخطاب^(٦)، و«فهرسة علي بن خليفة المساكني»^(٧)،

(١) انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض، ترجمة الباجي.

(٢) نسبة إلى قيس عيلان.

(٣) في ترجمة أبي محمد مكّي بن أبي طالب.

(٤) في ترجمة مكّي.

(٥) في ترجمة مكّي بن أبي طالب.

(٦) (٦/١).

(٧) في سلسلة مشايخه.

و«شجرة النور الزكية»،^(١) و«سلسلة إجازة ولد بلعمش» للجمانى^(٢).

وخرج إلى مكة وأقام بها سنوات، حجَّ فيها أربع حجج متوالية، وسمع بها من أبي الحسن أحمد بن فراس المكي، وأبي الحسن القاسبي، وأبي الطيب عبد المنعم بن غلبون المقرئ وغيرهم.

وقدم إلى مصر عدة مراتٍ وسمع من علمائها، وطاف في بعض بلاد المشرق، وعاد إلى بلدته وأقرأ بها، ثم سكن قرطبة، وخطب وأقرأ بجامعة.

وكان عالماً بالتفسير ووجوه القراءات، متبحراً في علوم القرآن والعربية والنحو واللغة، فقيهاً أديباً متفتناً، غلبت عليه علوم القرآن، فكان من الراسخين فيها، وكان عنده فنون من العلم، وضروب من الآداب، فنشر العلم، ورُحِل إليه، وعلا ذكره.

له مؤلفات كثيرة تزيد على المائة، جُلِّها في علوم القرآن؛ منها:

«مشكل إعراب القرآن»، و«الكشف عن وجوه القراءات وعللها»، و«الهداية إلى بلوغ النهاية» في معاني القرآن وتفسيره، و«التبصرة في القراءات السبع»، و«الاختلاف بين قالون وابن عامر»، وكتاب «الاختلاف بين أبي عمرو وحمزة»، و«الاختلاف بين قالون وابن كثير»، و«المنتقى في الأخبار»، و«الإيضاح للناسخ والمنسوخ»، و«التذكرة في اختلاف القراء»، و«الإبانة عن معاني القراءات»، و«الرعاية في تجويد القرآن»، و«الهداية» في الفقه، و«مناسك الحج»، وكتاب «فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً»... وغيرها.

(١) في ترجمة مكي بن أبي طالب.

(٢) المنارة والرباط (ص ١٨٠).

وأخذ عنه خلقٌ، منهم:

أبو الوليد بن خلف بن سعد القرطبي الباجي، وأبو عبد الله بن عتاب،
وغيرهما.

توفي - رحمه الله تعالى - في محرم سنة (٤٣٧هـ) بقرطبة.

● ابنُ أبي زَيْدِ الْقَيْرَوَانِيِّ (٣١٠ - ٣٨٦هـ):

وأما ابن أبي زيد: فهو الإمام العالم العلامة، القدوة، الفقيه المالكي: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني النَّفْزِي النسب؛ واسم أبي زيد عبد الرحمن.
ولد بمدينة القيروان سنة (٣١٠هـ)، وعني بالعلم منذ الصغر، وتفقه بفقهاء القيروان، وعول منهم على أبي بكر محمد بن محمد؛ المعروف بابن اللباد، كما في «سير أعلام النبلاء»^(١)، ومقدمة «شرح الرسالة» للبغدادي^(٢)، و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك» للقاضي عياض^(٣)، و«مواهب الجليل» في شرح مختصر الشيخ خليل للحطاب^(٤)، و«شجرة النور الزكية»^(٥) و«فهرسة علي بن خليفة المساكني»^(٦)، و«سلسلة إجازة ولد بلعمش» للجمانبي^(٧)، وأخذ أيضًا عن محمد بن مسرور، وأبي سعيد بن الأعرابي، ومحمد بن الفتح، والحسن بن نصر السُّوسِيِّ، ودرَّاس بن إسماعيل، وغيرهم.

(١) في ترجمتي ابن اللباد، وابن أبي زيد.

(٢) (٤/١).

(٣) في ترجمة ابن اللباد.

(٤) (٦/١).

(٥) في ترجمة أبي محمد بن أبي زيد.

(٦) في سلسلة مشايخه.

(٧) المنارة والرباط (ص: ١٨٠).

وكان مِمَّنْ برز في العلم والعمل؛ فكان إمام المالكية في زمنه وقدوتهم، قال عنه القاضي عياض: (حاز رئاسة الدين والدنيا، ورُحِلَ إليه من الأقطار، ونَجِبَ أصحابه، وهو الذي لَخَّصَ المذهب، وكان يقال له: مالك الصغير، وكان مع عظمته في العلم والعمل ذا بَرٍّ وإيثار، وإنفاق على الطلبة وإحسان)^(١).

وكان كثير الحفظ والرواية، ذابًّا عن مذهب مالك، قائمًا بالحجة له، بصيرًا بالرد على أهل الأهواء. وكان من أهل الفضل والورع والصلاح والعفاف، عاقلًا موثوقًا به في درايته وروايته، وعَرَفَ ذلك له الأكابر. وقد قالوا: (من أهم ما تميز به ابن أبي زيد: عُلُوُّ سنده؛ لأنه كان يروي عن سحنون بواسطة، وعن ابن القاسم بواسطتين، وعن مالك بثلاث)^(٢).

وألف تأليف كثيرة منها:

كتاب «النوادر والزيادات على المدونة»، وكتاب «اختصار المدونة»، وكتاب «الرسالة»، وكتاب «البيان عن إعجاز القرآن»، وكتاب «المعرفة والتفسير»، وكتاب «النهى عن الجدال»، وكتاب «اللاقتداء بمذهب مالك»، و«رسالة في أصول التوحيد»، و«رسالة في الرد على القدرية»، و«تهذيب العتبية»، وكتاب «المناسك»، و«رسالة الموعدة والنصيحة»، و«رسالة طلب العلم»، وغيرها كثير. وجملة تأليفه كلها مفيدة بديعة غزيرة العلم.

(١) ترتيب المدارك (٢١٦/٦).

(٢) الفواكه الدواني على رسالة بن أبي زيد القيرواني أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي (ت: ١١٢٦) (١/١) مقدمة المؤلف.

وسمع منه خلق كثير، منهم:

أبو محمد مكي بن أبي طالب، وأبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الخولاني^(١)،
وخلف بن القاسم المعروف بالبرادعي، وعبد الله بن غالب السبتني، والقابسي^(٢)،
وعبد الله بن الوليد بن سعد الأنصاري، وغيرهم كثير، وتفقه عليه جلة من
القروين، والأندلسيين، وأهل سبتة والمغرب.

وتوفي -رحمه الله تعالى- في شعبان سنة (٣٨٦هـ)، ودفن بداره بالقيروان.

• ابن اللبّاد (٢٥٠ - ٣٣٣هـ):

وأما ابن اللبّاد: فهو الإمام القدوة، الزاهد، الفقيه المالكي، المفسر، مفتي
المغرب، أبو بكر محمد بن محمد بن وشّاح المعروف بابن اللبّاد، اللّخميُّ
بالولاء، القيرواني. ولد سنة (٢٥٠هـ).

أخذ عن يحيى بن عمر بن يوسف البلوي، وعليه عوّل، كما في «سير أعلام
النبلاء» للذهبي^(٣)، و«ترتيب المدارك» للقاضي عياض^(٤)، و«مواهب الجليل»
للخطاب^(٥)، و«فهرسة ابن خليفة المساكني»^(٦) و«شجرة النور الزكية»^(٧)
و«سلسلة إجازة ولد بلعمش» للجمامي^(٨)، كما أخذ عن أخيه محمد بن عمر،
وسمع من كثير من الشيوخ الذين كانوا في وقته، كأبي بكر بن عبد العزيز
الأندلسي، وحبيب بن نصر، وأبي عمران البغدادي... وغيرهم.

(١) أبو بكر الخولاني هذا أخذ عنه العلامة ابن محرز (ت: ٤٥٠هـ).

(٢) القابسي هذا أخذ عنه أبو عمران الفاسي (ت: ٤٣٠هـ)، وعن أبي عمران هذا وكاك بن زلو (ت:

٤٤٥هـ)، وعن وكاك هذا أخذ عبد الله بن ياسين (ت: ٤٥١هـ).

(٣) في ترجمة ابن اللباد.

(٤) في ترجمة ابن اللباد.

(٥) (٦/١).

(٦) في سلسلة مشايخه.

(٧) في ترجمة ابن اللباد.

(٨) المتارة والرباط (ص ١٨٠).

وكان عالماً بالتفسير واللغة، مجاب الدعوة، عظيم الخطر، ومن بحور العلماء.

وكان حافظاً، ثبّتاً، ثقة، فقيهاً، ديناً، ورعاً، زاهداً، جليل القدر، مهيباً مطاعاً. صنف كتاب «إثبات الحجّة في بيان العصمة للأنبياء»، و«كتاب الطهارة»، و«مناقب الإمام مالك بن أنس»، و«فضائل مكة»، و«الآثار والفوائد»، وغيرها. وتخرّج به جماعة منهم:

أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني الذي تفقّه به.

وتوفي -رحمه الله تعالى- في شهر صفر سنة (٣٣٣هـ). ورثاه تلميذه أبو محمد بن أبي زيد بقصيدة طويلة أولها:

يَا مَنْ لِمُسْتَعْدِبٍ فِي لَيْلِهِ حَزْنًا مُسْتَوْطِنٍ مِنْ بَقَايَا دَائِهِ وَطَنًا
يَا عَيْنُ فَاكِحِي لِمَنْ فِي فَقْدِهِ فُقْدَتْ جَوَامِعُ الْعِلْمِ وَالْخَيْرَاتِ إِذْ دُفِنَا
لَهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَتْ بِهِ سُبُلُ الدِّينِ خَيْرَاتٍ قَدْ كَانَ أَحْيَا الدِّينَ وَالسُّنَنَّا
نَفْسِي تَقِيكَ أَبَا بَكْرٍ وَلَوْ قُبِلَتْ فَدَنَّاكَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ إِلَيْكَ دَنَا
إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدَ الْأَرْضُ وَأَبْلَهَا فَحَنُّ بَعْدَكَ نَلْقَى الضَّمِيمَ وَالْفِتْنَا
وَنَحْنُ بَعْدَكَ أَيَّامٌ بِغَيْرِ أَبِي إِذْ غَيَّبَ التُّرْبُ عَنَّا وَجْهَكَ الْحَسَنَا

...الخ

• يحيى البلوي (٢١٣ - ٢٨٩هـ):

وأما البلوي فهو الإمام القدوة الزاهد، الفقيه المالكي، المحدث، أبو زكرياء يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر البلوي، الإفريقي، الأندلسي، القيرواني.

ولد بالأندلس سنة (٢١٣هـ)، ونشأ بقرطبة، ثم سكن القيروان، وشرفت بها منزلته عند العامة والخاصة.

سمع من الفقيه سُخْنُون بن سعيد كما في «ترتيب المدارك» للقاضي عياض^(١)، و«سير أعلام النبلاء» لشمس الدين الذهبي^(٢)، و«مواهب الجليل» للحطاب^(٣)، و«شجرة النور الزكية»^(٤)، و«فهرسة علي المساكني»^(٥) و«سلسلة إجازة ولد بلعمش» للجمانى^(٦).

وأخذ عن أبي مروان عبد الملك بن حبيب الأندلسي، وذهب إلى المشرق لتأدية مناسك الحج، وسمع من الكثير من أصحاب ابن القاسم، وابن وهب، وأشهب، بمصر والحجاز؛ ك يحيى بن بكير، وحرملة بن يحيى، وأبي مصعب أحمد بن أبي بكر الزُّهري -صاحب مالك- وأبي زكرياء الحفري، وعون بن يوسف، وغيرهم. وعاد إلى وطنه.

وكان فقيهاً حافظاً للفروع ضابطاً، ثقة جليلاً في قلوب الناس، عظيماً في أعينهم، من أهل الصيام والقيام، مُجَاب الدعوة، كثير الكرامات. وعُرف بالزهد والعلم. وأخذ عنه خلق كثير، وممن تفقه عليه:

أبو بكر بن اللَّبَّاد، وأبو العباس الإيباني، وأبو العرب، وسعيد بن عثمان العثماني، وأحمد بن خالد بن يزيد، وإبراهيم بن منصور، وغيرهم، ورحل إليه الناس لا يروون المدونة والموطأ إلا عنه، وكان غزير الإنتاج.

(١) في ترجمة يحيى بن عمر.

(٢) في ترجمة يحيى بن عمر.

(٣) (٦/١).

(٤) في ترجمة يحيى بن عمر.

(٥) في سلسلة مشايخه.

(٦) المنارة والرباط (ص ١٨٠).

ووضع نحو الأربعين مصنفًا في الفقه وأصوله، وفي التوحيد، والتاريخ، وغيرها من العلوم، منها:

كتاب «اختلاف ابن القاسم وأشهب».

وسكن سوسة في آخر عمره، وبها مات سنة (٢٨٩هـ)، ورثاه بعضهم^(١)

بقصيدة، منها:

عَيْنُ أَلَمٍ بِهَا وَجَدْتُ وَلَمْ تَنَمِ	تَبْكِي بِدَمْعٍ كَنَظْمِ الدَّرِّ مُنْسَجِمِ
يَا مَوْتُ ائْتَكَلْتَنَا يَحْيَى وَكَانَ لَنَا	فِي بَلَدَةِ الْغَرْبِ مِثْلَ البَدْرِ فِي الظُّلَمِ
مَا كَانَ إِلَّا سِرَاجًا يُسْتَضَاءُ بِهِ	فِي الْعِلْمِ يُسْمَعُ مِنْهُ الْعِلْمُ فِي الْحُلَمِ
وَكَانَ يَحْيَى إِذَا خِفْنَا لَنَا حَرَمًا	يُلْجَا إِلَيْهِ فَقَدْ صِرْنَا بِلاَ حَرَمِ
وَكَانَ يَحْيَى لَنَا سَيْفًا نَعِزُّ بِهِ الدُّ	دِينَ الْحَنِيفَ وَنَحْمِي كُلَّ مُهْتَضَمِ
وَكَانَ يَحْيَى لَنَا فِي الزَّائِغِينَ إِذَا	ضَلُّوا لِسَانًا يُبَيِّنُ الْحَقَّ عَنَ أَمَمِ
لِتَبْكِ يَحْيَى عَيْوُنٌ بِالذُّمُوعِ فَإِنْ	غَاضَتْ مَدَامِعَهَا فَلْتَبْكِهِ بِدَمِ
مَا كَانَ أَشْجَعَهُ مَا كَانَ أَوْرَعَهُ	مَا كَانَ أَفْضَحَهُ مَا كَانَ أَغْلَمَهُ
مَا كَانَ أَطَهَرَ تِلْكَ النَّفْسَ مِنْ رِيْبِ	مَا كَانَ أَكْتَبَ تِلْكَ الْكَفَّ بِالْقَلَمِ

● سُحُنُون (١٦٠ - ٢٤٠هـ):

وأما سحنون فهو فقيه المغرب القاضي المالكي، العلامة أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار التَّنُوخِي، القيرواني، الملقب بـ«سحنون»^(٢).

(١) هو سعدون الروحي.

(٢) سحنون: في الأصل اسم طائر يوصف بالفظنة والتحرُّز، وهو بفتح السين وضمها، ولقب به عبد

ولد بمدينة القيروان في شهر رمضان سنة (١٦٠هـ) واشتغل بالعلم، وتفقه أولاً بإفريقية على كثير من مشايخها، كأبي خارجة، وعلي بن زياد، وبهلول بن راشد، وابن غانم، وغيرهم.

ثم ارتحل إلى المشرق وحج وسمع من كثيرين، وقدم مصر فسمع من ابن القاسم ولازمه، كما في «ترتيب المدارك»^(١)؛ و«سير أعلام النبلاء»^(٢)، و«مواهب الجليل» للحطاب^(٣)، و«فهرسة علي بن خليفه المساكني»^(٤)، و«شجرة النور الزكية»^(٥)، و«سلسلة إجازة ولد بلعمش» للجمانى^(٦).

وهو صاحب المدونة الكبرى، وأصلها أسئلة سألها أسد بن الفرات لابن القاسم، فأخذها منه سحنون وارتحل بها إلى المشرق، وعرضها على ابن القاسم فأصلح فيها كثيراً، وأسقط منها، ثم رتبها سحنون وبوّبها، واحتجّ لكثير من مسائلها بالأثار من مروياته.

وأخذ سحنون أيضاً عن ابن وهب، وأشهب، ومطرف، وابن الماجشون، وسفيان بن عيينة، والوليد بن مسلم، وابن عبد الحكم، وآخرين.

وقد لازم ابن القاسم وابن وهب وأشهب حتى صار من نُظرائهم، وساد أهل المغرب في تحرير المذهب، فكان فقيه أهل زمانه، وشيخ عصره، وعالم وقته.

السلام بن سعيد هذا لحدثه في المسائل، وأصل سحنون: شاميٌّ من حمص، قدم أبوه سعيداً في جُند حمص.

(١) في ترجمة سحنون بن سعيد.

(٢) في ترجمتي سحنون وابن القاسم.

(٣) (٦/١).

(٤) في سلسلة مشايخه.

(٥) في ترجمة ابن القاسم.

(٦) «المنارة والرباط» (١٨٠).

وكان موصوفاً بالعقل والديانة التامة والورع، ثقةً رقيق القلب، غزير الدمعة، ظاهر الخشوع، متواضعاً، كريم الأخلاق، حسن الأدب، وافر الحرمة عديم النظير، جواداً كريماً.

وقد اجتمعت فيه خلال قَلَمًا اجتمعت في غيره: الفقه البارع، والورع الصادق، والصَّرامة في الحق، والزَّهادة في الدنيا، والسَّماحة.

وكان شديدًا على أهل البدع، ولم يكن يهاب سلطاناً في حق، ولا يخاف في الله لومة لائم، ويكره الدخول على السلاطين، ويقول: ما أقبح بالعالم أن يأتي الأمراء. وقال: والله ما أخذت ولا لبست لهم ثوباً، وكان لا يقبل من أحد شيئاً، ويقول: أكل أموال الناس بالمسكنة والصدقة خيرٌ من أكله بالعلم والقرآن، مُحِبُّ الدنيا أعمى لم يُنَوِّرْهُ العلم!

وتولى قضاء القيروان، وانتهت إليه الرئاسة في العلم بالمغرب، وعلى قوله المعوَّل.

وتفقه به عدد كثير، منهم:

ابنه محمد فقيه القيروان وخلفه بعد موته، ومنهم: يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر البلوي الإفريقي الأندلسي، ووهب بن نافع فقيه قرطبة... وغيرهم من الفقهاء.

وروي أن ابن عجلان الأندلسي قال: (ما بورك لأحد بعد النبي ﷺ في أصحابه ما بورك لسحنون في أصحابه، فإنهم كانوا في كل بلد أئمة)^(١).

وقيل: كان سحنون من أيمن العلماء، وأعقل الناس صاحباً، وأفضلهم في باب الدين وأفقههم، وأمره ابن القاسم أن يقيم عنده لطلب العلم ويدع الخروج للغزو لما تفرَّس فيه.

(١) الوافي بالوفيات (١٥/١٧٨).

وسئل أشهب من قدم إليكم^(١) من المغرب؟ قال سحنون، فقيل له: فأسد؟ قال: سحنون والله أفقه منه بتسع وتسعين مرة.

وقال حمديس: (رأيت أبا مصعب وغيره بالمدينة، وأصحاب ابن القاسم بمصر، وعلماء بمكة، وعلماء من أهل بغداد... والله ما رأيت فيهم مثل سحنون، ولا رأيت بعدة)^(٢). وشهد لسحنون كثير ممن تتلمذ عليه أو رآه بالعلم والفقہ والورع والزهد.

ومن المأثور عن سحنون أنه قال: (من لم يعمل بعلمه لم ينفعه علمه، بل يضره؛ إنما العلم نور يضعه الله تعالى في القلوب فإذا عمل به نَوَّرَ الله قلبه، وإن لم يعمل به وأحب الدنيا أعمى حبُّ الدنيا عليه، ولم يُنَوِّزْهُ العِلْمُ)^(٣).

وقال: إذا أتى الرجل مجلس القاضي ثلاثة أيام متوالية بلا حاجة فينبغي أن لا تقبل شهادته!

وسئل رحمه الله أيسع العالم أن يقول لا أدري فيما يدري؟ قال: أما ما في كتاب أو سنة ثابتة فلا، وأما ما كان من هذا الرأي فإنه يسعه ذلك؛ لأنه لا يدري أمصيب هو أم مخطئ...

وقال: أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علماً، وقال: كان بعض من مضى يريد أن يتكلم بالكلمة ولو تكلم بها لانتفع بها خلق كثير، فيحبسها ولا يتكلم بها مخافة المباهاة.

وقال: ما وجدت من باع آخرته بدنياه غيره إلا المفتي.

وقال: سرعة الجواب بالصواب أشدُّ فتنَةً من فتنة المال.

(١) هكذا في الأصول، ولعل الصواب أو القصد هو «من أفقه من قدم إليكم؟...».

(٢) ترتيب المدارك (٢٠٥/٤).

(٣) ترتيب المدارك (٨١/٤).

ومن وصاياہ لابنہ: یا بنیِّ سلِّم علی الناس فإنَّ ذلك یزرع المودَّة، وسلِّم علی عدوِّک وداریہ، فإنَّ رأس الإیمان بالله المداراة للناس^(١).

وروي أنَّه دخل علی ابن القصار يوماً وهو مریض، فقال: ما هذا القلق؟ قال له: الموت والقدوم علی الله، فقال له سحنون: ألسنت مصدِّقا بالرُّسل والبعث والحساب والجنَّة والنَّار، وأنَّ أفضل هذه الأمة أبو بكر ثمَّ عمر، والقرآن كلامُ الله غیر مخلوق، وأنَّ الله یُرى یوم القيامة، وأنَّه علی العرش استوی، ولا تخرج علی الأیمة بالسِّیف وإن جاروا؟ قال: إي والله، فقال: مُتَّ إذا شئتَ، مُتَّ إذا شئتَ. وتوفي رحمه الله فی شهر رجب سنة (٢٤٠هـ)، ولما مات رجَّت القیروان لموته، وحزن الناس.

• ابن حَبِيبٍ (.... - ٢٣٨هـ):

وأما ابن حبيب فهو الإمام القدوة، الفقيه المالكي، مفتي الأندلس، أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون، الأندلسيُّ القرطبيُّ، من ولد الصحابيِّ عبَّاس بن مرْدَاسِ السُّلَميِّ.

(١) وفي الحديث: «رأس العقل بعد الإیمان بالله مداراة الناس» (أورده ابن أبي الدنيا في كتاب مداراة الناس (٢٢/١٢)، عن سعيد بن المسيب) وفيه أيضًا: «مداراة الناس صدقة». وأخرجه البيهقي في شعب الإیمان (٣٤٤/٦).

ولقد أحسن من قال:

كُلُّ دَارٍ إِنْ اللَّيْبِ يُدَارِي	دَارٍ مَنْ كَانَ غَيْرَ دَارٍ وَدَارٍ
أَنَّ مَنْ تَمَّ يُدَارِ لَيْسَ بِدَارٍ	كُلُّ دَارٍ بِهِذِهِ الدَّارِ يَدَارِي
فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي دَارِ الْمُدَارَاةِ	وَقَالَ آخَرُ:
عَمَّا قَلِيلٍ نَدِيمًا لِلنَّدَامَاتِ	مَا دُمْتَ حَيًّا فَدَارِ النَّاسَ كُلَّهُمْ
	مَنْ يَدْرِ دَارِي وَمَنْ لَمْ يَدْرِ سَوْفَ يَدْرِ

ولد بعد السبعين ومائة، واشتغل بالعلم في بلده الأندلس، فأخذ عن الغازي بن قيس القرطبي،^(١) وزياد بن عبد الرحمن الملقب شَبْطُون الأنصاري القرطبي^(٢)، وصَعَصَعَة بن سَلَام.

ثم ارتحل إلى المشرق وحج، وسمع من ابن القاسم، وأشهب، وعبد الملك بن الماجشون، ومطرف بن عبد الله، وأصْبَغ بن الفرَج، وعدة من أصحاب مالك والليث، ورجع إلى الأندلس بعلم جَمِّ وفقه كثير، وسكن قرطبة، فكان فقيهاً مفتياً، نحوياً، لغوياً، عَرُوضياً فائِئاً، شاعراً محسناً، أديباً متقناً، نَسَابَةً، متصرفاً في فنون العلم، كبير الشأن، بعيد الصَّيت، صَوَاماً قَوَاماً.

رَبَّه الأمير عبد الرحمن بن الحكم للفتوى بقرطبة، وقرر معه يحيى بن يحيى الليثي^(٣) في النظر والمشاورة، فتوفي يحيى وانفرد ابن حبيب برئاسة العلم.

وكان كثير التصانيف؛ صنف كتاب «الواضحة في الفقه والسنن» في عدة مجلدات، و«الجامع»، و«فضائل الصحابة»، و«فضائل عمر بن عبد العزيز»، و«فضائل مالك بن أنس»، وكتاب «أخبار قريش وأخبارها وأنسابها»، وكتاب «الرغائب»، وكتب المواعظ، وكتاب «الورع في العلم»، وكتاب «الورع في المال»، و«تفسير الموطأ» و«فضائل المسجدين»، و«طبقات الفقهاء»، وكتاب «الفرائض»، وكتاب «السخاء واصطناع المعروف»... وغيرها.

(١) الغازي هذا شهد الإمام مالكا يؤلف الموطأ، وحفظه ظاهراً، وقرأ على نافع بن أبي نعيم قارئ المدينة، وانصرف إلى الأندلس بعلم عظيم نفع الله به أهلها.
(٢) ضبطه الزبيدي بسكون الباء كحمدون. تاج العروس، للزبيدي: مادة شبط.
(٣) يحيى بن يحيى هذا هو راوي الموطأ عن مالك. وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول: ابن حبيب عالم الأندلس، ويحيى عاقلها، وعيسى بن دينار فقيهاها، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠٥/١٢).

وأخذ عنه خلق كثير، منهم:

ابناه محمد وعبد الله، ويحيى بن عمر الأندلسي، ومطرف بن قيس، ومحمد بن وضاح، وبقي بن مخلد، ويوسف بن يحيى، وأحمد بن راشد، وإبراهيم بن خالد، وإبراهيم بن شعيب.

وجمع إلى إمامته في الفقه، التبحر في الأدب والتفنن فيه؛ بل في ضروب العلوم، وكان شاعراً مجيداً، ومن شعره قصيدة كتب بها إلى أهله من الشرق، يقول فيها:

أَحِبُّ بِلَادَ الْغَرْبِ وَالْغَرْبُ مَوْطِنِي	أَلَا كُلُّ غَرْبِي إِلَيَّ حَبِيبُ
فِيَا جَسَدًا أَضْنَاهُ شَوْقُ كَانَهُ	إِذَا نَضِيتَ عَنْهُ الثِّيَابُ قَضِيبُ
وَيَا كَبِدًا عَادَتْ رُفَاتًا كَأَنَّمَا	يُلْدَعُهَا بِالْكَأْوِيَاتِ طَبِيبُ
بَلِيْتُ وَأَبْلَانِي اغْتَرَابِي وَنَأْيُهُ	وَطُؤُلُ مَقَامِي بِالْحِجَازِ أَجُوبُ
وَأَهْلِي بِأَقْصَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ دَارُهُمْ	وَمِنْ دُونِهِمْ بَحْرٌ أَجَشُّ مَهِيْبُ
وَهَوْلُ كَرِيْبِهِ لَيْلُهُ كَنَهَارِهِ	وَسَيْرٌ حَثِيْتُ لِلرَّكَابِ دَوْوَبُ
فَمَا الدَّاءُ إِلَّا أَنْ تُكُونَ بِغُرْبَةٍ	وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ يُقَالَ غَرِيبُ
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَّ لَيْلَةً	بِأَكْنَافِ نَهْرِ الثَّلْجِ حِينَ يَصُوبُ
وَحَوْلِي أَصِيْحَابِي وَبَنِي وَأُمَّهَا	وَمَعَشَرُ أَهْلِي وَالرَّؤُوفُ مُجِيبُ

وكتب إلى الأمير عبد الرحمن بن محمد في ليلة عاشوراء:

لَا تَنْسَ لَا يُنْسِكَ الرَّحْمَنُ عَاشُورَا	وَأَذْكُرُهُ لَا زِلْتَ فِي الْأَحْيَاءِ مَذْكُورَا
قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ تَشْمَلُهُ	قَوْلًا وَجَدْنَا عَلَيْهِ الْحَقَّ وَالنُّورَا

مَنْ بَاتَ فِي لَيْلٍ عَاشُورَاءَ ذَا سَعَةٍ يَكُنْ بِعَيْشَتِهِ فِي الْحَوْلِ مَسْرُورًا
فَارْغَبْ فِدَيْتِكَ فِيمَا فِيهِ رَغَبْنَا خَيْرُ الْوَرَى كُلِّهِمْ حَيًّا وَمَقْبُورًا

وقد قيل لابن حبيب في قلة ماله، فقال: قيل لأبي حازم ما مالك؟ فقال: مالان: القناعة بما في يدي، واليأس مما عند الناس، وأنا أقول: لي مالان: غنى في ظاهر أمري، وقصد في خاصة نفسي.

توفي رحمه الله في ذي الحجة سنة (٢٣٨هـ) ودفن بقرطبة. ولما نعي لسُحْنُونِ اسْتَرْجَع، وَقَالَ: مَاتَ عَالِمُ الْأَنْدَلُسِ! بَلْ وَاللَّهِ عَالِمُ الدُّنْيَا.

ورثاه أبو عبادة الرشاش بقوله:

لَعْنُ أَخَذَتْ مِنَّا الْمَنَايَا مُهَذَّبًا وَقَدْ قَلَّ فِينَا مَنْ يُقَالُ الْمُهَذَّبُ
لَقَدْ طَابَ فِيهِ الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ غِبْطَةٌ لِمَنْ هُوَ مَغْمُومُ الْفَوَادِ مُعَذَّبُ

ولأحمد بن هانيء فيه:

مَاذَا تَضَمَّنَ قَبْرُ أَنْتَ سَاكِنُهُ مِنَ التُّقَى وَالنَّدَى يَا خَيْرَ مَفْقُودِ
عَجِبْتُ لِلْأَرْضِ فِي أَنْ غَيَّبَتْكَ وَقَدْ مَلَأَتْهَا حِكْمًا فِي الْبَيْضِ وَالسُّودِ

● ابْنُ الْقَاسِمِ (١٣٢-١٩١هـ):

وأما العتقي فهو الفقيه المالكي، عالم الديار المصرية ومفتيها، أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي^(١) بالولاء، مولى زبيد بن الحارث المصري.

(١) نسبة إلى العتقاء، وهم جماعة من قبائل شتى، منهم من حجر حمير، ومن كنانة مضر، ومن سعد

ولد سنة (١٣٢ هـ)، وأصله من مدينة الرملة^(١) من فلسطين، ثم سكن مصر، ثم رحل إلى المدينة المنورة، واتصل بالإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة للأخذ عنه، ولازمه عشرين سنة أو أكثر، وأخذ هديه وسمته، كما في «ترتيب المدارك» للقاضي عياض^(٢)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي^(٣)، و«الأعلام» لخير الدين الزركلي^(٤)، و«مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل» للحطاب^(٥)، و«شجرة النور الزكية»^(٦)، و«فهرسة ابن خليفة المساكني»^(٧)، وغيرها. كما روى عن عبد الرحمن بن شريح ونافع بن أبي نعيم المقرئ، وبكر بن مضر وطائفة قليلة.

له المدونة؛ وهي من أجل كتب المالكية، رواها عن الإمام مالك.

العشيرة، وغيرهم، وزبيد بن الحارث من حجر حمير، وللعلامة أحمد البدوي المجلسي في نظم عمود النسب:

وَمِنْ كِنَانَةِ الثَّمَانُونَ الْأَلَى	أَبْدِيَهُمْ كَفَّ الْمُهَيَّمُنُ عَلَا
وَهُمْ لَقِيفٌ مِنْ جَمِيعِ الْعَرَبِ	تَمَالُّوْا لِيَتَغَدَّرُوا خَيْرَ نَبِي
فَأَخِذُوا وَأَعْتَقُوا وَالْعَتَقِي	لِهَؤُلَاءِ الْمُتَقَاءِ يَرْتَقِي

(١) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين... وكانت رباطاً للمسلمين، سميتها الرملة لما غلب عليها الرمل، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلاً، ومدينة الرملة واسطة بلاد فلسطين وهي مدينة مسورة ولها اثنا عشر باباً.

وتقع اليوم في فلسطين المحتلة يسكنها يهود وفلسطينيون بين يافا والقدس. ينظر: «الأنساب»: (٦٩/٣) «الروض المعطار في خبر الأقطار»: (ص: ٢٦٨)، «أطلس الحديث النبوي»، خريطة (ص: ٣٢٤).

(٢) في ترجمتي الإمام مالك وابن القاسم.

(٣) (٣٣٢/٣).

(٤) (٣٢٣/٣).

(٥) (٦/١).

(٦) في ترجمة ابن القاسم.

(٧) في سلسلة مشايخه.

وكان ذا مال كثير أنفقه في طلب العلم حتى صار فقيهاً، عالماً، متقناً،
حَسَنَ الضبط، ثقةً، مأموناً، ورعاً، عابداً زاهداً، وكان شجاعاً سخياً.

وكان كثير التلاوة للقرآن مواظباً عليها، كثير القيام لليل. وكان من أعيان
أصحاب مالك وفقهائهم. ذكر يوماً عند الإمام مالك فقال: عافاه الله، مثله
كمثل جرابٍ مملوءٍ مسكاً.

وسئل عنه وعن ابن وهب فقال: ابن وهب رجل عالم، وابن القاسم فقيه.
وقال له مالك: اتق الله وعليك بنشر العلم.

وقال عنه النسائي: ابن القاسم ثقة، رجل صالح، سبحان الله ما أحسن
حديثه وأصحّه عن مالك! ليس يختلف في كلمة! وقال: لم يرو أحد الموطأ عن
مالك أثبت من ابن القاسم، وليس أحد من أصحاب مالك عندي مثله، قيل له:
فأشهب؟ قال: ولا أشهب ولا غيره، هو عجب من العجب!.

وقال ابن وهب لابن ثابت: إن أردت هذا الشأن (يعني فقه مالك) فعليك
بابن القاسم، فإنه انفرد به وشغلنا بغيره.

وقال يحيى بن يحيى: كان ابن القاسم أحدث أصحاب مالك بمصر سنّاً،
وأحدثهم طلباً، وأعلمهم بعلم مالك، وأمنهم عليه.

وسئل أشهب عن ابن القاسم وابن وهب فقال: لو قُطِعَت رِجْلُ ابن القاسم
لكانت أفقه من ابن وهب. ووقف يوماً على قبره فقال: رحمك الله يا أبا عبد
الله، قد كنا نترك كثيراً خوفاً من نَقْدِكَ فسَنَهَلِكَ بعدك.

وكان رحمه الله يمتنع من جوائز السلطان، ويقول: ليس في قُرْبِ الولاية ولا
في الدُّنُوِّ منهم خير. وقال: ما أعلم في فلان عيباً إلا دخوله على الحكام، ألا

اشتغل بنفسه؟ وكان كثيراً ما يقول: اتقوا الله، فإن قليل هذا الأمر مع تقوى الله كثير، وكثيره مع غير تقوى الله قليل.

وروى عنه خلق كثير، وممن روى عنه: سحنون، والعلامة القدوة أبو مروان عبد الملك بن حبيب، وأصبخ، ويحيى بن يحيى الليثي، والحارث بن مسكين، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وعيسى بن دينار... وآخرون.

توفي -رحمه الله- ليلة الجمعة لتسع خلون من صفر سنة (١٩١هـ) بمصر.

• أَشْهَبُ (١٤٠-٢٠٤هـ):

وأما أَشْهَبُ: فهو الإمام العالم العلامة، الفقيه المالكي، أبو عمرو مسكين الملقب «أشهب» بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم، القيسي، العامري، الجعدي،^(١) المصري، ولد سنة (١٤٠هـ).

أخذ عن الإمام مالك بن أنس كما في «ترتيب المدارك»^(٢) للقاضي عياض، و«سير أعلام النبلاء» لشمس الدين الذهبي^(٣)، وسمع من الليث بن سعد، ويحيى بن أيوب، والفضيل بن عياض، وسليمان بن بلال... وغيرهم.

وكان فقيهاً نبيلاً، حسن الرأي والنظر، من المالكيين المحققين، ثقة فيما روى عن مالك، قال عنه سحنون: رحم الله أشهب، ما كان يزيد في سماعه حرفاً واحداً، وقال: قال لي ابن القاسم: إن كنت مبتغياً هذا العلم بعدي فابتغه عند أشهب، وقال: ما كان أحد يناظر أشهب إلا اضطره بالحجة حتى يرجع إلى قوله، ولقد كان يأتينا في حلقة ابن القاسم فيتكلم بأصول العلم، ويفسر ويحتج، وابن القاسم ساكت ما يرد عليه حرفاً.

(١) من ولد جعدة بن كلاب بن ربيعة بن عامر.

(٢) في ترجمة أشهب،

(٣) في ترجمتي الإمام مالك والفقيه أشهب.

وكان أشهب مفتي مصر، وانتهت إليه الرئاسة بها بعد وفاة ابن القاسم.
وأخذ عنه جَمٌّ غفير منهم: الفقيه سحنون بن سعيد، ومحمد بن عبد الله بن
عبد الحكم، ومحمد بن إبراهيم بن المواز، وعبد الملك بن حبيب، وسعيد بن
حسان، والحرث بن مسكين، وغيرهم.
وألف كتابه «المدونة»، رواها عنه سعيد بن حسان وغيره، وهو كتاب جليل
كبير كثير العلم، وله كتاب «الاختلاف في القسامة»، وكتاب في «فضائل عمر
بن عبد العزيز رحمه الله».

وتوفي بمصر في شعبان سنة (٢٠٤هـ).

وروي أن محمد بن حفص المعافري قال في مرض أشهب: رأيت في
المنام أن قائلاً يقول لي: يا محمد فأجبتة، فقال:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُقَالُ عِنْدَ فِرَاقِهِمْ لَيْتَ الْبِلَادَ بِأَهْلِهَا تَتَّصَدَعُ

فقلت لامرأتي: ما أخوفني أن يموت أشهب! فخرجت فإذا هو قد مات.
وقال آخر: نمت في القائلة فرأيت هاتفاً يقول:

لَيْتَكَ عَلَى الْإِسْلَامِ مَنْ كَانَ بَاكِياً فَقَدْ أَوْشَكُوا هُلْكَاً وَمَا قَدَّمَ الْعَهْدُ
وَأَدْبَرَتِ الدُّنْيَا وَأَدْبَرَ خَيْرُهَا وَقَدْ مَلَّهَا مَنْ كَانَ يُقْلِقُهُ الْوَعْدُ

فخرجت إلى المسجد فنُعي إليَّ أشهبُ رحمه الله.

• الإمام مالك (٩٣-١٧٩هـ):

وأما مالك: فهو الإمام المُتَنَدِي به، شيخ الإسلام وْحُجَّةُ الأُمَّة، إمام دار الهجرة
وعالم المدينة، صاحب المذهب الفقهِي المشهور، أبو عبد الله، مالكُ بن أنس، بن

مالك، بن أبي عامر،^(١) بن عمرو القحطاني، الحميري، الأصبحي، المدني.

ولد سنة (٩٣هـ)، عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ.

نشأ وعاش في المدينة المنورة ولم يغادرها إلا إلى مكة المكرمة حاجاً. وطلب العلم وهو حديث السنن، وأخذه من فقهاء المدينة، فنشأ بينهم غلاماً عاقلاً، حافظاً ثبّتا، ضابطاً متقناً، براً تقيّاً. فأقبل على التعلم من علماء المدينة، بهمة عالية وحرص شديد على جمع علومهم، وحفظ آراءهم، ونقل آثارهم، فعرف مذاهبهم وأحكام قواعدهم.

وأخذ العلم عن تسعمائة شيخ ممن ارتضاهم لدينه، منهم ثلاثمائة من التابعين.

وممن أخذ عنهم: نافع مولى ابن عمر، وربيعة الرأي بن أبي عبد الرحمن، والحافظ محمد بن شهاب الزهري.^(٢)

وما لبث فيهم إلا وقد تبين فضله واشتهر علمه، ونُبل قدره، وعظمت منزلته، وعُرفت مكانته، وفاق أهل زمانه، وساد جميع أقرانه.

وجلس لتدريس العلم وهو ابن سبع عشرة سنة^(٣)، وأصبح يدعى عالم المدينة وإمام دار الهجرة وشيخ أهل الحجاز في الحديث والفقه، غير منازع، والمقلد المتبوع لأهل الأمصار وخصوصاً أهل المغرب.

(١) كان الإمام مالك من تابعي التابعين. وقيل كان من التابعين، والصحيح الأول، وكان والده أنس فقيهاً، وكان جده مالك من التابعين، وأحد الأربعة الذين حملوا عثمان -رضي الله عنه- إلى قبره ليلاً ودفنوه بالبيقيع، وأبوه أبو عامر صحابي شهد المغازي كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدرأ.
(٢) قال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول: بقي ابن شهاب وما له في الناس نظير. وأخذ ابن شهاب هذا عن ابن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك رضي الله عنهم.
(٢) وكانت داره التي ينزلها بالمدينة دار عبد الله بن مسعود، وكان مكانه من المسجد مكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو المكان الذي يوضع فيه فراش رسول الله ﷺ إذا اعتكف. كذا قال الأويسى (الديباج).

وتأهل للفتيا، وجلس للإفادة، وقصده طلبه العلم من الآفاق، وضرب الناس إليه أكباد الإبل من كل حدب وصوب يطلبون العلم وازدحموا عليه، ولم يزالوا كذلك إلى أن توفاه الله.

وكان مجلس مالك مجلس وقارٍ وحلم ليس فيه شيء من المراءٍ واللغط، ولا رفع الصوت، وكان مهيبًا نبيلًا

يَدْعُ الْجَوَابَ فَلَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُونَ نَوَاصِرَ الْأَذْقَانِ
أَدَبُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى فَهُوَ الْمَهِيْبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ! (١)

قال ابن مهدي: ما رأيت عيناى أحداً أهيب من هيبه مالك، ولا أتم عقلاً ولا أشد تقوى ولا أوفر دماغاً، وكان يسمى العاقل، واتفقوا على أنه أعقل أهل زمانه.

وكان عظيم المروءة، حسن السميت، كثير الصمت، قليل الكلام، متحفظاً بلسانه.

صَمُوتٌ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلِهِ وَفَتَّاقُ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْمُخْتَمِ
وَعَى مَا وَعَى الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ وَسَيْطَتُ لَهُ الْأَدَابِ بِاللَّحْمِ وَالْدَّمِ (٢)

وقد شهد لمالك رحمه الله بالإمامة والعلم من لا يُحصون كثرة من الأئمة والعلماء؛ فقد قال سفيان بن عيينة في حديث: (يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة)

(١) البيتان لعبد الله بن سالم الخياط في رثاء الإمام مالك رحمه الله.

(٢) البيتان لابن المبارك في الإمام مالك رحمه الله.

نرى أنه مالك بن أنس^(١). وروى مثل ذلك أيضًا عن ابن جريج وعددٍ آخر من التابعين وتابعيهم.

وقال ابن عبد البر: (كان مالك من أشد الناس تركًا لشذوذ العلم، وأشدّهم انتقادًا للرجال^(٢))، وأقلّهم تكلفًا، وأتقنهم حفظًا؛ فلذلك صار إمامًا).

وقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: (إذا جاءك الحديث عن مالك فشدّ به يديك). وقال: (إذا جاء الأثر فمالك النجم)، وقال: (كان مالك إذا شك في بعض الحديث طرحه كلّه)، وقال: (لولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز)، وقال: (إذا ذكر العلماء فمالك النجم)، وقال: (مالك معلّمِي، وعنه أخذت العلم، وما أحدٌ آمنَ عليّ في علم الله من مالك بن أنس)، وقال: (العلم يدور على ثلاثة: مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، والليث بن سعد).

وسئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن مالك وسفيان إذا اختلفا في الرأي فقال: (مالك أكبر في قلبي)، فقيل له: فمالك والأوزاعي إذا اختلفا؟ فقال: (مالك أحبُّ إليّ وإن كان الأوزاعي من الأئمة)، فقيل له: فمالك والليث؟ قال: (مالك)، فقيل: فمالك والحكم وحماد؟ قال: (مالك)، فقيل له: فمالك وإبراهيم النخعي؟ فقال: (ضعه مع أهل زمانه)، وقال: (مالك بن أنس أتبع من سفيان).

(١) أخرجه أحمد في المسند (رقم: ٧٩٢٠)، والترمذي (رقم: ٢٦٨٠) وحسنه، والنسائي، والحاكم في المستدرک (رقم: ٣١٤) وصححه من حديث أبي هريرة مرفوعًا (تنوير الحوالك) وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (رقم: ١٧٣٦). وروى عن سفيان بن عيينة أنه قال: كنت أقول: هو سعيد بن المسيب حتى قلت: كان في زمانه سليمان بن يسار وسالم بن عبد الله وغيرهما، ثم أصبحت اليوم أقول إنه مالك؛ إذ لم يبق له نظير بالمدينة.

(٢) أي: دراية بمقاديرهم.

وقال عبد الله بن أحمد ابن حنبل: قلت لأبي: من أثبت أصحاب الزهري؟ قال: (مالك أثبت في كل شيء)، وقال أحمد ابن حنبل أيضاً: (رحمة الله على مالك، القلب يسكن إلى حديثه وإلى فتياه، حقيق أن يسكن إليه، مالك عندنا حجة؛ لأنه شديد الاتباع للآثار التي تصح عنده)، وقال: (إذا ذكر الحديث فمالك أمير المؤمنين).

وقد سئل ابن مهدي رحمه الله: من أعلم؟ مالك أو أبو حنيفة؟ فقال: مالك أعلم من أستاذ أبي حنيفة، يعني: حماد بن أبي سليمان، وقال يحيى بن معين: (كان مالك من حجاج الله على خلقه)، وكان عبد الرحمن بن القاسم يقول: (إنما أقتدي في ديني برجلين: مالك بن أنس في علمه وسليمان بن القاسم في ورعه). وقال ابن المبارك: (ما رأيت أحدا ممن كتب عنه علم رسول الله ﷺ أهيب في نفسي من مالك، ولا أشد إعظاماً لحديث رسول الله ﷺ من مالك، ولا أشح على دينه من مالك، فلو قيل لي: اختر للأمة إماماً لا اخترت لهم مالكا). وقال أحمد بن شعيب النسائي: (ما أحد عندي بعد التابعين أنبل من مالك بن أنس، ولا أجل ولا آمن على الحديث منه، ولا أقل رواية عن الضعفاء). وقال أسد بن الفرات: (إذا أردت الله والدار الآخرة فعليك بمالك).

وقال سفيان بن عيينة: (كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا صحيحاً، ولا يحدث إلا عن ثقة الناس، وما أرى المدينة إلا ستخرّب بعد موت مالك).

وقد روي عن مالك نفسه أنه قال: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين (وأشار إلى مسجد رسول الله ﷺ) فما أخذت عنهم شيئاً، وإن أحدهم لو أوثمن على بيت المال لكان أميناً؛ لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن). وقال: (لا

يُؤخذ العلم من أربعة، ويؤخذ من سوى ذلك: لا يؤخذ من سفيه، ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يتهم على أحاديث رسول الله ﷺ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث).

وقد قال ابن رشد في المقدمات: (رحم الله مالكا فإنه كان أمير المؤمنين في الآثار والرأي، وأعرف الناس بالقياس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء). وكان الإمام مالك رحمه الله قدوة في الأدب والسمت وحسن الخلق وحسن المعاملة ورجاحة العقل.

وقد أقام معه يحيى بن يحيى سنة بعد أن فرغ من سماعه، فقبل له في ذلك، فقال: إنما أقمت مستفيدا من شمائله؛ فإنها شمائل الصحابة والتابعين. وكان مالك رحمه الله عالم العلماء ثبتا ثقة حجة، كثير العبادة والصلاة، كثير العمل في السر.

ومن كلامه: (من أحب أن يفتح له فرجة في قلبه ينجو من غمرات الموت وأهوال يوم القيامة فليكن عمله في السر أكثر منه في العلانية). وكان رحمه الله كثير القراءة، طويل البكاء، شغله في بيته المصحف والتلاوة، وقد قال رحمه الله: (ما جالست سفيها قط).

أقام رحمه الله بالمدينة مفتيا ستين سنة. وقد قال: (ما أجبت في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني هل يراني موضعاً لذلك؟). وروي عنه أنه قال: (ما أفتيت حتى شهد لي سبعون شيخا أنني أهل لذلك)، وقد أمره بعض شيوخه بالجلوس للفتيا. وجلس رحمه الله للحديث والفتيا في مسجد رسول الله ﷺ شابا يناهز العشرين سنة.

وقد قال البخاري: (أصحُّ الأسانيد: مالكٌ عن نافع عن ابن عمر^(١)). وكان بعضهم يسمِّيها سلسلة الذهب في إسناد الحديث. وقال أبو قدامة: (كان مالكٌ أحفظَ أهل زمانه، بل لم يختلف أهل زمانه في أمانته وإتقانه وحفظه وثبته وورعه).

وقال ابن مهدي: (أَيِّمَةُ النَّاسِ فِي الْحَدِيثِ فِي زَمَانِهِمْ أَرْبَعَةٌ: مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بِالْحِجَازِ، وَالْأَوْزَاعِيُّ بِالشَّامِ، وَسَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ بِالكُوفَةِ، وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ بِالبَصْرَةِ). وقد أخذ عنه رحمه الله الجَمُّ الغفير من العلماء الأعلام، وارتحل إليه من الأمصار.

ومن أعظم من أخذ عنه: الإمام الشافعي، والأوزاعي، والثوري، والليث، وابن عيينة، وحماد بن زيد، وعبد الرحمن بن القاسم، وأشهب، وابن عبد الحكم، وابن وهب، وابن الماجشون، وابن المبارك، وزياد بن عبد الرحمن الملقب شبطون الأندلسي، في أمثال لهم وأنظار.

وقد قال ابن عبد البر: (الأخبار في إمامة مالك وحفظه وإتقانه وورعه وثبته أكثر من أن تحصى).

ومن مصنفاته: كتاب «الموطأ»، وقد جمع فيه آلاف الأحاديث، وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز، ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين ومن بعدهم، ولم يزل يعرض ما فيه على الكتاب والسنة وينتقي منه في كل سنة ويسقط منه ويخلصه عامًا عامًا بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثل في الدين، إلى أن توفي؛ فصار هو اللباب والأصل الأول. وقد قال فيه الإمام

(١) ثم مالك عن الزهري عن سالم عن أبيه، ثم مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة (ترتيب المدارك). وقال أحمد وابن راهويه: أصح الأسانيد الزهري عن سالم عن أبيه.

الشافعي: (ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله أصحَّ من كتاب مالك).
وقال فيه الإمام أحمد ابن حنبل: (ما أحسنه لمن تدَّين به).

وله رسالة في «القدر» كتبها إلى ابن وهب، ورسالة إلى الليث في «إجماع أهل المدينة»، ورسالة في «الأقضية»، و«جزء في التفسير»، هذا بالإضافة إلى ما نقل عنه من المسائل والفتاوى والفوائد في «المدونة» و«الواضحة» وغيرهما.

وقد قال مصعب الزبيري: (كان مالك من أحسن الناس وجهًا، وأحلام عينًا، وأنقاهم بياضًا، وأتمهم طولًا في جودَة بدن).

وتوفي رحمه الله في ربيع الأول سنة (١٧٩هـ)، ودفن بالبقيع، وقبره معروف يزار، وإلى جانبه قبر نافع مولى ابن عمر، وكان من شيوخه رحمهما الله.

وقد أنشدوا فيه:

لَقَدْ أَصْبَحَ الْإِسْلَامُ زُعْزِعَ رُكْنُهُ غَدَاةَ نَوَى الْهَادِي لَدَى مَلْحَدِ الْقَبْرِ
إِمَامُ الْهُدَى مَا زَالَ لِلْعِلْمِ صَائِنًا عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ فِي آخِرِ الدَّهْرِ

وقال القاضي عياض فيه:

يَا سَائِلًا عَنْ حَمِيدِ الْهَدْيِ وَالسَّنَنِ اظْلُبْ هُدَيْتَ عُلُومِ الْفِقْهِ وَالسَّنَنِ
وَعَقَدَ قَلْبِكَ فَاشْدُدْهُ عَلَى ثَلَجٍ لَا تَطْوِينَهُ عَلَى شَكٍّ وَلَا دَخَنِ
وَاسْلُكْ سَبِيلَ الْأَلَى حَارِزُوا نُهْيَ وَتَقَى كَانُوا قَبَانُوا حِسَانَ السَّرِّ وَالْعَلَنِ
هُمُ الْأَثَمَةُ وَالْأَقْطَابُ مَا انْخَدَعُوا وَلَا شَرَوْا دِينَهُم بِالْبَخْسِ وَالغَبَنِ
أَصْحَابُ خَيْرِ الْوَرَى أَحْبَابُ مِلَّتِهِ خَيْرُ الْقُرُونِ نُجُومُ الدَّهْرِ وَالزَّمَنِ

مَنِ اهْتَدَى بِهُدَاهُمْ مَهْتَدٍ وَهُمْ
 وَتَابِعُوهُمْ عَلَى الْهُدَى الْقَوِيمِ هُمْ
 فَاخْتَرَ لِدِينِكَ ذَا عِلْمٍ تُقَلِّدُهُ
 حَوَى أَصُولَهُمْ ثُمَّ اقْتَضَى أَنْرًا
 وَمَالِكَ الْمُرتَضَى لَا شَكَّ أَفْضَلَهُمْ
 فَعَنَهُ حُزْ عِلْمُهُ إِنْ كُنْتَ مُتَّبِعًا
 فَهَوَ الْمُقَلِّدُ فِي الْأَثَارِ يُسْنِدُهَا
 وَهُوَ الْمُقَدِّمُ فِي فِقْهِهِ وَفِي نَظَرِهِ
 وَعَالِمُ الْأَرْضِ طُرًّا بِالذِّي حَكَمْتُ
 وَمَنْ إِلَيْهِ بِأَقْطَارِ الْبِلَادِ غَدَتْ
 مَنْ أَشْرَبَ الْخَلْقَ طُرًّا حَبَّةً فَجَرَى
 وَقَالَ كُلُّ لِسَانٍ فِي فَضَائِلِهِ
 عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ أَصْفَى عَوَاطِفِهِ
 وَجَادَ مَلْحَدَهُ وَطَفَاءَ هَاطِلَةً
 نَجَاةً مَنْ بَعْدَهُمْ مِّنْ غَمْرَةِ الْفِتَنِ
 أَهْلُ التَّقَى وَالْهُدَى وَالْعِلْمِ وَالْفِطَنِ
 مُشَهَّرَ الذِّكْرِ فِي شَامٍ وَفِي يَمَنِ
 نَهَجًا إِلَى كُلِّ مَعْنَى رَائِقٍ حَسَنِ
 إِمَامُ دَارِ الْهُدَى وَالْوَحْيِ وَالسُّنَنِ
 وَدَعُ زَخَارِفَ كَالْأَحْلَامِ وَالْوَسَنِ
 خِلَافَ مَنْ هُوَ فِيهَا غَيْرُ مُؤْتَمَنِ
 وَالْمُقْتَدَى فِي الْهُدَى فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ
 شَهَادَةُ الْمُصْطَفَى ذِي الْفَضْلِ وَالْمِنَنِ
 تُنْضَى الْمَطَايَا وَتُضْحَى بُزْلُ الْبُدَنِ
 طَيِّ الْقُلُوبِ كَجَرِيِّ الْمَاءِ فِي الْغُصَنِ
 قَوْلًا وَإِنْ قَصَّرُوا فِي الْوَصْفِ عَنِ لَسَنِ
 وَمِنْ رِضَاهُ كَصَوْبِ الْعَارِضِ الْهَتَنِ
 تَسْقِي بِرُحْمَاهُ مَثْوَى ذَلِكَ الْجَنَنِ

● نافع مولى ابن عمر (١٠٠ - ١١٧هـ):

وأما نافع: فهو الإمام الثَّابِتُ عالم المدينة ومفتيها، أبو عبد الله نافع، مولى
 ابن عمر وصاحب روايته، القرشيُّ العدويُّ العمريُّ، اختلف في أصله فقيل:
 فارسي الأصل، وقيل: بزبري، وقيل: ديلمي، وقيل غير ذلك.

وكان قد أصابه عبد الله بن عمر في بعض غزواته ثم أعتقه، وكان قد أعطي

فيه عشرة آلاف، فدخل على امرأته فحدثها، فقالت له: فما تنتظر؟ قال: فهلاً ما هو خير من ذلك، هو حُرُّ لوجه الله.

وقد روى نافع هذا عن مولاه عبد الله بن عمر، وتفقه عليه، كما في «سير أعلام النبلاء» لشمس الدين الذهبي، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد، و«مواهب الجليل» للحطّاب، و«فهرسة علي بن خليفة المساكيني».

وروى عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، ورافع بن خديج، وأبي لبابة بن عبد المنذر، وأسلم مولى عمر بن الخطاب، كما روى عن عائشة، وأم سلمة، وصفية بنت أبي عبيد، والرُّبيع بنت مُعوذ، وكثيرين آخرين.

وكان من أئمة التابعين بالمدينة، علامة في فقه الدين، كثير الرواية للحديث، لا يعرف له خطأ في جميع ما روى، حُجَّةٌ ثقةٌ ثَبَّتًا. وقد بعثه عمر بن عبد العزيز إلى أهل مصر يعلمهم السنن.

وروى عنه خلق كثير منهم: الإمام مالك بن أنس، والليث، والزهري، ونافع بن أبي نعيم القارئ، والأوزاعي، والضحاك.

وعن مالك قال: (كنت آتي نافعاً وأنا حَدِّثُ السُّنَّ ومعي غلام لي، فيقعد ويحدثني، وكان صغير النفس)، وفي رواية قال: (كنت آتي نافعاً وأنا غلام حديث السُّنَّ فينزل ويحدثني)، وقال: (إذا قال نافع شيئاً فاختم عليه).

وقد قال نافع: (من يعذرني من زُهْرِيكُمْ^(١)؟ يأتييني فأحدثه عن ابن عمر، ثم يذهب إلى سالم فيقول: هل سمعت هذا من أبيك؟ فيقول: نعم، فيحدث به عن سالم ويدعني والسياق من عندي! وتوفي نافع سنة (١١٧ هـ) بالمدينة في خلافة هشام بن عبد الملك.

(١) هو ابن شهاب الزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله.

● رِبِيعَةُ الرَّأْيِ (.. - ١٣٦ هـ):

وَأَمَّا رِبِيعَةُ الرَّأْيِ: فهو الإمام الجليل، مفتي المدينة، وعالم الوقت، الحافظ الفقيه، أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن (فَرُوخ)، من موالي آل المُنْكَدِرِ التَّمِيمِيِّينَ، المَدَنِيِّ، المعروف بـ(ربيعة الرأي) لقب بذلك لأنه كان من أصحاب الرأي الذين يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثًا أو أثرًا^(١).

أخذ عن الصحابي الجليل أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وعن السائب بن يزيد، وسعيد بن المسيب، وسالم بن عبد الله، وخلق سواهم. وكان من أئمة الاجتهاد، عالمًا فقيهاً حافظًا للفقهاء، كثير الحديث.

قال عنه مصعب الزبيري: (كان يقال له «ربيعة الرأي» وكان صاحب الفتوى بالمدينة، وكان يجلس إليه وجوه الناس، ويحصى في مجلسه أربعون مُعْتَمًا سوى مَنْ لَيْسَ بِمُعْتَمٍ)، وقال يعقوب بن شيبة: (ربيعة ثَبِتُ ثِقَةٌ أَحَدُ مَفْتِي المَدِينَةِ)، وقال الذهبي: (كان ربيعة إمامًا حافظًا فقيهاً مجتهدًا بصيرًا بالرأي)، وروى الليث عن عبيد الله بن عمر: (هو صاحب مُعْضَلَاتِنَا وَعَالَمُنَا وَأَفْضَلُنَا)، وكان القاسم إذا سئل عن شيء فإن كان في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ أخبر به وإلا قال: سلوا ربيعة أو سالمًا.

وعن عبد العزيز بن أبي سلمة قال: (لما جئت العراق جاءني أهل العراق فقالوا: حدثنا عن ربيعة الرأي؟ فقلت: يا أهل العراق تقولون ربيعة الرأي! والله ما رأيت أحدًا أحفظ لسنة منه).

وقال ابن القاسم عن مالك: (قدم الزهري فأخذ بيد ربيعة ودخلا المنزل، فما خرجا إلى العصر، وخرج ابن شهاب يقول: ما ظننت أن بالمدينة مثل ربيعة،

(١) أصحاب الرأي عند أهل الحديث هم أصحاب القياس.

وخرج ربيعة وهو يقول نحو ذلك)، وكان ربيعة يقول: (العلم وسيلة إلى كل فضيلة)، وسئل كيف الاستواء؟ فقال: (الكيف غير معقول، وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق).

وأخذ عن ربيعة هذا خلق كثير، منهم: الإمام مالك بن أنس وعليه تفقه، وكان من أول الفقهاء الذين جلس إليهم وتأثر بهم، وقد قال: (كانت أُمِّي تُعَمِّمُنِي وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلّم من أدبه قبل علمه)، وكان يقول: (ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن).

ومنهم: الأوزاعي، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، ونافع القارئ، وسفيان بن عيينة، وأبو بكر بن عياش، وابن المبارك،... وغيرهم.

وكان جوادًا مُنفقًا ذا سخاء ومروءة مع فقهه وعلمه، فعن عبد الرحمن بن زيد قال: (صار ربيعة إلى فقه وفضل، وما كان بالمدينة رجل أسخى بما في يديه لصديق أو لابن صديق أو لباع يبتغيه منه)، كان يستصحبه القوم فيأبى صحبة أحد إلا أحدًا لا يتزوّد معه، ولم يكن في يده ما يحمل ذلك.

توفي رحمه الله تعالى سنة (١٣٦هـ) بالمدينة، وقيل: توفي بالهاشمية من أرض الأنبار.

● عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضي اللهُ عنهما (ت ٧٣هـ):

وأما ابنُ عمرَ: فهو الصحابيُّ ابنُ الصحابيِّ، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، ومفتي الحرمين وغيرهما، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، القرشيُّ، العدويُّ، المكيُّ، المدنيُّ، من أعزِّ بيوتات قريش في الجاهلية، وأرفعها شأنًا في الإسلام.

ولد بمكة قبل الهجرة بعشر سنين، وأسلم بمكة وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه إلى المدينة قبل أن يحتلم، واستصغره رسول الله ﷺ يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة. وأول غزواته الخندق، وكان ممن بايع تحت الشجرة، وشهد الفتح وهو ابن عشرين سنة، وشهد فتح مصر، وغزا إفريقية مرتين.

وروى علماً كثيراً عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وصهيب وزيد بن ثابت وابن مسعود وعن عائشة وأخته حفصة، وغيرهم. وكان إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثاً لا يزيد ولا ينقص، ولم يكن أحد في ذلك مثله.

وقد قال مالك: (كان ابن عمر يتبع أمر رسول الله ﷺ وآثاره وحاله ويهتم به، حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك)^(١)، وعن نافع مولى ابن عمر قال: (لو نظرت إلى ابن عمر إذ يتبع رسول الله ﷺ لقلت هذا مجنون!)^(٢)، وعنه أيضاً قال: (كان ابن عمر يتبع آثار النبي ﷺ في كل مكان صلى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس)^(٣)، وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ تَرَكَنَا هَذَا الْبَابَ لِلنِّسَاءِ»^(٤)^(٥)، قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات^(٦)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما كان أحد يتبع آثار النبي ﷺ في منزله كما كان

(١) سير أعلام النبلاء (٢١٣/٣).

(٢) حلية الأولياء (٣١٠/١)، وسير أعلام النبلاء (٢١٣/٣).

(٣) أسد الغابة (٣٤١/٣).

(٤) يعني باباً من أبواب المسجد.

(٥) رواه أبو داود (رقم: ٤٦٢)، والطبراني في المعجم الأوسط، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١٠٣/٢).

(٦) عون المعبود، كتاب الصلاة (٤/٢).

يتبعه ابن عمر^(١)، وقالت: (ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من ابن عمر)^(٢).
وقال مالك: (كان إمام الناس عندنا بعد زيد بن ثابت عبد الله بن عمر)^(٣).

مكث ستين سنة يفتي الناس، وكان من المكثرين في الحديث والفتيا.

وكان رضي الله عنه عابداً ورعاً صالحاً زاهداً في الدنيا، وقد قال: (ما وضعت لينة على لينة ولا غرست غرساً منذ توفي رسول الله ﷺ). وعن جابر بن عبد الله قال: (ما منا أحد أدرك الدنيا إلا وقد مالت به إلا ابن عمر)^(٤)، وقال ابن المسيب: (لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لابن عمر)، وقال: (كان ابن عمر يوم مات خيراً من بقي)، وقد قيل: (كان عمر بن الخطاب في زمان له فيه نظراء وبقي ابن عمر في زمان ليس له فيه نظير)، وقيل فيه أيضاً: (مات ابن عمر وهو في الفضل مثل أبيه)، وقال طاوس: (ما رأيت أروع من ابن عمر).

وروي أن عثمان عرض عليه القضاء فامتنع، وقال له: (بلغني أن القضاء ثلاثة: رجل قضى بجهل فهو في النار، ورجل حاف ومال به الهوى فهو في النار، ورجل اجتهد فأصاب فهو كفاف لا أجر له ولا وزر عليه، فقال: إن أباك كان يقضي، فقال: نعم كان يقضي فإذا أشكل عليه شيء سأل النبي ﷺ، وإذا أشكل على النبي ﷺ سأل جبريل، وإني لا أجد من أسأل؛ أما سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ عَادَ بِاللَّهِ فَقَدْ عَادَ بِمَعَاذِهِ»^(٥)؟ فقال عثمان: بلى، فقال فإني أعوذ بالله أن تستعملني؛ فأعفاه، وقال: (لا تخبر بهذا أحداً)^(٦).

(١) فتح الباري لابن رجب (٢٩٤/٣).

(٢) المتظلم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي (١٣٣/٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٢٧/٢).

(٤) الحاكم في المستدرک (رقم: ٦٣٦٩).

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير (رقم: ٨٨٤٤)، (٢٣٠/٦). ورواه أحمد في المسند، والترمذي، وأبو يعلى، وابن حبان في صحيحه، وحسنه السيوطي.

(٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٥٠٨/٢). ط. دار الكتب العلمية.

وروى عنه خلق كثير منهم: أبناؤه زيد وسالم^(١)، وعبيد الله، وحفيده محمد بن زيد، ونافع موله، وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعطاء بن أبي رباح، ومحمد بن سيرين، وابن شهاب الزهري، وكثيرون.

وكتب إليه رجل أن اكتب إليّ بالعلم كلّ، فكتب إليه: (إن العلم كثير ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم، لازماً لأمر جماعتهم فافعل)^(٢).

وكان رضي الله عنه يقبل ما أهدي له ويقول: (لا أسأل أحداً شيئاً ولا أزد ما رزقني الله)^(٣)، وأعتق أكثر من ألف رقبة في سبيل الله.

وتوفي في شهر المحرم سنة (٧٤هـ) بمكة المكرمة، ودفن بفتح في مقبرة المهاجرين، وهو ابن نيف وثمانين سنة، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة.

● أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه (ت ٩٣هـ):

وأما أنس: فهو الصحابي الجليل، خادم رسول الله ﷺ، الإمام المفتي المقرئ المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة^(٤) أنس بن مالك، بن النضر، بن ضَمْصَمَ، بن زيد، بن حرام، بن جُنْدَب، بن عامر، بن عَنَم، بن عديّ بن النّجّار، الأنصاري، الخزرجي، النّجّاري.

(١) عن ابن المسيب قال: كان عبد الله بن عمر أشبه ولد عمر به؛ وكان سالم أشبه ولد عبد الله به، وقال أشهب: عن مالك قال: لم يكن أحد في زمان سالم أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والفضل منه، وقال ابن أبي الزناد: كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم الغرّ السادة: علي بن الحسين، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، ففاقوا أهل المدينة علماً وتقى وعبادة وورعاً فرغب الناس حينئذ في السراري. انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (ت: ٥٧١) (٤١/١١). ط. دار الكتب العلمية.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (ت: ٥٧١) (٥٠١/١٧). ط. دار الكتب العلمية.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (ت: ٢٣٠) (١١٢/٤)، ط. دار الكتب العلمية.

(٤) كناه النبي ﷺ أبا حمزة ببقله كان يجتئها، أو بقله كان يقتئها، ومازحه مرة فقال له: «يا ذا الأذنين». أخرجه الترمذي (رقم: ٢٨٢٨)، والبخاري في شرح السنة (٣٦٠٦).

ولد بالمدينة قبل الهجرة بعشر سنين، وأسلم صغيراً، وخدم رسول الله ﷺ مدة عشر سنين إلى أن قبض ﷺ؛ فقد صحب النبي ﷺ أتم الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة.

رُوي عنه أنه قال: (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذت بيدي أُمِّي (أم سليم بنت ملحان) فأنت بي رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هذا ابني وهو غلام كاتب، وفي رواية كَيْسٌ، فليخدمك، وقالت: ادع الله له، فقال: «اللهم أكثر ماله وولده وأطل عمره وأدخله الجنة»^(١)، قال أنس: فخدمته عشر سنين فما أمرني بأمر تَوَانَيْتُ عنه أو صنعته فلامني، وإن لامني أحد من أهله قال: «دَعُوهُ فَلَوْ قُدِّرَ -أَوْ قَالَ قُضِيَ- أَنْ يَكُونَ لَكَانَ»^(٢). وقد استجيبت فيه دعوة رسول الله ﷺ. وروي عنه أنه كان يقول: (ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي، ثم يبكي)^(٣)، وكان أحد المكثرين من الرواية عنه ﷺ، وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وابن مسعود.

وغزا مع رسول الله ﷺ ثمان غزوات، ولم يذكر فيمن حضر بدرًا، وإن كان حضرها يخدم رسول الله ﷺ؛ لأنه لم يكن في سن من يقاتل، وشهد الفتوح، ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة فسكن بها إلى أن توفي سنة (٩٣هـ) وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة.

(١) وفي رواية «أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته» (متفق عليه). وفي رواية عن أنس أنه ﷺ قال: «اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة» قال: فدعا لي رسول الله ﷺ ثلاث دعوات قد رأيت منها اثنتين في الدنيا وأنا أرجو الثالثة في الآخرة. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم: ٦٥٣)، وأبو يعلى (٤٢٣٦) باختلاف يسير، وابن سعد في الطبقات الكبرى (رقم: ٨٤٥١)، وأخرجه البخاري (٦٣٤٤)، ومسلم (٢٤٨١) مختصراً وفيه زيادة.

(٢) وفي رواية «دعوه فإنه لا يكون إلا ما أراد الله». رواه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث (رقم: ٩١٥٢)..

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٠٤/٥).

وكان أوصى أن يغسله محمد بن سيرين ويصلي عليه، فمات ومحمد بن سيرين في السجن في دَين عليه، فأتوا الأمير وأخبروه، فأذن له فخرج فغسله وكفنه وصلى عليه في قصر أنس في الطَّفِّ على فرسخين من البصرة ودفنه به، ثم رجع إلى السجن ودخله ولم يذهب إلى أهله. والله سبحانه وتعالى أعلم.

هذا وقبل الشروع في التعريف بأصحاب السند النحوي واللغوي لا بأس أن أذكر نبذة مختصرة عن علمي اللغة والنحو. فأقول وبالله التوفيق:



المبحث الثالث
لمحة موجزة عن مكانة
اللغة العربية وعلم النحْو ونشأته

المبحث الثالث

لمحة موجزة عن مكانة اللغة العربية وعلم النحو ونشأته

لقد كانت للغة العربية مكانة عالية بين سائر اللغات، ويكفيها شرفاً وفضلاً أنها نزل بها القرآن الكريم، آخر الكتب السماوية وناسخها المحفوظ بأمر الله تعالى من التحريف والتبديل، وهي لغة رسول الله ﷺ خاتم رسل الله وأنبيائه عليهم السلام، وهي لغة أهل الجنة، وقد ورد في الحديث: «أَحِبُّوا الْعَرَبَ لِثَلَاثٍ: لِأَنِّي عَرَبِيٌّ وَالْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ وَكَلَامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ»، وفي رواية: «وَلِسَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ»^(١). ويروى أنها اللغة التي علم الله بها آدم الأسماء كلها.

وباللغة العربية تفهم معاني القرآن، وتُفقه مقاصده، وتُستنبط أحكامه، وتُدرك حكمه، وتبين وجوه إعجازه، وبها أيضاً يفهم حديث رسول الله ﷺ، ويفهم سائر العلوم الشرعية، فهي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين.

وللعلامة الصالح محمد فال بن متالي رحمه الله:

تَعَلَّمَ اللُّغَةَ شَرَعًا فَضَّلَ عَلَى التَّخَلِّي لِعِبَادَةِ الْعَلِيِّ
يُؤَخِّدُ ذَا مِنْ قَوْلِهِ {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ} الزَّمِ التَّعَلُّمًا

وقد وردت أخبار عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين تحث على تعلم العربية وترغب فيه، وتحذر من اللحن في الكلام وتعييه، ثم اعتنى بها العلماء من بعدهم فقعدوا قواعدها وضبطوا ضوابطها، وبذلوا أقصى الجهد في تدوينها وتصنيف المؤلفات فيها^(٢).

(١) رواه الطبراني في الكبير، والحاكم في مستدركه، والبيهقي في شعب الإيمان، كلهم عن ابن عباس، وصححه السيوطي. ورواه العقيلي في الضعفاء.

(٢) فقد روي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يقول: لأن أقع فأسقط أهون علي من أن أقرأ فالحن، وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة، وروي عنه

وكانت العرب في الجاهلية وصدر الإسلام تنطق بالإعراب سليقةً من غير تكلف ولا تطع؛ لفطرتهم على الفصاحة.

فلما جاء الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وتألفت القلوب، واختلط العرب والعجم بالمعاشرة والمصاهرة والتعليم والتجارة، عرّض للسانهم العربي المبين لكُنَّة اللسان الأعجمي، ودخله اللحن والفساد، حتى كادت العربية تتلاشى؛ فاستدعى الحال استنباط مقاييس من كلام العرب يُرجع إليها في ضبط ألفاظ اللغة، فرسم الإمام علي رضي الله عنه لأبي الأسود الدؤلي منه مبادئ وأبوابًا.

هذا وقد كان من أهم علوم اللغة العربية وأعظمها فائدة علم النحو؛ لأنه المقيم لزيغ اللسان، المؤدي إلى صواب النطق، الموجب للبراعة وحسن وصدق العبارة، وبه يتحرّز عن الخطأ في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، ويكفي هذا العلم شرفًا ونبلًا استناده إلى الإمام علي -كرم الله وجهه-، واعتماد أصله عليه، فيدخل بذلك فيما سنّه الخلفاء الراشدون المهديون رضي الله عنهم أجمعين.

أيضًا أنه مرّ بقوم يتعلمون الرماية ويسيتون الرمي فشقّ عليه خطوهم، فلما رأوا ذلك منه قالوا له: نحن متعلمين، فقال: والله لخطوكم في أسنتكم أشد علي من خطوكم في رميكم! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رَحِمَ اللهُ امرأً أصلح لسانه» (إرشاد الأريب: ٦٧/١). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت يا رسول الله ما الجمال في الرجل؟ قال «فصاحة لسانه». وقال عبد الملك بن مروان: اللحن في الكلام أقبح من الجدرى في الوجه، ومن التفتيق في الثوب النفيس. وقد قيل: الإعراب حليّة الكلام ووُشْيُهُ، والنحو في العلم بمنزلة الملح في القدر والرامك في الطيب (الرامك شيء أسود يخلط بالمسك).

ولقد أحسن من قال^(١):

النَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَنِ وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا فَأَجَلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسَنِ
ولآخر^(٢):

رَأَيْتُ لِسَانَ الْمَرْءِ رَائِدَ عَقْلِهِ وَعُنْوَانَهُ فَاَنْظُرْ بِمَاذَا تُعْنُونَ
وَلَا تَعُدُّ إِصْلَاحَ اللِّسَانِ فَإِنَّهُ يُخَبِّرُ عَمَّا عِنْدَهُ وَيُيِّنُ
وَيُعْجِبُنِي رَأْيُ الْفَتَى وَجَمَالُهُ فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِي سَاعَةً يَلْحَنُ
ولآخر^(٣):

أَحْبِبِ النَّحْوَ مِنَ الْعِلْمِ فَقَدْ يُدْرِكُ الْمَرْءُ بِهِ أَعْلَى الشَّرَفِ
إِنَّمَا النَّحْوِيُّ فِي مَجْلِسِهِ كَشِهَابٍ ثَاقِبٍ بَيْنَ الشُّدَفِ
يَخْرُجُ الْقُرْآنُ مِنْ فِيهِ كَمَا تَخْرُجُ الدُّرَّةُ مِنْ جَوْفِ الصِّدْفِ

ومن المعلوم أن نشأة علم النحو وبداية الاشتغال به كانت في القطر العراقي، وذلك لأنه كان موطنًا للعجم قبل الفتح، وبعد الفتح أقبل المسلمون عليه عربًا وعجمًا؛ لأنه يمتاز بأسباب الحياة الناعمة ورغد العيش؛ فكان أكثر البلاد تعرُّضًا لمصائب اللحن بسبب هذا المزج.

ثمَّ كان للبصرة والكوفة الدور الأول في احتضانه قبل سائر المدن العراقية كبغداد وغيرها، وكان للبصرة السبق في الاشتغال به قبل الكوفة، فكانت الطبقة

(١) هو إسحاق بن خلف البهراني كما في الكامل.

(٢) هو علي بن محمد العلوي.

(٣) هو أبو الحسن الباقولي.

الثالثة من نُحاة البصرة تعاصرها الطَّبقةُ الأولى من نُحاة الكوفة، ومن ثمَّ كان للبصرة لواء رئاسة العربية؛ لأنَّها تقع على طرف العراق الذي يلي البادية، فهي أقرب مدن العراق إلى العرب الأفحاح الذين لم تختلط لغتهم بعامية الأمصار، فعلى مقربة منها بَوادي نجدٍ غَرَبًا والبحرين جنوبيًا، والأعراب يقدون إليها منهُما ومن داخل الجزيرة العربية، فمكَّن هذا أهلها من أن يأخذوا عن العرب دون أن يتكلَّفوا مشاقَّ السَّفَر.

وكانت تنعقد فيها مجالس العلم والمناظرة، ويقد إليها الشعراء ورؤاتهم، فهي تشبه سوق «عكاظ» في الجاهلية، ينزل فيها العلماء والأدباء للمذاكرة والرواية، واللغويون يأخذون عن أهلها ويُدوِّنون ما يسمعون فيأخذ منهم النَّحويون ما يُصلح قواعدهم.

ولم تكن كذلك الكوفة وبغداد؛ إذ إنَّ ساكنيهما من الأعراب أقلُّ عددًا وفصاحة ممَّن كان بالبصرة، وإن كان منهم لفيف من العرب إلا أنَّ أغلبهم يماثيئون، وأهل اليمن قد شِبت لغتهم بلغة مجاورهم من الحبشة والهند.

وقد كان هذا من أسباب أسبقية البصرة في الاشتغال بالنحو، وكان أيضًا من العوامل في اختلاف مناهج علماء البصرة والكوفة، فنشأ الخلاف بينهما في المسائل والاصطلاحات؛ حيث اعتمد البصريون في مادة منهجهم العلمي على الأفصح من الألفاظ والأسهل منها على اللسان؛ ولذلك اختاروا من بين القبائل التي اعتمدوا عليها القبائل المقطوع بعراقها في العربية، والمصونة -فطريًا- من رطانة الحضارة الأجنبية، فاختراروا من العرب قيسًا، وتميمًا، وأسدًا، فأخذوا أكثر قواعدهم من هؤلاء في اللغة والإعراب والتصريف، ثم أخذوا من هذيل وبعض

كِنانة وبعض الطائيين، ولم يأخذوا من حَضْرِيٍّ، ولا من سكان البراري ممَّن كان يجاور الأمم الأخرى.

ومن هنا لم يأخذوا من لَحْمٍ وِجْدَامٍ لمجاورتهم أهل مصر، ولا من قُضَاعَةَ وَعَسَّانٍ وإِيَادٍ لمجاورتهم أهل الشَّامِ، ولا من النَّمِرِ لمجاورتهم اليونان، ولا من بَكْرٍ لمجاورتهم النَّبْطُ والفُرسُ، ولا من عَبْدِ قَيْسٍ وَأَزْدِ عُمَانَ لمخالطتهم الفُرسِ والهند، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة... ونحو ذلك.

أَمَّا الكوفيُّون فقد قبلوا كلَّ مسموع، فأخذوا عن أهل الحضرة ممَّن جاور المتحضرين من الأعراب، ولم يبالغوا في التَّحْرِيِّ والتَّنْقِيْبِ، حتى قيل إنَّهم أفسدوا النَّحو بأخذهم عمَّن فسدت لغتهم، وفي هذا يقول الرياشي البصري: نحن -يعني معشر البصريين- نأخذ اللغة عن حَرَشَةَ الضُّبَابِ وَأَكَلَةَ الْيَرَابِيْعِ، وأهل الكوفة أخذوا اللغة عن أهل السَّوَادِ أصحاب الكَوَامِيخِ وَأَكَلَةَ الشَّوَارِيْزِ^(١).

ثم أصبح هذا العلم يدرس دراسة واسعة النطاق، فسيحة الميادين في البصرة والكوفة، ولم يزل كذلك حتى كمل وأوفى على الغاية في بغداد قبل تمام القرن الثالث الهجري، ومن ذلك نشأ المذهب البغدادي، وكانت غايته في غالب الأمر الترجيح بين المذهبين البصري والكوفي، وإن كانت له بعض الآراء التي انفرد بها.

ثم انتشر نور هذا العلم وشعَّ في أرجاء المدن الإسلامية؛ في مصر والشام والأندلس، وكان في كل منها علماء بارعون مؤلفون في هذا العلم لم يتطرقوا غالبًا أو يبتعدوا عن أصول السابقين وفروعهم إلا نادرًا.

(١) حرشة: جمع حارش، صائد الضب، والمقصود به هنا أهل البداوة. والكواميخ: جمع كامخ نوع من الإدام، والشواريز: جمع شيراز، اللبن الثخين، والمقصود بهم أهل الحضرة.

وقد تسلسلت طبقاتهم تباعاً، يأخذ فيها اللاحق عن السابق منذ الدور الأول الذي هو دور الوضع والتكوين في القرنين الأول والثاني الهجريين، ثم دور النمو والارتقاء في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ثم دور النضج والكمال في القرنين الثالث والرابع، ثم دور الترجيح من القرن الرابع الهجري فما بعده. وقد استمر تطور النحو في نطاق هذه الحركة العلمية حتى اكتمل نضجه في نهاية القرن السابع الهجري.

وكانت هذه الطبقات تتنافس، طبقة طبقة، في الظفر بقصب السبق في ميدان هذا العلم ويناظر بعضها بعضاً حتى نمت أصوله، واكتملت لبناته، وتمت عناصره.

ومن أشهر علماء الطبقة الأولى: أبو الأسود الدؤلي، ونصر بن عاصم الليثي، وعبد الرحمن بن هرمز المدني، ويحيى بن يعمر العدواني، وأضرابهم. ومن أشهر علماء الطبقة الثانية: أبو عمرو بن العلاء المازني، وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر، وأضرابهم.

ومن أشهر علماء الطبقة الثالثة البصرية: الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يعود له الفضل الأكبر في جعل النحو علماً؛ حيث انضبطت قواعده واتضح تعاليله وظهرت أوجه قياسه، ومن هذه الطبقة الأخفش الأكبر، ويونس بن جبيب.

ومن أشهر علماء الطبقة الرابعة البصرية: سيبويه؛ الذي دَوَّن النحو في كتاب شامل جامع قال عنه النحاة، إنه لم يسبقه إلى مثله أحد قبله ولم يلحق به بعده ولم يغادر للنحاة من متردم.

ومنها أيضًا: أبو محمد اليزيدي يحيى بن المبارك العدوي، والأصمعي عبد الملك بن قريب.

ومن علماء الطبقة الخامسة البصرية: الأخفش الأوسط، وأبو علي محمد بن المستنير المعروف بـ «قُطْرُب».

ومن علماء الطبقة السادسة البصرية: أبو عثمان المازني، وصالح بن إسحاق الجرمي، وأبو الفضل بن الفرّج الرّياشي.

ومن أشهر علماء الطبقة السابعة البصرية: المبرّد محمد بن يزيد الأزدي.

ثم يأتي دور آخر هو دور المذهب البغدادي، يبدأ من أوائل القرن الرابع الهجري، وقد اختلفت مشارب علمائه تبعًا لمن تتلمذوا عليه؛ فمنهم من أخذ عن البصريين؛ فغلبت عليه النزعة البصرية، ومنهم من أخذ عن الكوفيين؛ فغلبت عليه النزعة الكوفية، ومنهم من أخذ عن المذهبيين البصري والكوفي معًا فنظر إلى العلم نظرة خاصة متجردة عن العصبية.

ويمكن تقسيم علماء هذا الدور إلى ثلاث مجموعات:

١- أصحاب المذهب البصري.

٢- وأصحاب المذهب الكوفي.

٣- متحررون من قيود العصبية المذهبية.

فمن أشهر علماء أصحاب البصريين: الزجاج إبراهيم بن السري بن سهل،

وابن السراج، وابن دُرُسْتَوَيْهِ، والسّيرافي والفارسي.

ومن أصحاب الكوفيين: ابن الأنباري، وابن خالَوَيْهِ.

ومن البغداديين المتحررين من قيود العصبية للمذهبين البصري والكوفي:
ابن قتيبة، وابن كيسان، والأخفش الصغير^(١).

هذا وبعد نشأة النحو وازدهاره في العراق والحجاز والشام انتقل إلى
الأندلس، ثم ازدهر فيه ازدهاراً منقطع النظير، فأصبح على علماء الأندلس
الاعتماد، وإليهم المرجع في التماس الإسناد، كما يظهر من سند السيوطي
والزمخشري وغيرهما.

وكانت خطواته من المشرق إلى المغرب يقودها العلماء الكبار، الذين
غادروا الجزيرة العربية وتفرقوا في الأمصار وبثوا فيها العلم، كما أن كبارهم في
المغرب كان لهم تأثير كبير من خلال الرحلات التي قاموا بها إلى المشرق لأداء
فريضة الحج وزيارة المدينة المنورة للسلام على الرسول ﷺ، والتي كانت أيضاً
رحلات علمية، يتبادل فيها العلماء المعارف والإجازات بينهم في كل فن من
فنون العلم حيثما حلوا.

ثم انتقل هذا العلم من الأندلس إلى القطر الشنقيطي في وقت مبكر يصعب
تحديده بدقة؛ نظراً لغياب المراجع والتدوين في الحقب الماضية من تاريخ
هذا القطر، إلا أن من المرجح أنه كان في بداية القرن التاسع الهجري، ثم
كان للشناقطة به ولع شديد، وعُنوا بدراسته عناية فائقة، وأخذوا فيه بالمذهب
البصري؛ وخصوصاً بمذهب الخليل وسيبويه اللذين كانا من أبرز أئمة النحو
بالبصرة.

(١) انتهى ملخصاً من عدة مراجع، من أهمها: كتاب (الموجز في نشأة النحو) للدكتور محمد الشاطر
أحمد محمد الأستاذ بكلية العربية جامعة الأزهر في القاهرة.

وقد حصل التواصل العلمي بين بعض علماء شنقيط والعلماء المصريين، مثل: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ويذر الدين علي الأشموني وغيرهما، وكان ذلك عبر رحلات الحج، والرحلات العلمية منذ القرنين التاسع والعاشر الهجريين.

وقد دخلت الخلاصة (الألفية) القطر الشنقيطي في القرن (١٠هـ)، وانتقلت إلى المحاضر البدوية في (ق ١١هـ)، واستحكمت في المحاضر في (ق ١٢هـ). وكانت الزوايا (المحاضر) قبل ذلك تعرف «مُلحة الإعراب» للحريري، و«مقدمة ابن آجروم» لمحمد بن محمد الصنهاجي.

وبعد دخول خلاصة ابن مالك القطر الشنقيطي اعتنى بها الشناقطة، وانتشرت بينهم؛ مع أنه كان لهم اهتمام بـ«الكافية» و«التسهيل» و«فريدة السيوطي»، وأخيراً بـ«المثلث» و«المقصود والممدود» و«لامية الأفعال»، كلها لابن مالك. ثم جاء «الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصة» للمختار ابن بونا الجكني الشنقيطي، فلقى هذا الكتاب رواجاً كبيراً. فهذه الكتب هي الأسس المعرفية لمدرسة النحو في شنقيط.

وظلاب المحظرة الشنقيطية الذين تعلّقوا بدراسة الخلاصة تعلّقاً لا يجاريهم فيه غيرهم ولا يدانيهم، واستكشفوا معانيها، واستخرجوا مكنون مبانيها، وأعملوا فكرهم لتذليل صعابها، وسهروا ليلهم في سبيل ذلك، لهم وقفات خاصة مع بعض أبياتها، ومصطلحات أبدعوها، وعبارات نحتوها من كلمات هذا النص للتدليل بها على معانٍ قصدوها، ومن ذلك على سبيل المثال قولهم: إنَّ الطالب إذا ركب الفرس واكتحل وأخذ الهراوة فقد عرف النحو؛ فركوب الفرس يعني

فهمه لباب التنازع؛ لأن فيه بيتًا يسمّى «بيت الزامل» أي الفرس، وهو قول ابن مالك:

وَأَظْهَرَ أَنْ يَكُنْ ضَمِيرٌ خَبْرًا لِفَيْرٍ مَا يُطَابِقُ الْمُفَسِّرَا
... الخ

والاكتحال عبارة عن تمكنه من أحكام أفعال التفضيل؛ إذ فيه بيت يسمى بيت الكحل وهو قول ابن مالك:

وَرَفَعَهُ الظَّاهِرَ نَزْرٌ وَمَتَى عَاقَبَ فِعْلًا فَكَثِيرًا ثَبْنَا
... الخ

وأخذ الهراوة يدل عندهم على معرفة علم التصريف؛ إذ فيه بيت يشير إلى ما في جمع «هراوة» من إبدال وإعلال، وهو قول ابن مالك:

وَأَفْتَحْ وَرَدَّ الهمزَ يَا فِيمَا أُعِلْ لَأَمَّا وَفِي مِثْلِ هِرَاوَةٍ جُعِلْ
وأوا... الخ

وفي هذا المعنى يقول عبد الله بن محمودا المجلسي الحسن بن النعمري مخاطبًا بعض تلامذته:

خَوْفُ الهِرَاوَا وَإِنْفَاذُ الوَعِيدِ بِهَا مِنْ آلِ لَيْسَى حَمَانِي أَنْ أَلَمَّ بِهَا
وَقَدْ حَمَانِي مِنْ مَرَأَى حَوَاجِبِهَا مَرَأَى الدَّبَابِيسِ فِي أَيْدِي حَوَاجِبِهَا
كَي لَا تُعْمَلْ فِيمَنْ كَانَ يُعْمَلُهَا إِعْمَالَ تَضْرِبِهَا لِلْمُوَعِدِينَ بِهَا
فَالضَّرْبُ مِنْهُمْ لِمِثْلِي لَا يَلِيقُ بِهِمْ بَلْ لَا يَلِيقُ بِنَا بَلْ لَا يَلِيقُ بِهَا!

ومن توظيفهم لأبيات الألفية ومعانيها ذات الدلالة النحوية في غير ذلك ما يروى -في باب الطرف- أن أحد القضاة الشنقيطين أتته امرأة تشكو الضرر من زوجها وتريد رفعها عليه وهي تعني الطلاق؛ فقال لها: ما اسمك؟ قالت: فلانة بنت الواقف، فقال لها: اذهبي فأنت مرفوعة! رفعك ابن مالك في باب الفاعل حين قال:

وَقَدْ يُبِيحُ الْفَضْلُ تَرْكَ النَّاءِ فِي نَحْوِ آتَى الْقَاضِي بِنْتُ الْوَاقِفِ

ومنها كذلك اصطلاح لفظ «الحنكلة» وهي تعني عندهم عدم فهم تركيب الكلام، وأصل اشتقاق هذا الاصطلاح: أن أحد الطلبة سأل أستاذه قائلاً: ما معنى «حَنَكَل» في قول ابن مالك:

وَرَكَّبِ الْمُمْرَدَ فَاتِحًا كَلًّا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ... الخ

فأجابه الأستاذ: «حَنَكَل» معناه الخطأ في الفهم!

وعموماً فقد ولع الشناقطة باستخدام مَضامين المعجم النحوي في أدبياتهم، مما يدل على رسوخ أقدامهم في هذا الفن وحضوره القوي في تفاصيل حياتهم، وخاصة على مستوى النخبة المحظرة؛ فهذا ابن رازكّه يقول مُتَغَزِّلاً:

أَلَا إِنِّي خَلِيلُكَ يَا حَوْثِرَا وَمَبْسَمُكَ الْمُبْرَدُ لِلْغَلِيلِ
فَقُولِي لِلنُّحَاةِ^(١) حِمَايَ عَنْهُ: دَعُوا بَيْنَ الْمُبْرَدِ وَالْخَلِيلِ!

(١) أراد بالنحاة هنا القاصدين و«حمای» مفعول به للنحاة، والفعل منه: نحأ يتحوا.

ويقول آخر:

إِنَّ افْتِقَارَ الَّذِي أَوْمَأَ إِلَى الصَّلَاةِ مِثْلُ افْتِقَارِ «الَّذِي» أَوْ «مَا» إِلَى الصَّلَاةِ
إِيَّاكَ لَا تَصِلِي غَيْرِي إِذَنْ صَلَّةٌ إِنِّي أَحْرَى مِنَ الْمَوْصُولِ بِالصَّلَاةِ

ويقول آخر:

لَقَدْ عَادَنِي مَا خِلْتُهُ غَيْرَ عَائِدٍ بِسَاسِيَةِ الْأَنْسَابِ فِي حَيِّ عَائِدٍ
ضَنَى مِنْ هَوَاهَا وَاصِلِي وَهِيَ لَمْ تَصِلْ وَلَا بَدَّ لِلْمَوْصُولِ مِنْ عَوْدِ عَائِدٍ

لطيفة:

في معجم الأدباء لياقوت الحموي، قال أبو بكر بن مجاهد: قال لي ثعلب: يا أبا بكر اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، وأصحاب الحديث بالحديث ففازوا، وأصحاب الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو فليت شعري ما ذا تكون حالي؟ فانصرفت من عنده فرأيت النبي ﷺ تلك الليلة فقال لي: أقرئ أبا العباس السلام وقل له «أنت صاحب العلم المستطيل». قال الروذ باري: أراد أن الكلام به يكمل، والخطاب به يجمل. وقال مرة أخرى: أراد أن جميع العلوم مفتقرة إليه.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

وهذا أوان الشروع في تراجم مشايخ السلسلة النحوية. فأقول وبالله التوفيق:



الفصل الثاني
في التعريف بأصحاب
السَّند النَّحويِّ والصَّرفيِّ

الفصل الثاني

في التعريف بأصحاب السند النحوي والصرفي

أمّا محمد عالي ابن نعمه ويحظيه بن عبد الودود، فقد مرّ بعض التعريف بهما^(١).

• الحسن بن زَيْن (١٢٢٥ - ١٣١٥هـ):

وأما ولد زين: فهو الأستاذ الكبير والعلامة النحرير، النحوي اللغوي الشهير، الحسن بن زين، بن سيد اسليمان، بن الأمين، بن أحمد، بن علي القناني الشنقيطي.

ولد في ولاية أترارزة سنة (١٢٢٥هـ)، وأخذ مختلف العلوم عن بعض مشايخ عصره، وأخذ النحو واللغة عن العلامة عبد الودود بن عبدالحييلي، كما تواتر عن تلامذته وتلامذتهم، وكما في «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» لأحمد بن الأمين العلوي^(٢) و«المنارة والرباط» للخليل النحوي^(٣). وأخذ أيضاً عن بُلا بن الفاضل الشقروي، وتبحّر في النحو واللغة وغيرهما، وقد أهلته خبرته الواسعة في النحو والصرف واللغة بوجه خاص، وتبحره في ميدانها أن يتحرر من ريقة التقليد والجمود على ما هو موجود، ليرقى إلى رتبة المفكر البّناء الذي يصون قواعد البناء، ويضيف إليها من نتاج خبرته ومحصول معرفته ما يزيد في تثبيتها وترسيخها بمهارة وإتقان، فقام على هذا الأساس بتنظيم المسائل النحوية، وتقريب بعض القواعد المعقدة، سواء في أحكامها أو عواملها أو شروطها، وبتخريج أوجه الحكم في استعمالات لغوية

(١) انظر الصفحات: (٦٩-٧٨).

(٢) ص ٣٧٤ - ٣٧٧.

(٣) ص: ٤٩٣.

خاصة، كما اهتم بالبحث في التدقيق في بعض المصطلحات وبيان حدودها وإبراز الفوارق بينها، كل ذلك في أسلوبه الشعري السلس الواضح، على نحو ما نحا شيخه عبد الودود.

ومع بالغ الاهتمام الذي كانت تُوليه منطقة الغبلة لعلوم اللغة عموماً وعلم النحو خصوصاً فإن ولد زين زاد هذا الفن نصاعة، وكساه حُلَّةً جديدة جعلته أسهل تناوُلًا من ذي قبل، وكذلك علم التصريف المرتبط بالنحو ارتباطاً وثيقاً، فقد أَلَّفَ فيه توشيحاً رائعاً حلَّى به «لامية الأفعال» لابن مالك في علم التصريف، مكمِّلاً وشارحاً؛ وهو عبارة عن نظم يزيد على سبعين بيتاً على نفس أسلوب نظم ابن مالك بحرًا ورَويًا، مخللاً به النظم تخليلاً بارعاً، واضعاً كل مسألة في مكانها المناسب مع إضافات مهمة ومفيدة. ووضع على النظمين طُرَّةً تُفكُّ رموز النص وتثريه بالشواهد اللغوية والأدبية، وتزيد مادته عمقاً وتأصيلاً.

وقد أصبح هذا المجموع من بين أُمَمَاتِ التاكيف المعتمدة في مناهج المحظرة الشنقيطية، بالإضافة إلى مجموعة من الأنظمة العلمية في فنون النحو واللغة العربية ما زالت متداولة بين طلبة العلم، انتهج فيها أسلوباً متميزاً في تبسيط القواعد والتعقيدات النحوية بأسلوب سلس، في أبيات مختصرة طريفة وواضحة المعنى.

وبالجملة فقد كان الحسن بن زين أحد أعلام علماء النحو البارزين، شَادَ محظرةً علميةً تولَّى التدريس فيها بنفسه، واستمرت نحوًا من أربعين سنة. وكان حديد الذهن بعيد الغور، كما كان هو وشيخه عبد الودود من أجَلِّ العلماء الذين أَثَرُوا جامع العلامة المِخْتَارِ بن بُونَا بأنظامهما الفريدة المقيِّدة للنوادر،

وتقايدهما الجامعة للفوائد، وتعمقهما في التدريس بالشرح والتعليق والتعليل في مختلف المقاصد، لتظهر نتائج هذه الجهود القيمة، وثمارها النَّاضجة على يد خليفتهما «يحظيه» الذي حمل من بعدهما الرّاية، ووصل في شأو العلوم إلى أقصى الغاية.

وقد تخرج على الحسن هذا العديد من العلماء، وعلى رأسهم سيبويه زمانه يحظيه بن عبد الودود. وتوفي رحمه الله سنة (١٣١٥هـ) عن عمر يناهز التسعين، قضاه في درس العلم وتدريسه، ودفن في مقبرة «احسي السعاده» (على بعد ٦٧/ كم شرق انواكشوط).

● عبد الودود بن عبد ألّ (.... - ١٢٦٥هـ):

وأما ولد عبد ألّ: فهو العلامة الشهير، والنحوي الكبير، عبد الودود بن عبد ألّ (عبد الله) بن أحمد بن المختار انچبنان، بن محمد، بن أحمد چهچه الحيلي.

ولد وتربى في بيت اشتهر بالعلم والتعليم، وأخذ عن بعض علماء عصره مثل بُلّا بن الفأل الشقروي كما في «الوسيط» لأحمد بن الأمين العلوي^(١)، و«بلاد شنقيط المنارة والرباط» للخليل النحوي^(٢)، والروايات المستفيضة عن تلامذته وتلامذتهم، وأخذ أيضًا عن جده أحمد بن انچبنان وبعض أعمامه وغيرهم.

وكان سبب تتلمذه على بُلّا أنّه سافر مرة في غير تَمَتَّار، على عادة أهل محيطه، فنزل ذات ليلة عند حي بُلّا المذكور فسمعه يشرح لطلابه دروسهم،

(١) في (ص ٣٣٩ و ٣٧٤).

(٢) (ص ٤٩٣-٥٢١).

ويناقشها معهم بتحرير وتدقيق لم يعهده من قبل؛ فقرر العودة إليه والاعتماد عليه، ثم رجع إليه ولازمه حتى أتقن دراسة النحو على يديه، فأصبح فيه مفردًا عَلمًا وقاضيًا حَكَمًا، أبرز مكنون مخبَّاتِه، وأوضح أسرارِه، وأعلى مناره، ولم يترك فيه شاردة إلا نظمها أسلس نظم، حتى أصبحت بين طلبة العلم نارا على عَلم يهتدي بها السَّاري، ويعشو إلى ضوئها المقرئ والقاري، وكان ثاقب الذهن، غاية في الذكاء، دقيق البحث، حاضر الجواب.

ولما أكمل دراسته عاد إلى عشيرته، وشاد محظرة على أسس محاضر آبائه، وقصدها الطلاب من كل حدب وصوب، وانتشر ذكره وذاع صيته وحُملَ علمه، ولم يزل مشغلاً بالتدريس والتأليف مدة حياته الوجيزة التي تقاس بالعرض لا بالطول إلى أن توفي.

وتخرج عليه العديد من العلماء الأجلاء، مثل: الحسن بن زين القناني، ومحمد عالي بن سيدي بن ساعيد المعروف بـ «مَع» وغيرهما.

وله عدة مؤلفات، منها: كتاب «روض الحرون من طرة ابن بون» وضعه على مقابل الأصح والأظهر عند الشيخ المختار بن بونا، ومنها قصيدة في محفوظات المصادر، ومنها أنظامه الكثيرة المفيدة المثرية لجامع ابن بونا، والتي لم تترك عويصة في النحو واللغة إلا أتت بها في أسلس عبارة وأشدّها إتقانًا. وله قصائد رائعة في مواضيع عديدة.

وتوفي رحمه الله سنة (١٢٦٥هـ)^(١) ودفن بموضع يسمى «تِنِيدْن» في منطقة «إينشيري».

(١) سنة مولد اباه (يحظيه) بن عبد الودود.

• بُلَّا الشَّقْرُوي (.... - ١٢٧٣هـ):

وأما بُلَّا الشَّقْرُوي: فهو العلامة السُّنِّي، النحوي العبَّقري، عبد الله بن الفاضل، بن أحمد، بن أبي ميجه، المعروف ببُلَّا بن الفأل، الحَسَنِي، ويعرف أيضًا ببُلَّا بن مكبد الشَّقْرُوي.

ولد وعاش فيما يعرف بمنطقة «العُقْل» وجنوبها في ضواحي مدينة «أبي تلميت» الموريتانية.

وأخذ عن بعض علماء عصره، وتخرج على العلامة الكبير المختار بن بونا الجكني كما في «الوسيط»^(١)، و«المنارة والرباط»^(٢)، وكما نقله وحدث به تلامذته وتلامذة تلامذته؛ وكان من ألمع من تتلمذ على ابن بونا.

وأخذ أيضًا عن العلامة أحمد بن انچبنان الحيبلي، وتبحر في علوم القرآن، والتفسير، والنحو، واللغة، والفقه، وغيرها؛ فكان عالمًا مشهورًا، ونحويًا بارزًا، متميزًا في تدريسه، وعرف له علماء عصره وأدباء قُطره مكانته العلمية وفضله فأثنوا عليه بما هو أهله؛ يقول فيه العلامة الجليل باب بن أحمد بيب العلوي:

يَا رَبِّ أَبَقِ لَنَا بُلَّا لِنَسْأَلَهُ عَنْ كُلِّ سِرٍّ مِنَ الْقُرْآنِ مُحْتَجِبِ
وَعَنْ غَوَامِضِ شِعْرِ لَا يُفَسِّرُهَا إِلَّا ابْنُ بَجْدَتِهَا ابْنُ الْفَاضِلِ بْنِ أَبِي..

(ميجه)

ويقول فيه العلامة حرمه بن عبد الجليل العلوي:

(١) (ص ٣٣٩).

(٢) (ص ٤٩٠).

وَقَرِ الشَّيْبَ عَنْ نِدَاءِ الطُّلُوبِ وَادِّكَارِ لِسَاحِبَاتِ الدُّيُولِ
 لُبْسُ بُرْدِ الصَّبَا - وَقَدْ خَلَعْتَهُ عَنْكَ أَيَدِي المَشِيبِ - غَيْرُ جَمِيلِ
 لَا تَجُلُ فِي تِلْكَ المَيَادِينِ وَاسْلُكْ آمِنًا رَاشِدًا سَوَاءَ السَّبِيلِ
 وَاعْتَبِرْ فِي شَخْصٍ تَجَمَّعَ فِيهِ - وَهُوَ فَرْدٌ - خِلَالُ كُلِّ نَبِيلِ
 إِنَّ بُلَا مَشَايخُ حِينَ تَعْرُو شَارِدَاتُ تَفُوتُ أَيَدِي العُقُولِ
 إِنَّ يَسْرَ لَإِكْتِسَابِ مَجْدِ رَعِيلٍ كَانَ بُلَا دَلِيلَ ذَاكَ الرَّعِيلِ
 شِعْرُهُ مُطْرَبٌ حُمَيَّاهُ تَسْرِي فِي عِظَامِ الجَلِيسِ مِثْلَ الشَّمُولِ
 يَنْفُتُ الدَّرُّ وَالْيَوَاقِيتُ إِلَّا أَنَّ لِلدَّرِّ قَسْوَةً فِي التَّلِيلِ^(١)

وقد أخذ عنه الجرم الغفير، منهم: عبد الودود بن عبد آل بن أحمد بن
 انجنان، ومَع بن سيدي بن ساعيد الحيبليان، والحسن بن زين القناني، واجدود
 بن اكتوشني العلوي، والشاعر المجيد محمد بن حنبل الحسني، ومحمد بن
 عبد الله بن الأمين المشهور بابن عديم الديماني الفاضلي، وبث في صدور
 الرجال علماً جمًا، وقد صار أكثر الذين درسوا عليه من مشاهير العلماء ونوابغ
 اللغويين والشعراء.

وزيادة على ما بثه في قلوب الرجال فقد ترك إنتاجًا علميًا كبيرًا في فنون
 شتى؛ منه تأليف في غريب القرآن، و«عجالة الراكب» في اللغة، وطرة على
 مختصر خليل، وقد ضاع الكثير من تراثه.

وتوفي سنة (١٢٧٣هـ).

(١) التليل، كأمير: العتق (القاموس).

● الْمُخْتَارُ بْنُ بُونَا (نحو ١٠٨٠ - ١٢٢٠هـ):

وأما ولد بونا: فهو العلامة الكبير، والنحوي الشهير، الإمام الحجّة، بدر التّمَام، وعَلَم الأعلام، ذو القدر المُنيف، الغنيّ عن التعريف بما جمع من خصال التّشريف، بين فطاحل العلماء الكبار، وأمائل السادة النّبلاء الأخيار، الشيخ المختار بن بونا (محمد سعيد) بن المستحي من الله، بن صعود، بن علي، بن زَلَمَاط الجكني.

ولد في منطقة القبلة حوالي (١٠٨٠هـ)، وكان رحمه الله آية في المعرفة، جامعًا للفنون المختلفة، وأكثر معارفه وَهْبِيٌّ لَدُنِّي، فتح الله له في جميع العلوم. وقد أخذ عن العديد من مشايخ عصره، من قبيلته وغيرها، وممن أخذ عنهم: سيدي عبد الله ولد رازگه كما في «المنارة والرباط»^(١)، وأخذ أيضًا عن محمدا بن أبي أحمد المجلسي، وابنه أحمد البدوي، وانچبنان بن محمد بن أحمد جهچه الحيلي، والمختار بن حبيب الجكني، والمختار بن بابا الحسني، وغيرهم.

ثم أكبَّ على تحرير العلوم حتى برع فيها وصار شيخ المنقول وإمام المعقول، وبلغ مرتبة الاجتهاد، وتغنّى بعلمه الرائح والغادي، وحاز السّبُق في كل الميادين، بقواطع الحجج وسواطع البراهين، فأنشد لسان حاله:

وَدَعَّ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَإِنِّي أَنَا الطَّائِرُ المَحْكِيُّ وَالْآخِرُ الصِّدِّي

فكان إمامًا مُبرِّزًا في علم الكلام وعلوم العربية من نحو وصرف ولغة، وله اليد الطولى في علوم التفسير والحديث والفقه والأصول والقواعد والمنطق والبيان...

(١) في الآخذين عن ولد رازگه (ص: ٤٨٩).

وكان ثاقب الذهن، دقيق الفهم، حاضر الجواب، سريع الرجوع إلى الحق. ولما بلغ الغاية القصوى والرتبة العليا شاع نبوغه بين الناس وطار صيته في البلاد، وانتشر ذكره بين الحاضر والبادي، وأقبلت طلاب العلوم تتسابق إلى جنبابه، وتُلقي عصا الترحال عند بابه؛ يقول لسان حالها لرواحلها:

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةَ فَأَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

وهو أول من وسَّع دراسة النحو ونشره في قطره بتدريسه ومُصنَّفاته، وحرص الطلبة على الأخذ عنه رغم الصعوبات والعوائق البدويَّة من حِلِّ وتِرحال، وكان صبوراً لا يَمَلُّ من التدريس ليلاً ولا نهاراً، حسن الصحبة والمعاملة للطلبة، يحبهم ويباسطهم، حتى كأنه فرد منهم، وكان شجاعاً مقداماً واثقاً بنفسه، مشتغلاً بالعلم تدریساً وتصنيفاً.

ألَّف التَّاليفَ المفيدة، وصنَّف التصانيف العديدة في شَتَّى الفنون؛ منها:

«وسيلة السعادة في معنى كلمة الشهادة»، لخص فيها تأليف السنوسي مع زيادات كثيرة عليها، ومنها: مقدمة مختصرة في النحو مفيدة ألفها للمبتدئين، وله «سَلَّمَ الطالبين إلى قواعد النحويين»، و«الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصة»؛ وهو كتابه الذي مَزَج فيه بين ألفية ابن مالك ونظمه وهو المعروف بـ«احمرار ابن بونا»، وهو النظم الذي عقد فيه الكثير من الفوائد والزوائد من كتاب التسهيل مما لم يذكره ابن مالك في ألفيته، وسمي بالاحمرار تمييزاً له عن نظم ابن مالك المصطلح عليه بالاكحلال، نظراً للون الحبر الذي كان يميز به كل منهما عن الآخر عند الكتابة، وقد وضع عليهما طرته المشهورة ذات القيمة الكبيرة على اختصارها؛ وأثراها بالشواهد من القرآن والحديث وأشعار العرب.

وأصبح هذا الجامع من أهم المؤلفات المعتمدة في المحاضر الشنقيطية، والكتاب المعول عليه في الإحاطة بفن النحو والتبحر في دقائقه.

ومن مؤلفاته أيضاً: «تحفة المحقق في حل مشكلات علم المنطق» وعليه طُرَّةٌ له.

ومنها: «مبلغ المأمول نظم جمع الجوامع لابن السبكي في الأصول»، و«نظم إعراب الجمل»، و«تبصرة الأذهان في نكت المعاني والبديع والبيان»، و«درر الوصول في علم الأصول نظم ورقات إمام الحرمين»، وقصيدة في محاجة بعض معاصريه في علم الكلام. وله نظم في أسماء الله الحسنى، وقصيدة رائعة رائعة في الابتهاال. وكان شاعراً مقتدرًا، تناول في شعره العديد من الأغراض، مثل: الفخر، والأحاجي، والألغاز، والمساجلات، وغيرها...

وتصدر عليه من لا يحصون كثرة؛ منهم: العلامة النحوي بُلَّا بن الفاضل الشقروي، وحرمة بن عبد الجليل العلوي، والإمام بن ألفغ وابن عيد الجكنيان، وسيد عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، وعبد الله بن سيدي محمود الحاجي، وادبيجه بن عبد الله الكمليلي، وغيرهم من العلماء الأعلام، الذين أصبحوا في شتى بقاع الأرض مصابيح الظلام، ومفاتيح الحكم والأحكام.

وكان رحمه الله ممدِّحاً؛ وفيه يقول تلميذه العلامة حرمة العلوي من قصيدة:

فَأَنْتَ أَبُو عُدْرِ الْعَوِيصِ الَّذِي نَبَا	شَبَا كُلُّ فَهْمٍ دُونَهُ وَتَثَلَّمَا
فَمَنْ سَهَّلَ التَّسْهِيلَ بَعْدَ صُعُوبَةٍ	وَمَنْ لَخَّصَ التَّلْخِصَ دُرًّا مَنَظَّمَا
وَأَغْنَى عَنِ الشَّيْخِ السُّنُوسِيِّ مُنْطَقًا	وَعَلِمَ كَلَامَ مَنْ يُرِيدُ تَكَلَّمَا

وله أيضًا (يُنْدَب منازل كان يقيم فيها وهو يدرس على شيخه ابن بونا ويستعيد ذكرياته بها) من قصيدة:

دِمْنٌ دَعَتَكَ إِلَى الْقَرِيضِ فَإِنَّ تُجِبْ فَلَمِثْلَهَا يُهْدَى الْقَرِيضُ وَيُنْدَبُ
وَإِذَا سَكَتَ عَنِ الْجَوَابِ لِعَبْرَةٍ فَاضَتْ فَذَلِكَ مِنَ الْإِجَابَةِ أَصَوْبُ
إلى أن يقول:

كُنَّا مَعَ الْبُونِيِّ فِي عَرَصَاتِهَا هَالَاتِ بَسْرٍ لَمْ يَشْبُهَا غَيْهَبُ
فِيهَا تَجَمَّعَ سَيَّوِيهِ وَيُوسُفٌ وَالْكَاتِبِيُّ وَالْأَشْعَرِيُّ وَأَشْهَبُ
شَاقَّتْكَ أَطْلَالٌ بَلِيْنٌ لَهُمْ وَمَا شَاقَّتْكَ سُعْدَى إِذْ نَأَتْكَ وَزَيْنَبُ

.... الخ

وكان رحمه الله أديبًا حسنَ الطبع، زاهدًا متواضعًا، ذا كرامات وكشف، وعاش عمرًا مديدًا؛ قيل: إنه (١٢٠) سنة، وقيل: (١٤٠)، وقيل: (١٦٠) سنة، ولم يتغير له سمع ولا بصر، بل قيل إنه كان كلما تقدم في السن يزداد حدة ذهن وجودة فهم!

وقد سار في آخر حياته من وطنه الأم إلى الناحية الشرقية؛ قيل: على موعد زيارة يلتقي فيها بالشيخ الكبير سيد المختار الكنتي الأزوادي، الذي كان هو الآخر سيسير من وطنه مغربًا للالتقاء به، ولما بلغ المختار موضعًا يسمى «التُّبْرَاتِنُ» من طرف تكانت، وسمع باسم هذا الموضع قال فيه: «بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ» كأنه كُشف له أنه موضع وفاته، فتوفي عنده ودفن به سنة: (١٢٢٠هـ)^(١)، وأصبح مزارًا معروفًا.

(١) تنبيه: من المسلم به عند العام والخاص من تلامذة العلامة يحظيه بن عبد الودود: أن سلسلته

● ولد رازگه (١٠٦٠ ١١٤٤ هـ):

وأما ولد رازگه: فهو العلامة العبقري، والأديب اللوذعي، والشاعر اللغوي، ذو الصيِّت الطائر، والقدر الفاخر، مَضْرِب المثل في الذكاء الباهر، الأصولي النَّحْوِي، سيدي عبد الله بن محمد، بن القاضي عبد الله العلوي، الشَّهير بـ«ولد رازكه»، ولد سنة: (١٠٦٠ هـ) في منطقة القبلة، ونشأ بها، واشتغل بطلب العلم في مسقط رأسه، فأخذ عن والده محمد بن القاضي، وعن الشيخ مينحن بن مودي مالك.

النحوية متصلة بالعلامة النحوي علي بن محمد الأشموني، كما ذكر تلميذه البارز العلامة مم بن عبد الحميد الجكني في نظمه لسيرته، حيث قال:

كَمَا أَتَى فِي نَحْوِهِ الْمُصَوِّنِ مُتَّصِلَ السَّنَدِ بِالْأَشْمُونِيِّ

ومن المعلوم عندهم ضرورة: أن سلسلة سند العلامة يحظيه إلى العلامة المختار بن بونا تتضمن ثلاثة شيوخ معروفين، هم: الحسن بن زين القناني، وعبد الودود بن عبد الله الحبيلي، وبُلا بن الفاضل الحسني.

وأما سلسلة ابن بونا المتصلة بالأشموني فقد تضاربت فيها الروايات، فمن أصحابها من يقول: إن بينهما ثلاثة شيوخ من ضمنهم سوداني، ولم يسم أحداً منهم، ومنهم من يقول: إن بينهما علويين وسودانياً، ومن يقول: إنهما سودانيان وعلوي وإنه لا يعرف اسم أي منهم، إلى غير ذلك، ومهما يكن من أمر؛ فإن كل هذه الروايات تنقصها الدقة، فإنه رغم جهل الأسماء في جميعها فإن الفترة التي تفصل بين الشيخين لا يمكن أن يسدها من ناحية المقتضيات العمرية العادية ثلاثة أشخاص، على الإطلاق.

والذي توصلت إليه بعد الكثير من البحث والتحري والمطالعة وسؤال ومراسلة بعض العلماء وأصحاب البحث الذين لهم باع طويل في هذا الميدان: أن بين الشيخين سبعة مشايخ، من ضمنهم المذكورون بالصفة في هذه الروايات؛ ففيهم ثلاثة من ضمنهم سوداني، وفيهم علويان وسوداني، وفيهم سودانيان وعلوي، وفيهم زيادة كفيفة بتعمير الفترة الفاصلة بين الشيخين، فلا منافاة إذن بين هذا وبين ما في الروايات السابقة، بل فيها ما فيها وزيادة، وقد ذكرتُ مصادر أخذ هؤلاء المشايخ السبعة بعضهم عن بعض في محله جرياً على سائر ما في السلسلتين، وبهذا في نظري ترتفع الجهالة والإبهام عن هذا الانقطاع الذي كان موجوداً في هذا السند،

ومن المعلوم أن الاتصال بين علماء القطر الشنقيطي رغم ترامي أطرافه ظل قائماً فيما بينهم لعدة أسباب،

منها: التغرب لطلب العلم، ومنها: عادة التجوال والتنقل الذي تفرضه الطبيعة البدوية لسكان هذا القطر، كما ظل أيضاً بينهم وبين نظرائهم من علماء المشرق عن طريق رحلات الحج التي كانت تمنح الجانبين الفرصة لتبادل المعارف ونقل الإجازات في العلوم وأسانيدها، وقد أثبت هذا الهامش هنا على أمل أن يتاح لنا في المستقبل مزيد تحرير فيه، والله الموفق.

ثم سَمَتَ به هِمَّتُهُ لِلاِسْتِزَادَةِ مِنَ الْعِلْمِ فَنَزَحَ إِلَى مَدِينَةِ شَنْقِيطٍ فِي الشَّمَالِ، فَأَخَذَ عَنِ الْعَلَّامَةِ الْجَلِيلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُخْتَارِ بْنِ الْأَعْمَشِ (بَلَّعْمَشِ) الْعَلَوِيِّ، كَمَا فِي «الْمَنَارَةِ وَالرِّبَاطِ» لِلخَلِيلِ النُّحَوِيِّ^(١) وَأَخَذَ أَيْضًا عَنْ عُلَمَاءِ وَدَّانٍ.

ثُمَّ جَعَلَ يَتَرَدَّدُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بَيْنَ مَنَاطِقِ الْقَطْرِ الشَّنْقِيطِيِّ حَتَّى بَرَعَ فِي الْعِلْمِ، وَتَبَحَّرَ فِي سَائِرِ فَنُونِهِ وَخَاصَّةً فِي النَّحْوِ، وَالْعَرَبِيَّةِ، وَالْفِقْهِ، وَالسِّيَرَةِ، وَالْمَنْطِقِ، وَالْبَيَانِ، وَعِلْمِ الْبَلَاغَةِ، وَغَيْرِهَا، فَصَارَ عَلَّامَةً نَحْرِيًّا، مُقَدِّمًا عَلَى أَهْلِ قَطْرِهِ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ، كَلَّ عَنْ مَدَاهُ كُلِّ جَوَادٍ، وَاعْتَرَفَ بِذَلِكَ الْحَاضِرُ وَالْبَادِ، وَطَارَ صَيْتُهُ فِي الْبِلَادِ الشَّنْقِيطِيَّةِ فِي كُلِّ مَدَارٍ، حَتَّى صَارَ كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ.

ثُمَّ طَمَحَتْ نَفْسُهُ إِلَى الْأَعْتَابِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي إِقْبَالِ الدَّوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ، فَاتَّصَلَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَوْلَايِ إِسْمَاعِيلِ، فَحَظِيَ عِنْدَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ وَقْتُ نُبُوغِ وَلَدِهِ الْمَوْلَى مُحَمَّدِ الْعَالِمِ، الَّذِي اشْتَهَرَ عِلْمُهُ وَفَضْلُهُ، فَكَانَ وَلَدَ رَاذِكَةَ مِنْ خَاصَّتِهِ، وَكَانَ يَكْرُمُهُ غَايَةَ الْإِكْرَامِ، وَيُبَادِلُهُ الثَّنَاءَ وَالْمَدِيحَ، وَجَعَلَ يَفِدُّ إِلَيْهِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى بِلَادِهِ.

وَسَافَرَ مَرَّةً إِلَى الْمَغْرِبِ وَصَحْبَهُ صَدِيقَهُ التَّرْوَزِيَّ اعْلَى شَنْظُورَهُ بِنِ هَدِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ دَامَانَ الْمَغْفَرِيِّ يَسْتَعِظِفُ بِهِ الْمَلِكُ وَيَطْلُبُ مِنْهُ جَيْشًا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى خِصُومِهِ، فَنَزَلَ عِنْدَ السُّلْطَانِ بِمَكْنَسَةِ الزَّيْتُونِ، فَأَكْرَمَهُمَا وَرَحَّبَ بِهِمَا ابْنَهُ سَيِّدَ مُحَمَّدَ الْعَالِمِ قَائِلًا:

مُكْنَسَةُ الزَّيْتُونِ فَخْرًا أَصْبَحَتْ تَزْهَوُ وَتَرْفُلُ فِي مَلَأٍ أَخْضَرَ
فَرَحًا بِعَبْدِ اللَّهِ نَجَلٍ مُحَمَّدٍ قَاضِي الْقَضَاةِ وَمَنْ ذُوَابَةُ مَغْفَرٍ

(١) فِي تَرْجُمَةِ وَلَدِ رَاذِكَةَ (ص: ٥٠٢).

ويقول:

هَذَا الْحَبِيبُ الَّذِي قَدْ جَاءَ مِنْ بَعْدِ وَالشَّمْسُ قَدْ أَثَرَتْ فِي وَجْهِهِ أَثْرًا
فَقُلْتُ يَا عَجَبًا لِلشَّمْسِ فِي قَمَرٍ وَالشَّمْسُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ

فأمدهما السلطان بمحلة كبيرة - جيش -، وقدم ولد رازكه بمكتبة غنية، وكان رحمه الله شاعراً مجيداً وله ديوان شعر تناول فيه جُلَّ الأغراض الشعرية...

ومن شعره: قصيدته التي مدح بها نعله ﷺ، يقول فيها:

لَسِنٌ فَاتَنَا عَيْنُ الْحَبِيبِ فَإِنَّمَا بِأَثَارِهِ الْحُسْنَى اكْتِفَاءً مَنِ اسْتَكْفَى
فَإِنْ لَمْ تَرَ النَّعْلَ الشَّرِيفَةَ فَانْخَفِضْ لَتِمْتَالِهَا وَاعْكُفْ عَلَى لَتِمَتِهَا عَكْفًا
وَقِفْ رَائِمًا إِشْمَامَ رِيَا عِبِيرِهَا حُشَّاشَةَ نَفْسٍ وَدَعَتْ جِسْمَهَا وَقِفَا

ومنها:

مَضَى سَلَفٌ فِي خِدْمَةِ النَّعْلِ صَالِحٌ فَكُنْ خَلْفًا فِيمَا تَعَاطَوْهُ لَا خَلْفًا
رَأَوْا تِلْكَ فِي الدُّنْيَا الدِّينِيَّةِ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ فِي الْأُخْرَى مُقْرَبَةً زُلْفَى
أَرَى الشُّعْرَاءَ الْهَائِمِينَ تَشَبَّهُوا بِذِكْرِ مُحَاكِي مَنْ يُحِبُّونَهُ وَصَفَا
يُذِيعُونَ ذِكْرَ الْبَانَ وَالْحَقْفِ ذِي النَّقَى وَيُطْرُونَ ذَاتَ الْخِشْفِ بِالْقَوْلِ وَالْخِشْفَا
فَهَا أَنَا فِي تِمْتَالِ نَعْلِكَ سَيِّدِي مَضَيْتُ عَلَى التَّحْقِيقِ فِي الْوَصْفِ كَالِإِشْفَا
وَإِنِّي وَتَوْصَافِي بَدِيعَ حُلَاهُمَا كَمَنْ هَمَّ بِالْبَحْرَيْنِ يُفْنِيهِمَا غَرْفَا
مُوَازِي تُرَابِ النَّعْلِ بِالتَّبْرِ سَائِمٌ جِبَالِ شَرُورِي الشَّمِّ أَنْ تَزِنَ الزُّفَا^(١)

...إلخ.

(١) شروري: جبل لبني سليم. والزَّف، بالكسر: صغار ريش النعام أو كل طائر (القاموس).

ومن شعره: قصيدته التي يخاطب بها علماء فاس مُلغزاً في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ (يوسف: ٧٦) بقوله فيها:

شُيُوخَ الْبَيَانِ الذَّاكِقِينَ حَلَاوَةً	مِنَ الْعِلْمِ لَمْ تُطْعَمْ لِغَيْرِ ذَوِيهِ
سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ السَّلَامِ وَرَحْمَةٌ	يُعْمَانِكُمْ مِّنْ خَامِلٍ وَنَبِيهِ
سُؤَالٌ غَرِيبٌ دُونَ شَنْجِيطِ أَرْضِهِ	مِنَ الْبُعْدِ تِيهِ يَتَّصِلُنَ بَتِيهِ
إِذَا شَبَّهَ الْهَادِي بِهَا وَجْهَ مُرْشِدٍ	تَشَابَهَ فِي عَيْنَيْهِ وَجْهَ مُتِيهِ
قَرَأَهُ لَدَيْكُمْ أَهْلَ فَاسٍ جَوَابُهُ	بِنَصِّ بَيَانٍ فِي الْبَيَانِ وَجِيهِ
سَمَا بِكُمْ عِلْمُ الْبَيَانِ وَحَقُّهُ	إِذَا مَا هَوَى ظَنُّنْ بِمُخْتَلِجِيهِ
أَسْأَلُكُمْ مَا سِرُّ إِظْهَارِ رَبَّنَا	تَبَارَكَ مَجْدًا (مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ)
فَلَمْ يَأْتِ عَنْهُ «مِنْهُ» أَوْ «مِنْ وِعَائِهِ»	لِأَمْرِ دَقِيقٍ جَلَّ ثَمَّ يَخِيهِ؟
فَإِنْ تَكُ أَسْرَارُ الْمَعَانِي خَفِيَّةً	فَمِرْأَتُهَا أَفْكَارُ كُلِّ نَبِيهِ
وَأَنْتَ، ابْنَ زُكْرِيِّ، نَبِيٌّ مُحَقَّقٌ	تَفَرَّدْتَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ شَبِيهِ
إِذَا غُصَّتْ فِي بَحْثٍ حَصَلْتَ بِدُرِّهِ	وَخَلَيْتَ عَنْ سَفْسَافِهِ وَرَدِيهِ
يَمُدُّكَ فِي إِتْقَانِ عِلْمٍ نَبِيُّهُ	قِيَاسُ أَصُولِيٍّ وَنَصُّ فَقِيهِ
وَقَاكَ الَّذِي أَبْدَاكَ كَالنَّجْمِ يَتَّقِي	بِهِ الْغِيَّ مَنْ يَبْغِي الْهُدَى وَيَبْعِيهِ

ومنه مُلغزاً يخاطب أحد علماء زوايا القبلة:

أَتَيْنَاكَ نَوَكِي مُرْمِلِينَ فَوَاسِنَا	يَا سَلَامِ صَحْبِي عَلَى يَدِ تَابِعِ
وَسَبَقِ أَبِ مِيْلَادِهِ مَوْلِدِ ابْنِهِ	بِخَمْسِ وَسِتٍّ أَوْ عُرْزَنْ بِسَابِعِ؟

فأجابه العلامة مُحَمَّدًا بن أبي أحمد المجلسي بقوله:

هُمَا عَمْرُو السَّهْمِيُّ أَسْلَمَ مُخْلِصًا بِأَصْحَمَةَ الْمَلِكِ النَّجَاشِيِّ الْمُتَابِعِ
مَعَ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ جَاءَ قَبْلَهُ بِخَمْسِ وَسِتِّ مَا عَزَزْنَ بِسَابِعِ^(١)

ومن شعره أيضًا قوله:

إِذَا جُلْتُ فِكْرًا فِي الْعُلُومِ عَوِيصَهَا وَمَادَتْ بِي الْأَفْرَاحُ كُلَّ مَمِيدِ
تَصَاغَرَتْ الدُّنْيَا لَدَيَّ وَأَهْلُهَا وَجِئْتُ بِمَا يَشْفِي غَلِيلَ مُرِيدِي
وَنِلْتُ لَدَيْدَ الْعِلْمِ بِالذُّوقِ وَحَدَهُ وَكُلُّ لَدِيدٍ غَيْرُهُ كَهَيِّدِ

ومن بديع شعره قوله:

أَلَا إِنِّي خَلِيلُكَ يَا حُوبِرًا وَمَبْسَمُكَ الْمُبْرَدُ لِلْغَلِيلِ
فَقُولِي لِلنَّحَاةِ حِمَايَ عَنْهُ دَعُوا بَيْنَ الْمُبْرَدِ وَالْخَلِيلِ

وله مؤلفات في الأصول والمنطق والبيان.

وله ديوان شعر حافل بالمعاني والبديع.

وممن أخذ عنه:

المختار بن بونا الجكني، وسيد أحمد بن محمد بن موسى الزيدي، والإمام
عبد الرحمن بن الإمام محمد بن يعقوب العلوي... وغيرهم.

توفي رحمه الله سنة: (١١٤٤هـ).

(١) ذكره الشيخ حماد بن المين بن محمدا المجلسي في شرحه لقول أحمد البدوي في نظم عمود
النسب:

هنا انتهى سعد، ومن سعيد أخيه عمرو ذو الدها والكيد

وَلَدُ بَلْعَمَشُ (١٠٣٦-١١٠٧هـ):

● وَأَمَّا وَلَدُ بَلْعَمَشٍ: فهو العلامة القارئ، المحدث، الفقيه، الأصولي، النحوي، اللغوي، العروضي، ذو المناقب الباهرة، والمعارف الوافرة، أبو عبد الله الطالب محمد بن المختار، بن الأعمش، العلوي الشنجيطي.

ولد سنة: (١٠٣٦هـ)، وحفظ القرآن وهو صغير، ثم تلا على القارئ الكبير أبي علي الواداني بالقراءات السبع، ثم أقبل على طلب العلم وتحصيله، فجدَّ فيه واجتهد، وأخذ عن حامل راية العلم بالتكرور أبي العباس أحمد بن أحمد، بن الحاج، والفقيه الجليل سيدي أبي محمد الحاج عبد الله، بن الفقيه محمد، كما نص عليه هو نفسه في بعض إجازاته^(١)، وأخذ أيضاً عن الشيخ القطب أبي عثمان عمر بن الشيخ المحجوب الولائي، وعن فريد عصره ووحيد دهره أبي محمد سيدي عبد الله بن محمد، بن أحمد، بن عيسى الحسيني، وغيرهم...

فكان من كبار علماء بلاد شنقيط، لا يُشَقُّ غبارُه في شتى الفنون، وتبحر في العلوم الشرعية، مثل: التوحيد، والتجويد، والفقه، والحديث، والأصول، والنحو، واللغة، والمنطق، والبيان، والبديع، والحساب والعروض والتصوف، فكان مفتي مدينة شنقيط وعلامتها، وأحد أبرز الوجوه العلمية في البلاد خلال قرنه، وأول من أجاد من أهل تلك البلاد في تصنيف التوازل، وإليه يرجع أغلب الأسانيد العلمية في عموم بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين.

وله عدة مؤلفات، منها: «فتوحات ذي الرحمة والمنة في شرح إضاءة الدجنة للمقري»، و«المنن العديدة في شرح الفريدة للسيوطي» في النحو، وله

(١) ذكره في إجازته لمحمد الحاج عثمان بن السيد بن الطالب صديق الجُماني. المنارة والرباط، (ص: ١٨٠).

نوازل متداولة عند الشناقطة تعرف بـ «نوازل ولد بلغمش»، وله قصيدة في علم الحساب تسمى: «روضة الأزهار في معرفة الليل والنهار»، وشرحها.

وكان مشتغلاً بالعلوم وبثها، والعبادة والسياسة الدينية والدنيوية، حسن النظر في العواقب، كثير النفع للخلق، يقال: إنه قام مع أوائل حركة ناصر الدين، وحاول إرجاعهم عنها متخوفاً عليها مما آل إليه الأمر، «وكان أمر الله قَدَرًا مَقْدُورًا».

واشتهر ذكره، وذاع صيته، وقصد لطلب العلم والفتوى.

وتخرج عليه كثير من العلماء الكبار، مثل: ابن رازگه العلوي، وسيدي محمد بن أبي بكر بن الهاشمي الغلاوي، وأبي عبد الله محمد بن الحاج عثمان الجماني، وعلامة عصره عثمان بن عمر الولاتي... وغيرهم.
وتوفي رحمه الله سنة: (١١٠٧هـ).

● الحاج عبد الله (في القرن: ١١ هـ):

وأما الحاج عبد الله: فهو العلامة الجليل، والفقير النبيل، بدر التمام، وشيخ المشايخ الأعلام، سيدي أبو محمد الحاج عبد الله بن الفقيه محمد العلوي الشنقيطي.

أخذ العلم عن شيوخ بلده العامر - ودان - وخصوصاً عن العلامة الجليل أحمد بن محمد بن يعقوب الوداني، وأعلى سنده في بلده روايته عنه، كما ذكر تلميذه العلامة ولد بلغمش^(١).

(١) في سلسلة إجازته لمحمد الحاج الجماني. المنارة والرباط (ص: ١٨٠).

وكان من أبرز وأقدم علماء شنقيط، واشتهر بإتقان مختصر خليل؛ تعليمًا وتعلمًا، وكانت له حلقة علمية عامرة تدرّس فيها العلوم؛ وخاصة مختصر خليل، بدليل أسانيده الموجودة.

وأخذ عنه عدد، منهم:

محمد بن المختار بن الأعمش، وقد أجازته، ومنهم: شيخ الشيوخ الحسني وغيرهما.

وعاش - رحمه الله - في القرن الحادي عشر الهجري.

● أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ (في القرن ١١ هـ)

وَأَمَّا أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ: فهو العلامة الأوحّد، والعلم المفرد، المحكوم له بالرفع أنّي وحيثما ورد، شيخ بلده روايةً ودرايةً، أبو العباس أحمد بن أحمد، بن الحاجّ، العلويّ الشنقيطيّ، أخذ عن شيخ بلده (وَدَّان) الفقيه أحمد بن محمد بن يعقوب الودّاني، كما ذكر تلميذه ولد بلغمش^(١).

وكان من أقدم علماء الشناقطة، واشتهر بإتقان مختصر خليل تعليمًا وتعلمًا، وقد عاصر سابقه، واشتهر بما اشتهر به.

ومن تلامذته: محمد بن المختار بن الأعمش العلوي، وشيخ الشيوخ الحسني، وغيرهما...

● أَحْمَدُ الْوَدَّانِي (كان حيًّا: ٩٥٤ هـ):

وَأَمَّا أَحْمَدُ الْوَدَّانِي: فهو العلامة المعروف عند القاصي والداني بعلو القدر، ونباهة الذكر في أعلام القطر: أحمد بن محمد بن يعقوب الحاجي الودّاني، كان رأس السند الفقهي الخليلي في بلاده.

(١) في سلسلة إجازته لمحمد الحاج الجماني. المنارة والرباط (ص: ١٨٠).

أخذ عن شيوخ، منهم: العلامة الجليل أبو العباس أحمد المسك، بن الحاج أحمد، بن عمر، بن محمد أقيت السوداني والد الشيخ أحمد بابا التنبكتي، كما في «سلسلة إجازة ولد بلعمش» للجمانى^(١).

وأخذ عنه العديد من شيوخ العلم، منهم: الحاج عبد الله بن الفقيه محمد، وأبو العباس أحمد بن أحمد بن الحاج، وكان -رحمه الله تعالى- حياً سنة: (٩٥٤هـ).

• الحاج أحمد المسك (٩٢٩ ٩٩١ هـ):

وأما الحاج أحمد المسك: فهو العلامة الجليل، والمحدث الكبير، الأصولي البياني المنطقي، أبو العباس الحاج أحمد المسك، بن الحاج أحمد، بن عمر، بن محمد أقيت، بن عمر، بن علي، بن يحيى الغدالي، الصنهاجي، التنبكتي، والد العلامة أحمد بابا التنبكتي^(٢).

ولد بتنبكتو في المحرم سنة: (٩٢٩هـ)، ونشأ في أسرته بني أقيت المعروفة بالعلم والقضاء، ذات المكانة العالية.

أخذ العلم عن إمام بلده وشيخ عصره عمه محمود بن عمر، بن محمد أقيت، وغيره، كما في «نيل الابتهاج بتطريز الدياج»^(٣).

وتبحر في العلم، فكان علامة فهامة، ذكياً محصلاً، متفنناً، محدثاً أصولياً، بارعاً في علمي البيان والمنطق، توجه للحج سنة: (٩٥٦هـ) فحج وزار، ولقي

(١) المنارة والرباط (ص: ١٨٠)

(٢) من جده محمد أقيت هذا أخذت عائلته شهرتها، وهي أسرة مشهورة بالعلم والدين، تعرف بـ«آل أقيت»، صنهاجية النسب والأصل، عربية اللسان والثقافة، وأصلها من مدينة «ولانة» حاضرة العلم الواقعة في بلاد الحوض من شرقي موريتانيا الحالية.

(٣) تأليف ابنه أحمد بابا، ذكره في ترجمتي أحمد المسك، وعمه محمود بن عمر بن محمد أقيت،

هناك جماعة من أهل العلم، منهم: الناصر اللقاني، والشريف يوسف تلميذ السيوطي، وجمال الدين بن الشيخ زكرياء، والتاجوري، والأجهوري، وعبد العزيز اللمطي، وعبد المعطي السخاوي، وعبد القادر الفاكهاني، ومحمد البكري، فاستفاد منهم واستفادوا منه، وأجازه بعضهم، ولازم أبا المكارم محمد البكري وقيد عنه فوائد كثيرة، ثم رجع لبلاده وقعد للتدريس والإفادة.

وَأَلَّفَ تَأْلِيفًا، مِنْهَا: «شرح على صغرى السنوسي والقرطبية»، و«شرح منظومة المغيلي في المنطق»، وهو شرح جامع حَسَنٌ، وكتب «حاشية على شرح التتائي على خليل» نبه فيه على مواضع السَّهْوِ مِنْهُ، وَقَطَعًا عَلَى مَوَاضِعٍ مِنْ خَلِيلٍ، وَفِي الْأَصُولِ وَغَيْرِهَا.

وَجَلَسَ لِإِسْمَاعِيلِ الْبَخَارِيِّ فِي رَجَبٍ وَتَالِيَتَيْهِ نَحْوَ خَمْسِينَ وَعِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ مَسَلَمَ كَذَلِكَ.

وَأَخَذَ عَنْهُ ابْنُهُ أَحْمَدُ بَابَا التَّنْبُكْتِيِّ ذُو التَّصَانِيفِ الْكَثِيرَةِ فِي شَتَّى الْفُنُونِ، وَأَجَازَهُ.

وَأَخَذَ عَنْهُ الْفَقِيهُ الْجَلِيلُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبِ الْوَدَّانِيِّ وَغَيْرُهُمَا.

وتوفي في شهر شعبان، سنة: (٩٩١هـ).

● محمودُ بْنُ عُمَرَ (٨٦٨ ٩٥٥ هـ):

وَأَمَّا مَحْمُودٌ: فَهُوَ الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ الْجَلِيلُ، وَالْقَاضِي الْكَبِيرُ الْفَقِيهُ النَّحْوِيُّ، أَبُو الْمَحَاسِنِ الْحَاجِّ مَحْمُودُ بْنُ عَمْرٍ، بْنُ مُحَمَّدٍ أَقْبَيْتِ الصَّنَهَاجِي الْمَسُوفِي التَّنْبُكْتِيِّ، عَالِمُ التَّكْرُورِ وَصَالِحُهَا.

وُلد سنة: (٨٦٨هـ)، واشتغل بطلب العلم، فأخذ عن أخيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت، كما في «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»^(١)، و«فتح الشكور»^(٢)، وبلغ من العلم وجلالة القدر مبلغاً لم ينله غيره، فكان عالم التكرور وصالحها ومدرّسها وفقهها وإمامها بلا مُدافع.

وَلِيَّ قِضَاءِ تَنبُكْتُو سَنَةَ: (٩٠٤هـ)، وظهر عدله في القضاء ونزاهته، فشدد في الأمور وسدد، وتوخي الحق في الأحكام، وهدد أهل الباطل، لا يخاف في الله لومة لائم، يهابه السلاطين فمن دونهم، يزورونه في بيته فلا يقوم لهم، ولا يلتفت إليهم. هذا مع ملازمة التدريس لطلبة العلم، فانتفع به بشر كثير، وأحيا العلم في تلك البلاد، واشتهر بها علمه وصلاحه، وطار صيته في الأقطار شرقاً وغرباً، وظهرت ديانتته وورعه وصلاحه، وكثر طلبته، ونجّب منهم جماعة كثيرة، وكان أكثر ما يُقرئ المدوّنة، والرّسالة، ومختصر خليل، والألفية، وغيرها.

وعنه انتشرت قراءة مختصر خليل هناك، وقيدت عنه تقاييد عليه أخرجوها شرحاً في سفرين.

وحجّ في عام: (٩١٥هـ) فلقى سادات كباراً منهم: إبراهيم المقدسي، والشيخ زكرياء، والشيخ القلقشندي، واللقاني، وغيرهم.

ثم رجع إلى بلاده، ولازم الإفادة وإنفاذ الحق، وطال عمره فألحق الأبناء بالأباء.

وممن أخذ عنه: ابن أخيه أحمد المسك بن الحاج أحمد، وأخذ عنه أولاده الثلاثة القضاة؛ محمد والعاقب وعمر، وعدد لا يُحصى، وكان شيخاً كريماً

(١) في ترجمة الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت.

(٢) في ترجمة الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت.

جوادًا تُجَبِي له الهدايا فيفرِّقها بين الناس، وكان من خيار عباد الله الصالحين العارفين به، جليلاً وقوراً، لا يُعرَف له نظير في وقته.

توفي ليلة الجمعة في شهر رمضان، سنة: (٩٥٥هـ).

● الحاج أَحْمَدُ الْمَاسِنِيُّ (٨٦٢ ٩٤٢ هـ)

وَأَمَّا السُّودَانِيُّ الْمَاسِنِيُّ: فهو العلامة الكبير والنحوي الشهير، الحاجُّ أَحْمَدُ بن عمر بن محمد أُقَيْت، بن عمر، بن علي، بن يحيى الغدالي، الصنْهَاجِيُّ، الْمَاسِنِيُّ، السُّودَانِيُّ، التَّنْبُكْتِيُّ^(١).

ولد سنة: (٨٦٢هـ)، وأخذ العلم عن العديد من مشايخ قطره، وعن بعض أجداده وأخواله؛ فكان فقيهاً نحوياً لغوياً عروضياً محصلاً بارعاً، محافظاً على السُّنَّةِ والمروءة والصيانة والتَّحْرِي، وكان أكبر الإخوة الثلاثة المعروفين في قطره بالعلم والدين. وكان من بيت علم عريق يعرف بالأقْيِيَّين، أهل العلم والقضاء والفتيا والشورى والوجاهة والدين والسُّودَد واليسار، توارثوا رئاسة العلم مدة طويلة تقرب من مائتي سنة.

(١) لقد كان في نسب الأقيتين، وعلاقة علمائهم بمعاصريهم، تعقيد أوقع المحققين والباحثين في بعض الأخطاء والارتباك. فقد كان العلامة الكبير والمؤلف الشهير أحمد بابا التنبكتي ينسب نفسه في عدة مواضع بنسب عديدة؛ منها: الغدالي، والمسوفي، والصنهاجي، والماسني، والتكروري، والتنبكتي والسوداني؛ وكلها صواب من الوجهة التاريخية، لكن بعضها أرجح من بعض. فالغدالي نسبة إلى قبيلة غدالة الصنهاجية. والمسوفي نسبة إلى مسوفة، إحدى قبائل صنهاجة. والماسني نسبة إلى «ماسنا»، وهي البلاد الواقعة حول الفرع الغربي من نهر النيجر، وسكانها من الشعوب السودانية. والتكروري نسبة إلى بلاد التكرور؛ وهو مصطلح غير عرقي أطلقه المشاركة منذ القرن الخامس الهجري على كامل بلاد السودان من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلسي وما يتاخمهما من الصحراء الكبرى، قبل أن يصبح نسبة إلى مجموعة التكارير. والتنبكتي نسبة إلى مدينة تنبكتو في غرب جمهورية مالي الحالية. والسوداني نسبة لبلاد السودان التي كانت تنبكتو تحت سلطة حكام دولتها الإفريقية المسلمة.

فهذه الأسرة آل أقيت غدالية ومسوفية وصنهاجية النسب والأصل، وماسنية وتكرورية وتنبكتية الوطن، وسودانية التوطن والنشأة؛ فقد عاشت في بلاد السودان، والله أعلم. (كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي، بتقديم الأستاذ د. حماد الله بن السالم).

وكان الحاج أحمد هذا قد نَزَحَ إلى المشرق سنة: (٨٩٠هـ)، وحجَّ وتكَلَّفَ مشاقَّ السفر حتى وصل مصر ولقي الجلال السيوطي، وخالدًا الأزهرِّيَّ إمام النَّحو، وغيرَهما^(١)، ورجع ودخل «كنو» وغيرها من بلاد السُّودان، وأفاد بالعلم وانتفع به خلق كثير، ثم وصل إلى بلاده فجلس للتعليم.

فأخذ عنه جماعة، منها: أخوه الفقيه النَّحوي القاضي محمود بن عمر، واشتهر في قطره، واعتنى بالعلم على طول عمره، ونسخ عدة كتب بخطه مع فوائد كثيرة، وولي قضاء تنبكتو، وكان من أهل الخير والفضل والدين والورع والصلاح، وكان محبًّا للنبي ﷺ وصحابته، ملازمًا لقراءة القرآن وقصائد مدحه ﷺ، وقراءة الشفا للقاضي عياض على الدوام معتنيًا به.

ولم يزل مُجِدِّدًا مجتهدًا في تعليم العلم وتحصيله حتى توفي ليلة الجمعة في ربيع الثاني، سنة: (٩٤٢هـ)، وترك أولادًا نجباء، رحمهم الله.

• الأشموني (٨٣٨ - ٩١٨هـ):

وأما الأشموني: فهو الإمام العالم العامل، الصِّدْرُ الكامل، العلامة النَّحوي، أبو الحسن علي نور الدين بن محمد، بن عيسى، بن يوسف، بن محمد، الأشمونيُّ الأصل؛ من «أشمون» بمصر. ولد بالقاهرة في شعبان، سنة: (٨٣٨هـ)، وأكَبَّ على طلب العلم والمطالعة.

(١) كالعلامة النَّحوي علي الأشموني المصري، كما ذكره الشيخ القاضي أحمد يرو كيدي الموريتاني في نظمه لسلسلة مشايخه، ذاكراً منهم هذا السوداني الماسيني، حيث يقول:

.....	الماسيني الرائد النَّحوي
.....	لِلشَّرْقِ صَابِرًا سَعَى وَاحْتِمَلًا
.....	بِمِصْرَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ
.....	هُوَ الَّذِي جَابَ الْفَلَاحَ وَأَزْتَحَلَ
.....	مَشَقَّةَ السَّفَرِ لِلأَشْمُونِي

وأخذ عن أَجَلِّ مشايخ عصره، مثل: محيي الدين بن سليمان الكافيجي كما في كتاب «نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة» للشيخ محمد الطنطاوي^(١)، و«الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» للإمام محمد بن عبد الرحمن السخاوي^(٢)، و«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني^(٣)، و«الموجز في نشأة النحو» للدكتور محمد الشاطر أحمد محمد^(٤)، و«تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب» للدكتور محمد المختار ولد ابّاه العلوي^(٥). وأخذ أيضًا عن الجلال المحلي، والعلم البلقيني، والمناوي.

حفظ القرآن و«المنهاج»، و«جمع الجوامع»، و«ألفية النحو»، وبرع في جميع العلوم، وتصدى للإقراء، وكان شافعياً، وولي القضاء بدمياط في مصر. وكان شيخاً بارعاً مقرئاً نحويّاً فقيهاً أصولياً متكلماً ناظماً فرصياً منطقيّاً.

له مؤلّفات، منها: «منهج السالك إلى ألفية ابن مالك»، وهو المعروف باسم «شرح الأشموني»، ومنها: «حاشية على الأنوار لعمل الأبرار» في الفقه الشافعي، و«الينبوع في شرح المجموع» في فروع الفقه، و«نظم منهاج الدين» للحليمي في شعب الإيمان، و«نظم جمع الجوامع» في الأصول، و«نظم إيساغوجي» في المنطق، و«نظم المنهاج» في الفقه وشرحه.

وأخذ عنه الجَمُّ الغفير؛ منه الشيخ عبد الوهاب الشعراني، وأبو البركات محمد بن محمد الغزي العامري، وغيرهم.

(١) في ترجمة الأشموني.

(٢) في ترجمة علي الأشموني.

(٣) في ترجمة علي بن محمد الأشموني.

(٤) أستاذ بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر في القاهرة، (ذكره في ص: ١١٩).

(٥) ذكره في (ص: ٣٧٥).

وتوفي يوم السبت (١٧) من ذي الحجة، سنة: (٩١٨هـ)، وقيل في سنة وفاته غير ذلك، والله أعلم.

● الكافيّجي (٧٨٨ - ٨٧٩هـ):

وأما الكافيّجي: فهو الإمام النحوي أبو عبد الله محمد محيي الدين بن سليمان، بن سعد، بن مسعود، الروميّ، الحنفيّ.

ولد في بلاد الروم سنة: (٧٨٨هـ) فنسب إليهم، ولُقّب «الكافيّجي»؛ لكثرة اشتغاله بكافية ابن الحاجب في النحو^(١)، واشتغل بالعلم أول ما بلغ.

وأخذ عن العلامة النحوي شمس الدين محمد بن حمزة الرّوميّ، المعروف بابن الفنريّ، كما في «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي^(٢)، و«الضوء اللامع» للإمام السخاوي^(٣)، و«نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة» للطنطاوي^(٤)، و«شذرات الذهب» لابن العماد^(٥).

وأخذ أيضاً عن البرهان حيدرة الشيرازيّ الرّوميّ، وغيرهما.

وتبحّر في سائر العلوم؛ في الفقه والتفسير وعلوم الحديث، وكان لا يُشَقُّ غباره في النّحو والتّصريف والإعراب واللغة والمنطق وعلم الكلام والجدل والفلسفة والمعاني والبيان، ورحل إلى بلاد العجم، ثم دخل الشّام وبيت

(١) من الكتب المشهورة في علم النحو، وهي مقدمة وجيزة لابن الحاجب تسمى: «كافية ذوي الأرب في معرفة كلام العرب»، وكان أبو حيان يقول عنها: (هذه نحو الفقهاء)، وقد انتشرت انتشاراً فاق الحدود، وطبعت طبعات عديدة.

(٢) في ترجمتي محمد بن حمزة بن الفنريّ، ومحيي الدين الكافيّجي.

(٣) في ترجمة محمد بن سليمان الكافيّجي.

(٤) في ترجمة الكافيّجي.

(٥) في ترجمة الكافيّجي.

المقدس، ولقي العلماء الأجلاء وأخذ عن الكثير منهم، واستقرَّ في القاهرة ودرَّس في الشَّيخونِيَّة وولي مشيختها.

وصنَّف تصانيف كثيرة، أكثرها مختصراتٌ، وأجلُّها وأنفعُها: «أنوار السعادة في شرح كلمتي الشهادة»، و«شرح قواعد الإعراب»، و«التيسير في قواعد التفسير»، و«الإحكام في معرفة الإيمان والأحكام»، و«نزهة المعرب» في النحو، و«مختصر في علم التاريخ»، وغيرها.

وأخذ عنه خلق كثير من الأعيان والفضلاء، منهم: عليُّ نور الدين بن محمد الأشموني، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

وتوفي - رحمه الله - في شهر جمادى الأولى سنة: (٨٧٩هـ).

وقال الشهاب المنصوري يرثيه:

بَكَتْ عَلَى الشَّيْخِ مُحِبِّي الدِّينِ كَافِجِي	عُيُونَنَا بِدُمُوعٍ مِنْ دَمِ الْمُهَجِ
كَانَتْ أَسَارِيرُ هَذَا الدَّهْرِ مِنْ دُرِّ	تُرْهِى فَبَدَّلَ ذَلِكَ الدُّرُّ بِالسَّبِجِ ^(١)
فَكَمْ نَفَى بِسَمَاعٍ مِنْ مَكَارِمِهِ	فَقَرًّا وَقَوْمَ بِالْإِعْطَاءِ مِنْ عِوَجِ
يَا نُورَ عِلْمٍ أَرَاهُ الْيَوْمَ مُنْطَفِئًا	وَكَانَتْ النَّاسُ تَمْشِي مِنْهُ فِي سُجِّ
فَلَوْ رَأَيْتَ الْفَتَاوَى وَهِيَ بَاكِئَةٌ	رَأَيْتَهَا مِنْ نَجِيعِ الدَّمْعِ فِي لُجِّ
وَلَوْ سَرَتْ بِثَنَاهُ عَنْهُ رِيحُ صَبَا	لَأَسْتَنْشَقُوا مِنْ ثَنَاهَا أَطِيبَ الْأَرَجِ
يَا وَخَشَةَ الْعِلْمِ مِنْ فِيهِ إِذَا اعْتَرَكْتَ	أَبْطَالُهُ فَتَوَارَتْ فِي دُجَى الرَّهَجِ
لَمْ يَلْحَقُوا شَأْوَ عِلْمٍ مِنْ خَصَائِصِهِ	عَنَا وَرُتِبَتْهُ فِي أَرْفَعِ السَّدَجِ

(١) السَّبِجَةُ والسَّيْجَةُ: قيل هي بُرْدَةٌ من صوف فيها سواد وبياض... يلبسها الطَّيَّانُونَ.. وقيل: هي غلالة تبذلها المرأة في بيتها... وهي لفظ فارسيٌّ مُعَرَّبٌ، قال حميد بن ثور:

إِنَّ سُلَيْمَى وَاضِحٌ لَبَّاتُهَا لَيْئَةَ الْأَبْدَانِ مِنْ تَحْتِ السَّبِجِ
لسان العرب مادة (سبج).

قَدْ طَامَا كَانَ يَقْرِينَا وَيُقْرِنُنَا فِي حَالَتِيهِ بِوَجْهِ مِنْهُ مُبْتَهَجِ
سَقِيَا لَهُ وَكَسَاهُ اللَّهُ نُورَسَنَا مِنْ سُنْدُسٍ بِيَدِ الْغُضْرَانِ مُنْتَسَجِ

● ابْنُ الْفَنَرِيِّ (٧٥١ - ٨٣٤هـ):

وَأَمَّا ابْنُ الْفَنَرِيِّ: فَهُوَ الْعَلَّامَةُ النَّحْوِيُّ مُحَمَّدُ شَمْسِ الدِّينِ بِنِ حَمْزَةَ، بِنِ مُحَمَّدٍ، بِنِ مُحَمَّدٍ، الرَّومِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِـ «ابْنِ الْفَنَرِيِّ»^(١).

وُلِدَ فِي صَفَرٍ، سَنَةِ: (٧٥١هـ)، وَاشْتَغَلَ بِطَلْبِ الْعِلْمِ، وَرَحَلَ إِلَى مِصْرَ، وَأَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ أَكْمَلِ الدِّينِ بِنِ مُحَمَّدٍ، كَمَا فِي «شَذْرَاتِ الذَّهَبِ فِي أَخْبَارِ مَنْ ذَهَبَ» لِابْنِ الْعِمَادِ^(٢)، وَ«الْبَدْرِ الطَّالِعِ بِمَحَاسِنِ مَنْ بَعْدَ الْقَرْنِ السَّابِعِ» لِلشُّوكَانِيِّ^(٣)، وَ«بُغْيَةُ الوُعَاةِ» لِلسِّيُوطِيِّ^(٤)، وَ«إِنْبَاءِ الْغُمْرِ بِأَنْبَاءِ الْعُمْرِ» فِي التَّارِيخِ لِأَبِي الْفَضْلِ أَحْمَدَ بِنِ عَلِيِّ بِنِ مُحَمَّدَ بِنِ أَحْمَدَ بِنِ حَجَرِ الْعَسْقَلَانِيِّ^(٥).

وَأَخَذَ أَيْضًا عَنِ الْعَلَّامَةِ علاءِ الدِّينِ الْأَسْوَدِ شَارِحِ الْمَغْنِيِّ، وَالْجَمَالِ بِنِ مُحَمَّدَ بِنِ مُحَمَّدِ الْأَقْصِرَائِيِّ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرَّومِ، فَوَلِيَ قِضَاءَ بَرِّصَاءَ وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ، وَأَشْتَهَرَ ذِكْرُهُ، وَشَاعَ فَضْلُهُ، وَكَانَ عَارِفًا بِالْقِرَاءَاتِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْمَعَانِي، كَثِيرَ الْمَشَارِكَةِ فِي الْفُنُونِ.

(١) الْفَنَرِيُّ بِفَتْحِ الْفَاءِ وَالنُّونِ مَخْفَفًا وَبِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ، نَسَبَةٌ إِلَى صِنْعَةِ الْفَنَارِ - وَالْفَنَارُ قَنْدِيلٌ كَبِيرٌ يُوضَعُ عَلَى سَارِيَةٍ كَبِيرَةٍ يُشَبَّهُهُ الْبَرَجُ لِإِرْشَادِ السَّفِينِ - ، قَالَهُ تَلْمِيذُهُ الْكَافِيحِيُّ، وَقَالَ السِّيُوطِيُّ نَسَبَةٌ إِلَى قَرْيَةِ الْفَنَارِ. انظُر: مِفْتَاحُ السَّعَادَةِ (٤٥٢/١). الشَّقَائِقُ النِّعْمَانِيَّةُ فِي عُلَمَاءِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ لِطَاشِ كَبْرِيِّ زَادَهُ (ص: ٢٧).

(٢) فِي تَرْجُمَةِ مُحَمَّدِ بِنِ حَمْزَةَ بِنِ الْفَنَرِيِّ.

(٣) فِي تَرْجُمَةِ مُحَمَّدِ بِنِ حَمْزَةَ بِنِ الْفَنَرِيِّ.

(٤) فِي تَرْجُمَةِ ابْنِ الْفَنَرِيِّ.

(٥) فِي تَرْجُمَةِ مُحَمَّدِ بِنِ حَمْزَةَ.

وكان حَسَنَ السَّمْتِ، كثير الفضل والإفضال، ولما دخل القاهرة اجتمع به فضلاء العصر وذاكروه وياحثوه وشهدوا له بالأفضلية.

وصنّف في الأصول كتابًا أقام في عمله ثلاثين سنة.

وأخذ عنه خلق منهم العلامة محيي الدين الكافيجي، ولازمه وكان يباليغ في الثناء عليه، وقرأ عليه أيضًا عبد الرحمن عَضُدُ الدين بن أحمد بن عبد الغفار المشهور بالعضد، وغيرهما.

توفي - رحمه الله تعالى - في رجب سنة: (٨٣٤هـ).

● أكمل الدين (٧١٤ - ٧٨٦هـ):

وأما أكمل الدين: فهو العلامة النَّحْوِيُّ محمد أكمل الدين بن محمود بن أحمد البابر تي^(١)، الحنفي. ولد سنة أربع عشرة وسبعمائة.

وأخذ عن أبي حيان، كما في «بُغْيَةُ الوُعاة» للحافظ السيوطي^(٢)، و«الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر العسقلاني^(٣).

وأخذ أيضًا عن الشيخ شمس الدين الأصبهاني، وسمع الحديث من الدَّلاصي، وابن عبد الهادي. وقرّره شيخه في مشيخة مدرسته، وعظم عنده وعند من بعده.

وكان علامة فاضلاً ذا فنون، وافر العقل، قوي النفس، عظيم الهيئة مهيباً، عُرض عليه القضاء مراراً فامتنع، قال عنه السيوطي: (هو علامة المتأخرين وخاتمة المحققين، برع وساد ودرّس وأفاد).

(١) نسبة إلى بابر، قرية من أعمال دجيل ببغداد، أو بابر، التابعة لأرزن الروم (أرض تركيا).

(٢) في ترجمة أكمل الدين الحنفي.

(٣) في ترجمة أبي حيان.

وله تصانيف، منها: «التفسير»، و«شرح ألفية ابن معطي» في النحو، و«شرح مختصر ابن الحاجب»، و«شرح عقيدة الطوسي»، و«شرح الهداية» في الفقه، و«شرح مشارق الأنوار» للصّاعاني وهو شرح غزير الفائدة، و«شرح التلخيص» في المعاني، وغيرها.

وأخذ عنه عدد، منهم: العلامة النّحوي محمد بن حمزة بن محمد بن الفنري، وغيره.

وتوفي تاسع عشر رمضان، سنة: (٧٨٦هـ)، وحضر جنازته السلطان فَمَن دونه، ودُفن بالشيخونية.

• أبو حيان (٦٥٤ - ٧٤٥هـ):

وأما أبو حيان: فهو الإمام العلامة، شيخ عصره في النحو واللغة، محمدٌ أثير الدين بن يوسف، بن علي، بن يوسف، النّفريّ، المعروف بـ«أبي حيان»، الأندلسي، الغرناطي.

ولد بغرناطة من الأندلس، سنة: (٦٥٤هـ)، وأخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطّبّاع، والعربية عن جماعة، منهم: شيخ الديار المصرية بهاء الدين ابن النّحاس، كما في «بُغية الوعاة» للسيوطي^(١)، و«نَفْح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب» لأحمد المَقري^(٢)، و«قُرّة العين على توشيح ابن زين» لعبد الحميد بن محمد الأنصاري^(٣)، و«نشأة النحو وتاريخ أشهر النّحاة» للشيخ محمد الطنطاوي^(٤).

(١) في ترجمتي بهاء الدين بن النحاس، وأبي حيان.

(٢) في ترجمة محمد بن مالك

(٣) في ترجمة ابن مالك عند الحديث عن تلامذته (١/ في هامش ٤١).

(٤) في ترجمة أبي حيان.

وكان قد لازم ابن النَّحَّاسِ أَوَّلَ ما قدم القاهرة، وأخذ أيضًا عن أبي الحسن الأَبْذِيِّ، وابن الصَّائِعِ، ومحمد بن يوسف بن حَبِيش، ويوسف بن إبراهيم بن يوسف الأنصاري المالقي، وأحمد بن يوسف بن علي الفَهْرِيِّ، وأبي الحسين بن أبي الرَّبِيعِ، وآخرين.

وتقدَّم في النَّحو، وسمع بالأندلس وإفريقية ومصر والحجاز من نحو أربعمئة وخمسين شيخًا، وأجاز له خلقٌ من المغرب والمشرق، وأكَبَّ على طلب الحديث وأتقنه، وبرَّع فيه وفي التفسير والعربية والقراءات والأدب والتاريخ، واشتهر اسمه وطار صيته. وأقرأ في حياة شيوخه.

وأقرأ الناس قديمًا وحديثًا وألحق الصغار بالكبار وأخذ عنه أكابر عصره.

قال عنه تلميذة الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات: «ولم أر في أشياخي أكثر اشتغالاً منه لأنني لم أره إلا يسمع أو يشتغل أو يكتب ولم أره على غير ذلك، وله إقبال على الطلبة الأذكياء وعنده تعظيم لهم، وهو ثبت فيما ينقله محرر لما يقوله عارف باللغة ضابط لألفاظها، وأما النحو والتصريف فهو إمام الدنيا فيهما لم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في العربية، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم، وقرأ الناس عليه وصاروا أئمة وأشياخا في حياته، وهو الذي جسر الناس على مصنفات الشيخ جمال الدين ابن مالك رحمه الله ورغبهم في قراءتها وشرح لهم غامضها وخاض بهم لججها وفتح لهم مقفلها، وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب رحمه الله تعالى: هذه نحو الفقهاء، والتزم أن لا يُقرئ أحداً إلا إن كان في سبويه أو في التسهيل لابن مالك أو في تصانيفه» اهـ بتصرف يسير.

وله مصنفات كثيرة، منها: «البحر المحيط» في التفسير، و«النهر» - اختصر به البحر المحيط-، و«إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب»، و«التذيل والتكميل في شرح التسهيل»، و«التجريد لأحكام كتاب سيبويه»، و«المبدع» في التصريف، و«غاية الإحسان» في النحو، و«نهاية الإغراب في التصريف والإعراب»، وغيرها في مختلف الفنون.

وأخذ عنه الجُم الغفير، وممن أخذ عنه: العلامة أكمل الدين بن محمود بن أحمد الحنفي، والشيخ مُحِبُّ الدِّين بن يوسف المعروف بـ«ناظر الجيش» المصري، الحلبي، ومحمد بن الصَّائغ الأموي، وأحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم، ومحمد بن محمد بن داود الصَّنْهَاجِي الشَّهْرَبَرِي بـ«ابن آجروم» صاحب المقدمة المشهورة في النحو، وقد أجازته.

ومات -رحمه الله- بالقاهرة في صفر، سنة: (٧٤٥هـ).

• ابْنُ النَّحَّاسِ (٦٢٧ - ٦٩٨هـ):

وَأَمَّا ابْنُ النَّحَّاسِ: فهو الإمام النَّحْوِيُّ أبو عبد الله مُحَمَّدُ بهاء الدين بن إبراهيم، بن محمد، بن أبي نصر، المعروف بـ«ابن النَّحَّاسِ» الحلبي.

ولد سنة: (٦٢٧هـ)، وأخذ القراءات عن الكمال الضرير، وسمع الحديث من ابن يعيش، وأبي القاسم بن رواحة، وطائفة آخرين.

وأخذ العربية عن أعيانِ أعلام، منهم: محمد جمال الدين بن مالك الطائي، كما في «نفع الطيب» لأحمد المقرئ^(١)، و«قرة العين» للأنصاري^(٢)، ومقدمة

(١) في ترجمة محمد بن مالك.

(٢) (٤١/١).

أبي الفضل المرسي، كما في مقدمة تحقيق «عمدة الحفاظ وعُدَّة اللافظ» في النحو لابن مالك^(١)، و«قرة العين» لعبد الحميد الأنصاري^(٢).

وأخذ أيضًا عن الشَّلُوبِينِ أبي علي عمر بن محمد، كما في «بغية الوعاة»^(٣)، و«نفع الطيب» للمَقْرِي^(٤)، وتحقيق مقدمة «تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد» للدِّمَامِينِي^(٥)، و«نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة»^(٦)، و«أبجد العلوم الرحيق المختوم في تراجم أئمة العلوم» للقنوجي - القسم الثالث-^(٧).

وأخذ أيضًا عن ثابت بن محمد بن يوسف بن حَيَّان الكَلَاعِيّ الجَيَّانِيّ، وأبي عبد الله بن مالك المَرَشَانِيّ، وابن يَعِيشَ وتلميذه ابن عمرون، وغيرهم. واعتمد في غالب أخذه على المطالعة حتى أتقن علوم العربية ونبغ فيها وحاز قصب السبق بها، وقَدِمَ حلب أيضًا فتصدر واشتغل بفقهِ الشافعي، وانتشر حديث ذكره في الحجاز والعراق والشام، وغرَّب ثناؤه وشرَّق.

وكان إمامًا في القراءات عالمًا بها، أخذها عن أبي العباس أحمد بن نَوَّار. وقرأ «كتاب سيبويه» وصار أحد الأئمة في علوم العربية، وتصدَّر بحلب لإقرائها. وصرف همته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وأرَبى على المتقدمين، وكان في النحو والصرف بحرًا لا يُشَقُّ لُجُّه؛ فكانوا يقولون: لم يترك ابن مالك للنحو حُرْمَةً، وصار يضرب به المثل في دقائق النحو وغوامض الصرف وغريب اللغة، ويستشهد على ذلك بالقرآن والحديث وأشعار العرب. وكان الأئمة

(١) (ص: ٢٧).

(٢) (٣٤/١).

(٣) في ترجمة محمد بن مالك.

(٤) في ترجمة محمد بن مالك.

(٥) (٢٩/١).

(٦) في ترجمة ابن مالك.

(٧) (ص: ٧١٤).

تحقيق «عمدة الحافظ وعمدة اللفظ» في النحو^(١)، و«تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب» لمحمد المختار ولد أباه^(٢).

وأخذ أيضاً عن الجمال بن عمرو.

ودخل ابن النحاس مصر وأخذ عن العديد من شيوخها، وكان من الأذكياء. ثم جلس للإفادة، وكان شيخ العربية بالديار المصرية، وإليه الرحلة من الأقطار، وكان معروفاً بحل المشكلات، موصوفاً بإيضاح المعضلات.

وتخرج به جماعة من الأئمة والأدباء، منهم: العلامة النحوي أبو حيان، وأحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي، وإبراهيم بن عبد الله بن علي بن يحيى بن خلف.

وكان مشهوراً بالديانة والصدق والعدالة وحسن الأخلاق، كثير الصلاة والتلاوة والأذكار. وله منزلة كبيرة في عيون الناس، وكان ثقة حجة يسعى في مصالح الناس.

مات - رحمه الله - في جمادى الآخرة سنة: (٦٩٨هـ).

• ابن مالك (٦٠٠ - ٦٧٢هـ):

وأما ابن مالك: فهو الإمام العالم العلامة المقرئ النحوي اللغوي، أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله بن مالك، الطائي نسباً، الأندلسي إقليمياً، الجياني منشأً، الدمشقي داراً.

ولد بجيان من الأندلس سنة: (٦٠٠هـ) ونشأ بها، واعتنى بعلوم العربية.

وأخذ عن جماعة من مشايخ عصره، منهم: محمد بن عبد الله بن محمد بن

(١) (٣٨/١).

(٢) (ص: ٣١٤).

الأعلام يتحيرون في دقة اطلاعه على ذلك.

وكان نَظْم الشعر عليه سهلاً، وكان دَيِّناً عابداً وَرِعاً غايةً في صدق اللهجة وكثرة النَّوافل وحسن السَّمْت والأخلاق ورجاحة العقل والرِّزانة والحياء والوَقار.

وله مؤلفات كثيرة، منها في القراءات: قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية. ومنها في النحو: «تسهيل الفوائد» و«شرح التسهيل»، و«الكافية الشافية» وشرحها، و«الخلاصة»، وهي مختصر الكافية وتعرف بـ«ألفية ابن مالك» و«الألفية»، ومنها: «إكمال الإعلام بمثلث الكلام»، و«لامية الأفعال» وشرحها، و«تحفة المودود في المقصور والممدود»... وغير ذلك. وقد قيل: إن مؤلفاته زادت على الثلاثين.

وقد سارت بتصانيفه الرُّكبان وطوّفت الأفاق، ولم يخل لسان من النطق بها، وخضع لها العلماء الأعيان، واعترف بحسنها الحاضر والبادي والداني والقاصي.

وكان غاية في الحفظ والتحري لما ينقله والتحرير فيه والصبر على المطالعة، وانتفع به خلائق.

وتخرجت عنه جماعة كثيرة من الأئمة والأعيان؛ منهم: ابنه محمد بدر الدين ومحمد بن إبراهيم المعروف بابن النَّحَّاس الحلبي، والنووي، وقاضي القضاة ابن جَمَاعَة، ومحمد بن أبي الفتح البُعَلِي، ويحيى بن أبي بكر بن عبد الله الغِمَارِي التُّونُسي، وآخرون كثير.

وتوفي ابن مالك -رحمه الله- بدمشق لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان،

عام: (٦٧٢هـ). ورثاه تلميذه ابن النَّحَّاس الحلبي بقوله:

قُلْ لِابْنِ مَالِكٍ أَنْ جَرَّتْ بِكَ أَدْمُعِي حُمْرًا يُحَاكِهَا النَّجِيعُ الْقَانِي
فَلَقَدْ جَرَحْتَ الْقَلْبَ حِينَ نَعَيْتَ لِي وَتَدَفَّقَتْ بِدِمَائِهِ أَجْفَانِي
لَكِنْ يَهُونُ مَا أُجِنُّ مِنَ الْأَسَى عِلْمِي بِنُقْلَتِهِ إِلَى رِضْوَانِ
فَسَقَى ضَرْيَحًا ضَمَّهُ صَوْبُ الْحَيَا يَهْمِي بِهِ بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ

● المُرْسِي (٥٧٠ - ٦٥٥هـ):

وأما المُرْسِي: فهو الإمام العلامة البارِع القدوة المفسر المحدث النَّحْوِي، أبو عبد الله محمد شرف الدين بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل، المُرْسِي السَّلْمِي. ولد بمُرسية سنة: (٥٧٠هـ) وقرأ القرآن على ابن غلبون وغيره، وقرأ النَّحْو على أبي علي السَّلَوِيين، كما في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي^(١)، وأخذ عن أبي الحسن علي بن يوسف بن شريك الدَّانِي، والطَّيِّب بن محمد بن الطَّيِّب النَّحْوِي، فأخذ من النَّحْو والشعر بأوفر نصيب، وضرب فيه بالسهم المصيب، وخرج التخاريج.

وخرج من بلاد المغرب سنة سبع وستمائة، ودخل مصر وسار إلى الحجاز وبغداد، ورحل إلى خراسان ووصل إلى مَرُو الشاهجان، وسمع بنيسابور وهَرَاة ومَرُو ولقي المشايخ.

وكان كثير الشيوخ والسماع، وحدث بالكثير بمصر والشام والحجاز والعراق، وسمع الحديث من كثير من الشيوخ في مختلف البلدان التي دخلها، فكان أحد أدباء عصره وأئمة دهره في سائر فنون العلم وخاصة في القراءات

(١) في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الفضل: (٢١٠/١٨).

والحديث والفقہ والنحو واللغة، وله في جميعها مصنّفات.

وكان زاهداً، ورِعاً، حَسَنَ الطريقة، كثير العبادة.

ومن مصنّفاتِه: «رِيُّ الظمآن في تفسير القرآن»، وهو كبير جداً، وله «تفسير القرآن الأوسط» عشرة أجزاء، و«تفسير القرآن الصغير» ثلاثة أجزاء، ومنها: «مختصر صحيح مسلم»، و«تعليق على الموطأ»، ومنها: «الضوابط النحوية في علم العربية»، و«الكافي» في النحو.

وممن أخذ عنه: العلامة النَّحوي مُحَمَّد بن مالك الطَّائِيُّ.

وآخر مَنْ روى عنه: أيوب الكَحَّال بالسماع، وأحمد بن علي الجَزُولِيَّ بالإجازة. ثم عاد إلى بغداد وأقام بحلب ودمشق، ثم انتقل إلى مصر ولزم النسك والعبادة والانقطاع.

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة: (٦٥٥هـ).

● الشَّلُوبِيَّين (٥٦٢ - ٦٤٥هـ):

وأما الشَّلُوبِيَّين^(١): فهو الأستاذ النحوي أبو علي عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله، الأزديُّ، الإشبيليُّ، المعروف بـ«الشَّلُوبِيَّين».

ولد بإشبيلية سنة: (٥٦٢هـ).

وأخذ عن جماعة من مشايخ عصره، منهم: عبد الرحمن السُّهَيْلي كما في «بُغْيَةِ الوُعاة» للجلال السيوطي^(٢)، و«نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة» للشيخ

(١) بفتح المعجمة واللام وسكون الواو وكسر الموحدة وبعدها تحتانية ونون، وبضم اللام وسكون الواو وكسر الموحدة، ومعناه بالأعجمية: الأبيض الأشقر. وكان أبو علي كذلك فعرف بذلك، وربما زيدت بعد النون ياء النسب نسبة إلى «شَلُوبِيَّنة»، حصن من حصون غرناطة الساحلية. انظر: العلام للزركلي (٦٢/٥).

(٢) في ترجمة عمر بن محمد بن عمر الشلوبيين.

محمد الطنطاوي^(١)، و«تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب»^(٢).

ومنهم: ابن مَلَكُون، وابن بَشْكُوَال، وأحمد بن علي بن محمد بن عبد الملك الكِنَانِيُّ الإشبيليُّ، وأبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي هارون التَّمِيمِيُّ الإشبيليُّ، وأحمد بن محمد بن أحمد الأَزْدِيُّ الإشبيليُّ، وأحمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفِهْرِيُّ، وأبو بكر محمد بن خَلْف، وغيرهم.

وأتقن العربية حتى كان فيها إمام عصره بلا مُدَافِع، واشتهر ذكره وعلا صِيتَه، وأقرأ نحو ستين سنة. وكان بارِعًا في التَّعْلِيمِ ناصِحًا، وقلَّمَا تَأَدَّبَ بالأندلس أحدٌ من أهل عصره إلا وقرأ عليه واستند -ولو بواسطة- إليه، قال ابن خَلِّكَان: (رأيت جماعة من أصحابه كلهم فضلاء)^(٣).

وصنف تعليقًا على كتاب سيويهِ، وشرحين على الجَزُوءِيَّةِ، وله كتاب في النحو سَمَّاهُ: «التوطئة».

وكان آخر أَيْمَّةِ هذا الشَّانِ بالْمَشْرِقِ والمغرب، وبرع من طلبته جماعة. وكان مَمَّنْ أَخَذَ عَنْهُ: محمد بن عبد الله المُرْسِيُّ، وإمام النُّحُوِّ محمد بن مالك الطَّائِيُّ، وأبو الحسن عبيد الله بن أبي الرَّبِيعِ القَرَشِيُّ الأُمَوِيُّ العُثْمَانِيُّ^(٤)، وابن مُطَرِّفِ الإشبيليِّ، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف، المعروف بـ«ابن الضَّائِعِ الإشبيليِّ»، وابن عَصْفُورِ علي بن مؤمن بن محمد بن علي الإشبيليِّ، وكثيرون.

(١) في ترجمة الشلوبين.

(٢) (ص: ٢٩٥).

(٣) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في ما يعتبر من حوادث الزمان (٧٨/٤).

(٤) عبيد الله بن أبي الربيع هذا هو الذي خلف شيخه أبا علي الشلوبين على درسه في الجامع الأعظم بإشبيلية، ووصفوه بأنه إمام النحاة في زمانه، ومن آخر المقرئين لكتاب سيويهِ العارفين بغوامضه. وقال عنه ابن حبان: (إنه ملأ الأرض نحوًا). انظر: الأعلام للزركلي (١٩١/٤)، وبعية الوعاة (٣١٩)، وغاية النهاية (١/٤٨٤، ٥٤٧).

ومات - رحمه الله تعالى - في صفر سنة: (٦٤٥هـ).

● السَّهَيْلِيُّ (٥٠٨ - ٥٨١هـ):

وَأَمَّا السَّهَيْلِيُّ: فَهُوَ الْعَلَّامَةُ الْكَبِيرُ، وَالسَّيْرِيُّ الشَّهِيرُ، الْحَافِظُ النَّحْوِيُّ، أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، بْنِ أَحْمَدَ، بْنِ أَصْبَغَ، الْخَثْعَمِيُّ، الْأَنْدَلِسِيُّ، الْمَالِقِيُّ، السَّهَيْلِيُّ^(١).

ولد بمدينة مالقة، سنة: (٥٠٨هـ).

أخذ عن جماعة، منها: ابن الطَّراوَةِ، كما في «بُغْيَةُ الوُعَاة» للسيوطي^(٢)، و«نَشْأَةُ النَّحْوِ وَتَارِيخُ أَشْهُرِ النَّحَاة» للطنطاوي^(٣)، و«تَارِيخُ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» للدكتور محمد المختار ولد أباه^(٤).

وأخذ أيضًا عن القاضي أبي بكر بن العربي، وأبي طاهر، وغيرهم، فكان عالمًا بالقراءات والتفسير وصناعة الحديث، بارعًا في العربية واللغة والنحو والسيرة والأخبار والأثر، أديبًا جامعًا بين الرواية والدراية، عارفًا بعلم الكلام والأصول، حافظًا للرجال والأنساب والتاريخ، غزير العلم نبهًا ذكيًا.

تصدَّر للإقراء والتدريس واشتهر ذكره وبعُدَ صيته.

روى عنه خلق كثير، منهم: الشَّلَوِيُّ، وأبو الحسن الغافقي، وأبو جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد بن مجبر البكري المالقي، وموسى بن عبد الرحمن بن يحيى الحميري الغرناطي، وغيرهم.

(١) السَّهَيْلِيُّ: نسبة إلى «سُهَيْل» من قرى مالقة، سميت باسم الكوكب؛ لأنه لا يرى في جميع الأندلس إلا في جبل مَظَل عليها. وفي «الدياج»: ومالقة بفتح اللام والقاف مدينة بالأندلس.

(٢) في ترجمتي سليمان بن محمد بن الطراوة، و عبد الرحمن السهيلي.

(٣) في ترجمة السهيلي.

(٤) (ص: ٢٣٣ و ٢٤٦ و ٢٤٩ و ٢٥٠).

صنّف: «التعريف والإعلام بما أُبهِم في القرآن من الأسماء والأعلام»،
 «والإيضاح والتبيين لما أُبهِم من تفسير الكتاب المبين»، و«تفسير سورة يوسف»،
 و«الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام»، وغيرها، وانتشرت مؤلفاته
 بمالقة؛ وهي دالة على علمه وذكائه، وكان شاعراً مجيداً، ومن شعره رحمه الله
 الأبيات المشهورة بإجابة الدعاء؛ وهي قوله:

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ	أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرَجِّي لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا	يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْرَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ	أُمِّنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيْلَةٌ	فَبِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ رَبِّي أَضْرَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيْلَةٌ	فَلَيْسَ رَدَدَتْ فَأَيُّ بَابٍ أَقْرَعُ؟
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِاسْمِهِ	إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَن فِقْرِكَ يُمْنَعُ؟
حَاشَى لِحُجُودِكَ أَنْ تُقْنَطَ عَاصِيَا	الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

وتوفي -رحمه الله- بمراكش في شهر شوال، سنة: (٥٨١هـ).

• ابْنُ الطَّرَاوَةِ (... - ٥٢٨هـ):

وَأَمَّا ابْنُ الطَّرَاوَةِ: فَهُوَ الْعَلَّامَةُ النَّحْوِيُّ، أَبُو الْحُسَيْنِ سَلِيمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
 عَبْدِ اللَّهِ، السَّبَائِيُّ، الْمَالِقِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِـ«ابْنِ الطَّرَاوَةِ».

تجول كثيراً في بلاد الأندلس ...

وروى عن جماعة، منهم: الأَعْلَمُ الشَّنْتَمَرِيُّ، كما في: «بُغْيَةُ الوُعَاة» للسيوطي^(١)، و«سلسلة مشايخ السيوطي»، و«نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة» للطنطاوي^(٢)، و«تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب» لمحمد المختار ولد أباه^(٣)، وسمع كتاب سيويه على الأَعْلَمِ؛ ولم يكن أحدٌ أحفظ منه لكتاب سيويه ولا أَعْلَمَ به ولا أَوْقَفَ منه عليه.

وأخذ أيضًا عن أبي الوليد الباجي وعبد الملك بن السراج، وكان مبرِّزًا في علوم اللسان نحوًا ولغةً وأدبًا، بارعًا فيها.

وكان أبو بكر بن سليمان بن سَمْحُونُ الأنصاري - وهو من تلامذته - يبالغ في الثناء عليه ويقول: (ما يجوز على الصراط أعرف منه بالنحو)^(٤).

وألف: «الترشيح» في النحو، وهو مختصر المقدمات على كتاب سيويه، وألف مقالةً في الاسم والمسمى.

وكان يقرض الشعر وينشئ الرسائل.

وروى عنه كثيرون، منهم: السُّهَيْلِيُّ، والقاضي عياض، وابن سَمْحُونُ، ومحمد بن موسى بن الوليد الأَصْبَحِيُّ، وعبد الرحمن بن محمد المعروف بـ«ابن الرَّمَّال»، وأبو جعفر أحمد بن علي بن مجاهد التَّجِيْبِيُّ، وغيرهم.

توفي رحمه الله في شهر شوال، سنة: (٥٢٨هـ).

(١) في ترجمة ابن الطراوة.

(٢) في ترجمة ابن الطراوة.

(٣) (ص: ٢٣٢).

(٤) الذيل والتكملة، لابن عبد الملك المراكشي (٨٠/٤).

● الأَعْلَمُ الشَّتَمَرِيُّ (٤١٠ - ٤٧٦هـ):

وأما الشَّتَمَرِيُّ: فهو العالم اللغوي النَّحْوِيُّ، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى، الأندلسي، الشَّتَمَرِيُّ، القرطبي، المعروف بـ«الأَعْلَم».

ولد في شَتَمَرِيَّةَ الغرب، سنة: (٤١٠هـ)، وكان مشقوق الشِّفَّةَ العليا شَقًّا واسعًا، ولذا لُقِّبَ بالأَعْلَم^(١).

رحل إلى قرطبة وأخذ عن: إبراهيم بن محمد الإفليلي، كما في: «بُغْيَةَ الوُوعَاة» للسيوطي^(٢)، و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي^(٣)، و«سلسلة مشايخ السيوطي»، و«نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة»^(٤)، و«تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب»^(٥)، وأخذ أيضًا عن أبي سهل الحراني، ومسلم بن أحمد الأديب، وغيرهم.

وبرَّعَ في العلم فكان عالمًا بالعربية والأدب، وتبحَّرَ في علم اللغة ومعاني الأشعار، كان حافظًا لها، كثيرَ العناية بها، حَسَنَ الضَّبْطَ لها، مشهورًا بإتقانها، وصارت إليه الرِّحْلَةُ في زمانه.

وأحكم أصولِ علمِ النَّحْوِ وأتقن كتابَ سيبويه.

(١) - يقول الزمخشري:

وَأَخْرَجِي دَهْرِي وَقَدَّمَ مَعَشَرًا عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَأَعْلَمُ
وَمُنْذُ أَفْلَحَ الْجُهَّالُ أَيَقَنَسْتُ أَنَّنِي أَنَا الْمِيْمُ وَالْأَيَامُ أَفْلَحُ «أَعْلَمُ»

والأفْلَحُ مشقوق الشِّفَّةِ السفلى، والأَعْلَمُ مشقوق الشِّفَّةِ العليا. أما الميم فهو من الحروف الشفوية التي يتطلب النطق بها انطباق الشفتين ويتعذر ذلك على من هذه صفته. انظر: الوافي بالوفيات (٤٣٦/٢٢).

(٢) في ترجمة يوسف بن سليمان.

(٣) في ترجمة يوسف بن سليمان.

(٤) في ترجمة الأَعْلَم.

(٥) (ص: ٢٢٧).

وفي عهده برزت معالم المدرسة النَّحْوِيَّة اللُّغَوِيَّة التي أخذت أصولها من شيخه الإِفْلِيلِيَّ، وامتدَّت فروعها عند تلميذه ابن الطَّرَاوَةِ، والشُّهَيْلِيَّ تلميذ ابن الطَّرَاوَةِ. وكانت حياته كلها بالأندلس مليئةً بالتدريس والتأليف.

وله مؤلِّفات كثيرة، منها: «شرح شعر الشعراء السِّتَّة الجاهليين»، و«شرح ديوان الحماسة»، و«شرح شواهد كتاب سيويه»، و«النُّكْت على كتاب سيويه»، وغيرها.

وأخذ عنه جماعة، منهم: أبو الحسن بن الطَّرَاوَةِ، وخلف بن يعيش بن سعيد بن أبي القاسم الأَصْبَحِيَّ، وعلي بن عبد الرحمن بن مهدي بن عمران الإشبيلي، وغيرهم.

ومات - رحمه الله - في إشبيلية، سنة: (٤٧٦هـ).

● ابنُ الإِفْلِيلِيَّ (٣٥٢ - ٤٤١هـ):

وأما ابنُ الإِفْلِيلِيَّ: فهو الإمام النَّحْوِيُّ، أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا بن مفرج بن يحيى بن زياد بن عبد الله بن خالد بن سعد بن أبي وقاص، القُرْشِيُّ، الزُّهْرِيُّ، الأَنْدَلُسِيُّ، القُرْطُبِيُّ، المعروف بـ«الإِفْلِيلِيَّ»، وبابن الإِفْلِيلِيَّ^(١).

ولد سنة: (٣٥٢هـ).

أخذ عن جماعة، منها: أبو عبد الله محمد بن عاصم، كما في: «بُغْيَةُ الوُوعَاة»^(٢)، و«سلسلة مشايخ السيوطي»، ومنها: أبو بكر محمد بن الحسن الزَّيْبِدِيُّ، وأحمد بن أبان الأندلسي.

(١) هي بكسر الهمزة نسبة إلى: «إِفْلِيلَةَ» أو «أَفْلِيلَاءَ»: قرية بالشَّام، كان أصله منها.

(٢) في ترجمة محمد بن عاصم.

وكان نحوياً بارزاً وحافظاً للأشعار وأخبار العرب وأيامها، بصيراً باللغة والأدب، مُتَّصِداً بالأندلس لإقراء الأدب، وكان صادق اللّهجة صافي الضمير، بذّ أهل زمانه في علم اللسان العربي وضبط غريب اللغة وألفاظ الأشعار الجاهلية والإسلامية، يتكلم في علم البلاغة ونقد الشعر، وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفنّ، مُتَّصِداً في العلم في بلده قرطبة.

له كتب، منها: «شرح معاني المتنبي».

أخذت عنه جماعة، منها: العالم النحوي اللغوي الأعلّم الشّتمريّ، وعبد الملك بن زيادة الله بن علي بن حسين التّميميّ السّعديّ. توفي رحمه الله بقرطبة في ذي القعدة، سنة: (٤٤١هـ).

● ابنُ عاصِم (.... - ٣٨٢هـ)

وأما ابنُ عاصِم: فهو العلامَةُ النّحويّ، أبو عبد الله محمد بن عاصم، الأندلسيّ، القرطبيّ، المعروف بـ«العاصميّ».

روى عن: أبي عبد الله محمد بن يحيى الرّباحيّ، كما في: «بُغْيَةُ الوُعاة» للجلال السيوطي^(١)، و«سلسلة مشايخ السيوطي»، وأخذ أيضاً عن أبي علي البغداديّ، وغيرهما.

وكان من كبار العلماء وأدبائهم، قال عنه الحُمَيْدِيُّ: (هو نحوي مشهور إمام في العربية)، وقال غيره: (كان لا يقصّر عن أكابر أصحاب المبرّد)، وحدّث عنه: أبو القاسم بن الإفليبيّ، وغيره. مات - رحمه الله تعالى - سنة: (٣٨٢هـ).

(١) في ترجمة محمد بن عاصم.

● الرَّبَّاحِيُّ (.... - ٣٥٣هـ):

وأما الرَّبَّاحِيُّ: فهو العلامة النَّحْوِيُّ، أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام، الأزدِيُّ، الأندلسيُّ، الجَيَّانِيُّ، المعروف بـ«الرَّبَّاحِيِّ»^(١).

أخذ عن: أبي جعفر بن النَّحَّاس، كما في: «بُغْيَةُ الوُعَاة»^(٢)، و«نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة»^(٣)، و«تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب»^(٤)، و«سلسلة مشايخ السيوطي»، ومقدمة كتاب «إعراب القرآن»^(٥)، وأخذ عنه رواية كتاب سيبويه وعلم الرواية، كما أخذ عن ابن الأعرابي وابن ولَّاد، فكان إماماً كبيراً في علم العربية لا يقصُر عن أكابر أصحاب المُبرِّد، وكان جيِّد النَّظَر دقيق الاستنباط، حاذقاً بالقياس، صادقاً، صالحاً، ذكياً، فقيهاً. وبثَّ في الأندلس معارفه الواسعة بالأدب واللغة والشعر، وكان شاعراً مشهوراً.

ومن شعره:

طَوَى عَنِّي مَوَدَّتَهُ غَزَالٌ طَوَى قَلْبِي عَلَى الْأَحْزَانِ طَيًّا
إِذَا مَا قُلْتُ: يَسْلُوهُ فُوَادِي تَجَدَّدَ حُبُّهُ فَازْدَادَ غَيًّا
أَحْيِيهِ وَأَفْدِيهِ بِنَفْسِي وَذَاكَ الْوَجْهَ أَهْلٌ أَنْ يُحْيَا

وممن أخذ عنه: أبو عبد الله محمد بن عاصم الأندلسيُّ، وأبو بكر محمد بن الحسن الزبيديُّ.

(١) بالبلاء الموحدة، نسبة إلى قلعة ربَّاح من أعمال طَلَيْطَلَة بالأندلس، وكان قد انتقل إليها أبوه. انظر: بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس (ص: ١٢٥).

(٢) في ترجمة محمد بن يحيى الرباحي.

(٣) في ترجمة الرباحي.

(٤) (ص: ٢٢٤).

(٥) (١٩/١).

ومات - رحمه الله تعالى - في شهر رمضان، سنة: (٣٥٣هـ).

● ابن النَّحَّاسِ (٢٦٠ - ٣٣٨هـ):

وأما ابن النَّحَّاسِ: فهو العالم النَّحْوِيُّ، أبو جعفر أحمد بهاء الدين بن محمد بن إسماعيل بن يونس، المُرَادِيُّ، المُصْرِيُّ، يعرف بـ«النَّحَّاس» وبـ«ابن النَّحَّاس» وبـ«الصَّفَّار»، والنَّحَّاسُ: نسبة إلى من يعمل النَّحَّاس، والصَّفَّار: نسبة إلى من يعمل الأواني الصُّفْرِيَّة^(١)، وهو غير محمد بن إبراهيم بن النَّحَّاس الحلبيِّ المتقدِّم ذكره.

ولد في مصر سنة: (٢٦٠هـ)، ونشأ محبًّا للعلم، ولم يكتف بما أخذه منه في موطن نشأته، حيث رحل إلى بغداد، وأخذ عن الزَّجَّاج، كما في: «بُغْيَةُ الوُعاة»^(٢)، و«معجم الأدباء»^(٣)، و«سلسلة السيوطي»، ومقدمة كتاب «إعراب القرآن»^(٤)، و«نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة»^(٥)، و«أبجد العلوم» للقفوجي - القسم الثالث -^(٦)... وغيرها.

وقد قرأ على الزَّجَّاج كتاب سيبويه، وأخذ عن نَفْطَوَيْهِ، والأخْفَشِ الصَّغِيرِ، وعاد إلى مصر، وسمع بها الحديث من أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النَّسَائِي، وغيره، وتصدَّر للتدريس، وأقبل عليه طلاب العلم من مصر ومن خارجها فكان شيخَ الديار المصرية؛ وشاع فضله وذاع علمه، فكان واسع العلم، صادقًا، غزيرَ الرِّوَايَةِ عالمًا بالنحو والحديث.

(١) الصفر بضم الصاد وسكون الفاء من النحاس، وصانعه الصفار. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري (ت: ٦٣٠) (٣٩٠/٢)، وسير أعلام النبلاء (٣٢/٩).

(٢) في ترجمة أحمد بن محمد بن إسماعيل.

(٣) في ترجمة أحمد بن محمد بن إسماعيل.

(٤) (١٤/١).

(٥) في ترجمة أبي جعفر النحاس.

(٦) (ص: ٧٢٩).

وصنّف كتباً كثيرة؛ قيل: إنها زادت على الخمسين، منها: «إعراب القرآن»، و«معاني القرآن»، و«الناسخ والمنسوخ»، و«الكافي» في العربية، و«التفاحة» في النحو، و«شرح أبيات كتاب سيويه»، و«المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين»، و«شرح المعلقات»، و«شرح المفضلّيات»... وغير ذلك. وحبّب إلى النَّاس الأخذُ عنه، وانتفع به خلق كثير. وممن أخذ عنه: محمد بن يحيى الرّياحيّ، وأحمد بهاء الدين بن أبي بكر الإسكندري.

ومات رحمه الله بمصر في ذي الحجة سنة: (٣٣٨هـ).

● الزّجاج (٢٤١ - ٣١١هـ):

وأما الزّجاج: فهو الإمام العالم اللغويّ نحويّ زمانه، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السّريّ بن سهل، البغداديّ، المعروف بـ«الزّجاج». أخذ عن: المُبرّد، كما في: «بُغْيَةُ الوُعاة»^(١)، و«معجم الأدباء»^(٢)، و«نشأة النحو وتاريخ أشهر النُّحاة»^(٣)، و«سلسلة السيوطي»، و«الموجز في نشأة النحو»^(٤)، و«تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب»^(٥)، وأخذ أيضاً عن ثعلب. وكان الزّجاج هذا في فتوّته يخرط الزّجاج، ثم مال إلى النّحو فلزم المُبرّد فكان يخدمه في أموره، ويتفقّد شؤونه، ويعطيه العطايا الجزيلة، فنصحته المُبرّد في العلم، وبالغ في تعليمه حتى بلغ درجة عالية واستقلاليّة في العلم سامية،

(١) في ترجمة إبراهيم بن السري.

(٢) في ترجمة إبراهيم بن السري.

(٣) في ترجمة الزجاج.

(٤) (ص: ٨٧).

(٥) (ص: ١٣٠ و ١٤٠).

فكان من أكابر أهل العربية، ومن أهل الفضل والدين، حَسَنَ الاعتقاد، جميل المذهب.

له مصنَّفات حِسان في: الأدب ومعاني القرآن وإعرابه، وله: «مختصر النحو» و«شرح أبيات سيويه»، و«فَعَلْتُ وَأَفَعَلْتُ»، و«القوافي»، و«العروض»، و«النوادر»، و«تفسير جامع المنطق»، وغيرها.

وأخذ عنه جماعة، منهم: أبو جعفر بن النَّحَّاس، والقاسم بن عبد الله بن سلام بن وهب وزير المعتضد وابن وزيره، وعبد الرحمن بن إسحاق المعروف بالزَّجَّاجِي نسبة إلى شيخه الزَّجَّاج؛ وكان قد لزمه حتى برَّع في النحو.

وممَّن أخذ عن الزَّجَّاج أيضًا: الرُّمَّانِيُّ علي بن عيسى بن علي، والفارسيُّ أبو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، وغيرهم.

وتوفي رحمه الله ببغداد في جمادى الآخرة، سنة: (٣١١هـ) عن سبعين سنة.

• المَبْرَدُ (٢١٠-٢٨٥هـ):

وأما المَبْرَدُ: فهو إمام العربية في زمانه، أبو العبَّاس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، الأزديُّ، الثَّمَالِيُّ، البصريُّ، المعروف بـ«المَبْرَدِ».

ولد بالبصرة سنة: (٢١٠هـ).

أخذ عن: أبي عثمان المازنيِّ، كما في: «بُغْيَةَ الوُعاة»^(١)، و«معجم الأدباء»^(٢)، و«سلسلة السيوطي»، و«الموجز»^(٣)، و«نشأة النحو وتاريخ أشهر

(١) في ترجمة محمد بن يزيد المبرد.

(٢) في ترجمة بكر بن محمد.

(٣) (ص: ٧٣، و٨٠).

النحاة»^(١)، و«أبجد العلوم الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم»- القسم الثالث-^(٢)، و«تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب»^(٣).

وأخذ أيضاً عن الجرمي، وعن أبي حاتم السجستاني، ولما صنّف المازني كتاب «الألف واللام» سأل المبرد عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب، فقال له: قم فأنت المبرد بكسر الراء أي: المثبت للحق^(٤)، فغيره الكوفيون وفتحوا الراء^(٥).

وكان مبرّزاً في النحو والصرف واللغة، وأحد أئمة الأدب والأخبار ومعرفة أيام العرب، وكان فصيحاً بليغاً موقوفاً ثقة إخبارياً علامة صاحب نوادر وظرافة ولباقة، وكان جميلاً.

قال عنه نفطويه - وكان من تلامذته -: (ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيدها منه)^(٦)!

وله من التصانيف العديد، منها: «معاني القرآن»، و«إعراب القرآن»، و«الكامل في الأدب»، و«المقتضب»، في النحو و«شرح كتاب سيويه»، و«طبقات النحاة البصريين»، و«الروضة»، و«المقصود والممدود»، و«الاشتقاق»، و«القوافي»، و«ضرورة الشعر»، و«العروض»، و«ما اتفق لفظه واختلف معناه»، و«نسب عدنان وقحطان».. وغير ذلك.

(١) في ترجمة المبرد.

(٢) (ص: ٧١٣).

(٣) (ص: ١٢٦ و ١٢٩).

(٤) ولبعضهم:

وَأَمْسُرُ فِي رَأْيِ الْمَبْرَدِ وَاجِبٌ وَيَغْيِرُهُذَا يَنْطِقُ الْجُهَلَاءُ

(٥) روي عن ابن عبد ربه فتح الراء، وقال إنه لم يختر في شعراء كتاب الروضة إلا أبردها. انظر: طبقات النحويين (١٠١)، وتاريخ بغداد (٣/٣٨٠)، ومعجم الأدباء (١١١/١٩)، والأعلام للزركلي (١٤٤/٧).

(٦) طبقات المفسرين (ص: ٤٨٠)، ونزهة اللباب في طبقات الأدباء (ص: ١٤٣).

وروى عنه خلق، منهم: الرَّجَّاجُ، وأبو بكر بن السَّرَّاج^(١)، ونِفْطَوَيْهِ، وإسماعيل الصَّفَّار، وأبو بكر بن محمد بن يحيى الصُّوْلِي، وأحمد بن جعفر الدَّيْنَوْرِي، وابن دُرُسْتَوَيْهِ عبد الله بن جعفر، وابن كَيْسَانَ محمد بن أحمد النَّحْوِي، والأخْفَش الأصغر.

والمُبَرِّدُ هذا من ثَمَالَةَ (قبيلة من الأزد)، وفيه يقول عبد الصَّمْد بن المعدل:

سَأَلْنَا عَنْ ثَمَالَةَ كُلِّ حَيٍّ فَقَالَ الْقَائِلُونَ: وَمَنْ ثَمَالَهُ؟
فَقُلْتُ: مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ مِنْهُمْ فَقَالُوا: زِدْنَا بِهِمْ جَهَالَه!

وفيه يقول بعضهم:

رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ فِي جَاهٍ وَقَدِرِ
جَلِيسُ خَلَائِفِ وَغَدِيٍّ مُلْكٍ وَأَعْلَمُ مَنْ رَأَيْتُ بِكُلِّ أَمْرٍ
وَفِتْيَانِيَّةُ الظُّرَفَاءِ فِيهِ وَأَبْهَةٌ الْكَبِيرِ بَغَيْرِ كِبَرِ
وَيَنْثُرُ إِنْ أَجَالَ الْفِكْرَ دُرًّا وَيَنْثُرُ لَوْلَا مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ
وَكَانَ الشُّعْرُ قَدْ أَوْدَى فَأَحْيَا أَبُو الْعَبَّاسِ دَائِرَ كُلِّ شِعْرِ

ويقول آخر:

وَإِذَا يُقَالُ مِنَ الْفَتَى كُلِّ الْفَتَى وَالشَّيْخِ وَالْكَهْلِ الْكَرِيمِ الْعُنْصُرِ
وَالْمُسْتَضَاءِ بَعْلَمِهِ وَبِرَائِهِ وَبِعَقْلِهِ قُلْتُ: ابْنُ عَبْدِ الْأَكْبَرِ

وتوفي رحمه الله سنة: (٢٨٥هـ) ببغداد، ودفن بمقابر الكوفة.

(١) هو محمد بن السري النحوي البغدادي، وقد أخذ عن ابن السراج هذا كل من السيرافي والفارسي والرمثاني. انظر: بغية الوعاة للسيوطي: (٤٤ - ٤٥).

● المَازِنِيُّ (.... - ٢٤٨ هـ):

وَأَمَّا المَازِنِيُّ: فهو العَلَّامة النَّحْوِيُّ، أبو عثمان بكر بن محمد بن حبيب بن بَقِيَّةَ، المَازِنِيُّ^(١)، البَصْرِيُّ.

روى عن جماعة، منهم: الأَخفش الأوسط، كما في «بغية الوعاة»^(٢)، و«سلسلة السيوطي»، و«معجم الأدباء»^(٣)، و«نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة»^(٤)، و«أبجد العلوم الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم» - القسم الثالث -^(٥)، و«تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب»^(٦). ومنهم: الأَصْمَعِيُّ، وأبو عبيدة، وأبو زيد.

وكان مُتَسَعِّاً في الرواية إماماً في العربية، وانتقلت إليه إمامة النحو بعد وفاة الأَخفش والجَرَمِيِّ، وقد أجمع الناس على صدقه وعلمه وأمانته، وقال عنه المُبَرِّدُ وهو أحد تلامذته -: (لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان)^(٧). وكان لا يناظره أحد إلا غلبه لقدرته على الكلام.

ويقال: إنه هو أول من جمع بين النحو وعلم الكلام؛ فكان إذا ناظر أهل الكلام لم يستعن بشيء من النحو، وإذا ناظر أهل النحو لم يستعن بشيء من الكلام، وكان فقيراً ورعاً.

(١) مولى بني سدوس، تربي في بني مازن فنسب إليهم. انظر: وفيات الأعيان (١/٢٨٣-٢٨٦)، غاية

النهاية (١/٥٧٤)، وتاريخ الإسلام (١٠٩٣/٥)، ومعجم الأدباء (٢/٢٨٠).

(٢) في ترجمة بكر بن محمد المازني.

(٣) في ترجمة بكر بن محمد.

(٤) في ترجمة المازني.

(٥) (ص: ٧١٣).

(٦) (ص: ١٢٣ و ١٣٨).

(٧) سير أعلام النبلاء (١٢/٢٧١).

وحكى المُبرِّدُ أنَّ يهوديًا من أهل اللغة أتى المازنيَّ وبذل له مائة دينار ليقرئه كتاب سيبويه فامتنع من ذلك وأصر على عدم قبوله، فقيل له: لم امتنعت من هذا مع حاجتك إليه وشدة ضائقتك؟ فقال: إن في كتاب سيبويه كذا وكذا آية من القرآن^(١) ولست أرى أن أمكَّن منها ذميًّا؛ غيرة على كتاب الله تعالى وحميةً له.

قال المُبرِّدُ: فلم يمضِ إلا قليل فأخلف الله عليه أضعاف ما تركه لله؛ وذلك أن جارية غنَّت بحضرة الواثق قولَ العرجيِّ -أو الحارث بن خالد المخزومي-:

أَظْلُومٌ إِنَّ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمٌ

فردَّ عليها العلامة النَّحويُّ أبو محمد التَّوزيُّ البصريُّ نصبَ «رجلاً» ظانًّا أنَّه خبر «إنَّ»، فقالت: لا أقبل هذا ولا غيره وقد قرأته هكذا على أعلم الناس بالبصرة؛ أبي عثمان المازنيُّ، فأمر الخليفة به فأحضر من «سُرَّ مَنْ رَأَى»، فلما دخل على الخليفة قال له ممَّن الرجل؟ قال من بني مازن، قال: مازن تميم أو شيبان؟ قال: مازن شيبان، فقال: ما اسمك؟ قال: بكر بن محمد، فقال له الخليفة: اطْمَئِنَّ، فجلس، فسأله عن البيت، فقال: صوابه: رجلاً، فقال: ولم؟ فقال المازنيُّ: إنَّ «مُصَابِكُمْ» مصدرٌ بمعنى إصابتكم، فأخذ التَّوزيُّ في معارضته، فوضَّحه له المازنيُّ قائلاً: هو بمنزلة قولك: «إِنَّ ضَرْبَكَ زَيْدًا ظَلَمٌ»، ف «رجلاً» مفعول «مصابكم» و«ظلم» خبر، والدليل عليه: أنَّ الكلام معلقٌ إلى أن تقول: «ظلم» فيتم، فقال التَّوزيُّ: حسبي! وفهم، واستحسنه الواثق، وقال له: مَنْ خَلَّفَتْ وراءك؟ قال: خَلَّفَتْ أُخِيَّةٌ لِي أَصْغَرُ مِنِّي أَقِيمُهَا مَقَامَ الْوَلَدِ، قال: فما قالت لك حين خرجت؟ قال: طافت حولي وهي تبكي، وقالت: أقول لك يا أخي كما قالت بنت الأعمشى لأبيها:^(٢)

(١) يروى أنه قال: إنه يشتمل على ثلاثمائة آية ونيف فلا أمكن منها ذميًّا. انظر: معجم الأدباء (١١١/٧).

(٢) من قصيدة للأعمشى مطلعها:

أَبَانَا فَلَا رِمْتَ مِنْ عِنْدَنَا فَإِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ
تَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتُكَ الْبِلَا دُ نُجْفَى وَتُقَطَّعُ مِنَّا الرَّحِمُ

قال: فما قلت لها؟ قال: قلت أقول لك يا أختي كما قال جرير لابنته:

ثَقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ
فقال الواثق: بالنجاح إن شاء الله، ثم أمر له بألف دينار^(١)، ثم قال للمبرّد:
تركنا لله مائة دينار فعوضنا ألفاً. ويروى أن الواثق أمر للجارية أيضاً؛ فأهدت ما
أعطاهما لشيخها المازني.

وله من التصانيف: كتاب في القرآن، و«علل النحو»، و«الألف واللام»،
و«التصريف»، و«تفاسير كتاب سيبويه»، و«الديباج في جوامع كتاب سيبويه»،
و«ما تلحن فيه العامة»، و«العروض»، و«القوافي»، وكلها لطاف.
وكان يقول: (من أراد أن يصنّف كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه
فليستحي)^(٢).

وأخذ عنه خلق كثير، منهم: المبرّد، والفضل بن محمد اليزيدي، ومحمد
بن أبي زرعة الباهلي النحوي، وأبو علي أحمد بن جعفر الدينوري، والرياشي
أبو الفضل بن الفرغ.

أَتَهْجُرُ غَايَةَ أَمْ تُلِمَّ أَمْ الْحَبْلُ وَاهِ بِهَا مُنْجِنٌ

ولعل العلامة أحمد البدوي المجلسي يشير إلى هذه القصة في قوله (في نظم عمود النسب):

ذَهَلْ ابْنُهَا مِنْهُ الْإِمَامُ الْمَازِنِي مَقْسُومُ اللَّحْنِ كِلْ لِأَجْنِ

(١) وفي رواية أنه أمر له بألف دينار وبهدايا أخرى وقضى ما عليه من الدين، وأن الجارية
أمرت له بثلاثمائة.

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لأحمد بن مصطفى، الشهير بـ«طاش كبرى
زاده» (١/١٢٩).

ومن شعره يعزي بعض الهاشميين:

إِنِّي أَعَزُّكَ لَا أَنِّي عَلَى ثِقَةٍ مِّنَ الْحَيَاةِ وَلَكِنْ سُنَّةُ السِّدِّيقِ
لَيْسَ الْمُعَزَّى بِبَاقٍ بَعْدَ مَيِّتِهِ وَلَا الْمُعَزِّي وَإِنْ عَاشَا إِلَى حِينٍ

وتوفي رحمه الله بالبصرة سنة: (٢٤٨هـ).

● الأَخْفَشُ (... - ٢١١هـ):

وَأَمَّا الأَخْفَشُ الأَوْسَطُ: فهو العلامة النَّحْوِيُّ، أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدَةَ^(١)،
البَلْخِيُّ، البَصْرِيُّ، من أهل بَلْخ، سكن البصرة.

قرأ على: سيبويه، كما في: «بغية الوعاة»^(٢)، و«معجم الأدباء»^(٣)، و«نشأة
النحو وتاريخ أشهر النحاة»^(٤)، و«أبجد العلوم الرحيق المختوم من تراجم أئمة
العلوم» - القسم الثالث-^(٥)، و«سلسلة السيوطي»، و«الأعلام للزركلي»^(٦)،
و«الموجز»^(٧).

وكان أسنَّ من شيخه سيبويه، وهو أبرع تلامذته وأعلمهم بكتابه، ولذا كان
يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا عرضه عليّ، وقال المبرد: (أحفظ من
أخذ عن سيبويه الأَخْفَشُ، ثم النَّاشِئُ، ثم قَطْرُبُ)، قال: (وكان الأَخْفَشُ أعلم
الناس بالكلام، وأحذقهم بالجدل)^(٨).

(١) مولى بني مجاشع بن دارم، بطن من تميم.

(٢) في ترجمة سعيد بن مسعدة.

(٣) في ترجمة سيبويه.

(٤) في ترجمة الأَخْفَشِ الأَوْسَطِ.

(٥) (ص: ٧١٨).

(٦) (١٠٢/٣).

(٧) (ص: ٥١ و ٥٤).

(٨) معاني القرآن للأَخْفَشِ (ص: ١١) ترجمة المؤلف. قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين. ط: دار الكتب العلمية.

وحدّث عن: الكَلْبِيِّ، واللَّخْمِيِّ، وهشام بن عُرْوَةَ.

ثم دخل بغداد وأقام بها مدة روى وصنّف بها.

ومن تصانيفه: «تفسير معاني القرآن»، و«الأوساط» في النحو، و«المقاييس» في النحو، و«الاشتقاق»، و«المسائل»، و«كتاب العروض»، و«كتاب القوافي»، وزاد في العروض «بحر المتدارك»، وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر فأصبحت ستة عشر، وكان عالماً باللغة والأدب.

وعن الأخفش هذا أخذ: أبو عثمان المازنيُّ، وأبو حاتم السجستاني، وأبو جعفر أحمد بن محمد النَّحَّاس، وغيرهم.

وعُرف بالأخفش الأوسط لأنّه كان أحد الأخافشة الثلاثة المشهورين، فكان قبله الأخفش الكبير، وهو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد؛ أحد شيوخ سيبويه، وبعده الأخفش الصغير، وهو أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل النَّحْوِي؛ أحد تلامذة المُبرِّد وتعلّب.

وكان الأخفش الأوسط هذا هو أشهرهم ذكراً في كتب النحو، ولذا ينصرف الحديث إليه عند ذكر كلمة الأخفش مجردة عن الوصف.

والأخافشة المذكورون في طبقات النحويين أحد عشر، هذه الثلاثة المذكورة،

والرابع: أبو عبد الله أحمد بن عمران بن سلامة.

والخامس: أبو العباس أحمد بن محمد الموصلي.

والسادس: أبو القاسم خلف بن عمر الشُّقْرِيُّ البَلَنْسِيُّ.

والسابع: أبو محمد عبد الله بن محمد البغدادي النحوي.

والثامن: أبو الأصبغ عبد العزيز بن أحمد النحوي الأندلسي.

والتاسع: أبو الحسن علي بن محمد الشريف الإدريسي المغربي النحوي الشاعر.

والعاشر: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن رجاء الشريف الفاطمي.

والحادي عشر: أبو عبد الله هارون بن موسى بن شريك القارئ النحوي خاتمة الأخفشين من أهل دمشق. والله أعلم.

طُرْفَة: يروى أن أعرابياً وقف على مجلس الأخفش الأوسط هذا فسمع كلامه في النحو فحَارَ وعجب واستطرق، فقال له الأخفش: ما تسمع يا أبا العرب؟ فقال أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس في كلامنا، فأنشد الأخفش لبعض العرب^(١):

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الْمُسْتَعْرِبِينَ وَمِنْ	قِيَاسِ نَحْوِهِمْ هَذَا الَّذِي ابْتَدَعُوا
إِنْ قُلْتُ قَافِيَةً فِيمَا يَكُونُ لَهَا	مَعْنَى يُخَالِفُ مَا قَالُوا وَمَا صَنَعُوا
قَالُوا: لَحْنَتْ فَهَذَا اللَّفْظُ مُنْخَفِضٌ	وَذَاكَ مُتَّصِبٌ وَذَاكَ مُرْتَفِعٌ
وَحَرَّشُوا بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَاجْتَهَدُوا	وَبَيْنَ زَيْدٍ فَطَالَ الضَّرْبُ وَالْوَجَعُ
فَقُلْتُ وَاحِدَةً فِيهَا جَوَابُهُمْ	وَكثيرة القول بالإيجاز تنقطع
مَا كُلُّ قَوْلِي مَشْرُوحٌ لَكُمْ فَخُذُوا	مَا تَعْرِفُونَ وَمَا لَا تَعْرِفُونَ دَعُوا
حَتَّى أَعُودَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَدُوا	بِمَا غَدِيتُ بِهِ وَالْقَوْلُ يَتَّسِعُ
فَيَعْرِفُوا مِنْهُ مَعْنَى مَا أَفْوَهُ بِهِ	كَأَنِّي وَهُمْ فِي قَوْلِهِ شَرَعُ
كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدْ احْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ	وَأَخْرَيْنَ عَلَى إِعْرَابِهِمْ طَبَعُوا

(١) هو عمار الكلبي.

وَبَيْنَ قَوْمٍ رَأَوْا أَشْيَا مُعَايِنَةً وَبَيْنَ قَوْمٍ حَكَوْا بَعْضَ الَّذِي سَمِعُوا
إِنِّي رَيْتُ بِأَرْضٍ لَا تُشَبُّ بِهَا نَارُ الْمَجُوسِ وَلَا تُبْنَى بِهَا الْبَيْعُ
وَلَا يَطَا الْقِرْدُ وَالْخَنْزِيرُ تُرْبَتَهَا لَكِنَ بِهَا الرِّيمُ وَالرُّبَالُ وَالضَّبِيعُ

ومن لطيف ما يروى: أن أعرابياً وقف على حلقة أبي زيد الأنصاري، فظن أبو زيد أنه قد جاء يسأل عن مسألة في النحو، فقال أبو زيد: سل يا أعرابي، فقال على البديهة:

لَسْتُ لِلنَّحْوِ جِئْتُكُمْ لَا وَلَا فِيهِ أَرْغَبُ
أَنَا مَا لِي وَلَا مَرِي أَبَدَ الدَّهْرِ يُضْرَبُ؟
خَلُّ زَيْدًا لِشَأْنِهِ أَيُّنَمَا شَاءَ يَذْهَبُ!

وتوفي الأخص الأوسط هذا سنة: (٢١٥هـ).

● سَيَّوِيهِ (.... - ١٨٠هـ):

وَأَمَّا سَيَّوِيهِ: فهو العالم الجليل، إمام النُّحَاة، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، المعروف بـ«سَيَّوِيهِ»، ومعناه بالفارسية: رائحة التُّفَّاح أو رائحة الطيب، قيل في سبب تلقيبه بهذا اللقب: إنه كان وضيء الوجه، وكانت أمه تُرَقِّصُه بذلك في صغره، وقيل في سببه غير ذلك.

ولد بقرية من قرى شيراز يقال لها: «البيضاء» من عمل فارس، فقدم البصرة وطلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، ولزم الخليل بن أحمد حتى

بَرَعَ فِي النَّحْوِ، كَمَا فِي: «بَغِيَّةُ الْوَعَاةِ»^(١)، و«مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ»^(٢)، و«سَلْسَلَةُ السِّيَوطِيِّ»، و«نَشْأَةُ النَّحْوِ وَتَارِيخُ أَشْهُرِ النَّحَاةِ»^(٣)، و«الْأَعْلَامُ» لِلزَّرْكَلِيِّ^(٤)، و«الْمَوْجِزُ»^(٥)، وَكُتَابُ «أَبْجَدِ الْعُلُومِ الرَّحِيقِ الْمُخْتَوِمِ مِنْ تَرَاجِمِ أَيْمَةِ الْعُلُومِ» -الْقِسْمِ الثَّلَاثِ -^(٦)، و«تَارِيخُ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٧).

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ: كُنْتُ عِنْدَ الْخَلِيلِ فَأَقْبَلَ سَيَبَوِيهَ، فَقَالَ الْخَلِيلُ: مَرْحَبًا بِزَائِرٍ لَا يُمَلِّ، قَالَ: وَمَا سَمِعْتُ الْخَلِيلَ يَقُولُهَا لِغَيْرِهِ! وَيُقَالُ: إِنَّ سَيَبَوِيهَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ بَسَّطَ عِلْمَ النَّحْوِ.

وَأَخَذَ أَيْضًا عَنْ يُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ، وَالْأَخْفَشِ الْكَبِيرِ، وَعَيْسَى بْنِ عَمْرِو الثَّقَفِيِّ، وَسَعِيدِ بْنِ أَوْسِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ بَشِيرِ الْأَنْصَارِيِّ، فَكَانَ أَعْلَمَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِالنَّحْوِ، وَفَاقَ فِيهِ أَهْلَ عَصْرِهِ، وَأَلَّفَ كِتَابَهُ الْمَشْهُورَ فِي النَّحْوِ، الْمَسْمُومَ: «كِتَابُ سَيَبَوِيهَ» الَّذِي قِيلَ فِيهِ: إِنَّهُ لَمْ يَصْنَفْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَقَالَ فِيهِ أَبُو عَثْمَانَ الْمَازَنِيُّ: (مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصْنَفَ كِتَابًا كَبِيرًا فِي النَّحْوِ بَعْدَ كِتَابِ سَيَبَوِيهَ فَلْيَسْتَحْيِ).

وَكَانَ الْمُبَرِّدُ يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ «كِتَابُ سَيَبَوِيهَ»: هَلْ رَكِبْتَ الْبَحْرَ^(٨)؟ تَعْظِيمًا وَاسْتِصْعَابًا لِمَا فِيهِ؛ فَكَانَ أَبًا لِكُلِّ مَنْ أَلَّفَ فِيهِ بَعْدَهُ.

وَقَدْ أَخَذَ عَنْهُ خَلْقٌ، مِنْهُمْ: الْأَخْفَشُ الْأَوْسَطُ، وَقُطْرُبُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسْتَنِيرِ الْبَصْرِيِّ... وَغَيْرَهُمَا. وَاخْتَلَفَ فِي سَنَةِ وَفَاتِهِ، وَالْأَقْرَبُ أَنَّهَا سَنَةُ: (١٨٠ هـ).

(١) فِي تَرْجَمَتِي الْخَلِيلِ، وَسَيَبَوِيهَ.

(٢) فِي تَرْجَمَتِي الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، وَسَيَبَوِيهَ.

(٣) فِي تَرْجَمَةِ سَيَبَوِيهَ.

(٤) (٨١/٥).

(٥) (ص: ٥١ و ٥٤).

(٦) (ص: ٦٩٤).

(٧) (ص: ٧٣).

(٨) كِنَايَةٌ عَمَّا تَحْتَاجُهُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ مِنْ جُهْدٍ وَمَشَقَّةٍ.

وللزمخشري فيه:

أَلَا صَلَّى إِلَاهَ صَلَاةٍ صَدِيقٍ عَلَى عَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ قَنْبَرٍ
فَإِنَّ كِتَابَهُ لَمْ يُغْنِ عَنْهُ بَنُو قَلَمٍ وَلَا أَبْنَاءُ مِنبَرٍ

ولسليمان بن يزيد العدويّ فيه:

ذَهَبَ الْأَحِبَّةُ بَعْدَ طُولِ تَزَاوُرٍ وَنَأَى الْمَزَارُ فَأَسْلَمُوكَ وَأَقْشَعُوا
تَرَكَوكَ أَوْحَشَ مَا تَكُونُ بِقَفْرَةٍ لَمْ يُؤْنِسُوكَ وَكُرْبَةً لَمْ يَدْفَعُوا
قُضِيَ الْقَضَاءُ وَصِرْتَ صَاحِبَ حُفْرَةٍ عَنْكَ الْأَحِبَّةُ أَعْرَضُوا وَتَصَدَّعُوا

● الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ (١٠٠-١٧٠هـ):

وَأَمَّا الْخَلِيلُ: فَهُوَ شَيْخُ النَّحَاةِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرٍو
بْنِ تَمِيمٍ، الْأَزْدِيُّ، الْفَرَاهِيدِيُّ، الْبَصْرِيُّ. وَالْفَرَاهِيدِيُّ: نَسَبَةٌ إِلَى بَطْنٍ مِنَ الْأَزْدِ
يُنْسَبُ لِجَدِّهِ فَرَاهِيدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ فَهْمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ بْنِ نَصْرِ بْنِ الْأَزْدِ.

ولد الخليل بالبصرة سنة: (١٠٠هـ)، وشبَّ على حب العلم.

وأخذ عن: أبي عمرو بن العلاء المازني، كما في: «معجم الأدباء»^(١)،
و«سلسلة السيوطي»، و«الموجز»^(٢)، و«نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة»^(٣)،
وروى أيضاً عن أيوب، وعاصم الأحول وعيسى بن عمر... وغيرهم.

وكان غاية في الذكاء والفطنة، شاعراً، مُنْقَطِعاً للعلم، وكان من أجَلِّ العلماء
بالبصرة، ومن أَيْمَّةِ اللغة والأدب، غايةً في استخراج مسائل النحو وتعليه

(١) في ترجمة الخليل بن أحمد.

(٢) (ص: ٤٧).

(٣) في ترجمة الخليل بن أحمد.

وتصحيح القياس فيه، يصفه أبو حيان بأنه واحد الدهر العقيم حيث يقول في قصيدته المشهورة:

وَمَا زَالَ هَذَا الْعِلْمُ تَنْمِيهِ سَادَةٌ جَهَابِيذَةٌ تَبَلَى بِهِ وَتُعَاضِدُهُ
إِلَى أَنْ أَتَى الدَّهْرُ الْعَقِيمُ بِوَاحِدٍ مِنْ الْأَزْدِ تَنْمِيهِ إِلَيْهِ فَرَاهِدُهُ
إِمَامُ الْوَرَى ذَاكَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدٍ أَقْرَّ لَهُ بِالسَّبْقِ فِي الْعِلْمِ حَاسِدُهُ
وَبِالْبَصْرَةِ الْغَرَاءِ قَدْ لَاحَ فَجْرُهُ فَنَارَتْ أَدَانِيهِ وَضَاءَتْ أَبَاعِدُهُ
...الخ.

وكان الخليل سيّد الأدباء في علمه وزهده وتعفّفه، وكان الناس يقولون: لم يكن في العربية بعد الصحابة أذكى من الخليل ولا أجمع منه. وقد قيل: كان الأضمعيّ يحفظ ثلث اللّغة، والخليل بن أحمد نصفها^(١).

وكان خيرًا متواضعًا ذا زهدٍ وعفافٍ، مُتَحَلِّيًا بجميع الفضائل، عاش فقيرًا صابرًا.

قال النّضر بن شميل - وكان من تلامذته -: (أقام الخليل في خُصِّ بالبصرة لا يقدر على فُلْسَيْنِ وتلامذته يكتسبون بعلمه الأموال، وقد أبدع بدائع لم يُسبق إليها:

فهو أوّل من استخرج علم العروض وأخرجه إلى الوجود، وحصر الأشعار به في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحرًا.

وهو أوّل من جمع حروف المعجم في بيت واحد، وهو:

(١) وأبو زيد ثلثها، وعمرو بن كركرة الأعرابي يحفظ اللّغة كلها.

صِفْ خَلْقَ خَوْدٍ كَمِثْلِ الشَّمْسِ إِذْ بَزَعَتْ يَحْطَى الضَّجِيعُ بِهَا نَجْلَاءَ مِغْطَارِ
وله مؤلفات كثيرة، منها: كتاب «العروض»، و«الشواهد»، وكتاب «العين»
المشهور الذي به يتهاى ضبط اللغة، وكتاب «الجمل»، وكتاب «الإيقاع»^(١).
ومن شعره قوله:

لَا يَكُونُ السَّرِيُّ مِثْلَ الدَّنِيِّ	لَا وَلَا ذُو الدِّكَاةِ مِثْلَ الغَبِيِّ
لَا يَكُونُ الأَلَدُ ذُو المَقُولِ المُرِّ	هَفِ عِنْدَ القِيَّاسِ مِثْلَ العَبِيِّ
أَيُّ شَيْءٍ مِنَ اللِّبَاسِ عَلَيَّ ذِي الـ	سُرُوءٍ أَبْهَى مِنَ اللِّسَانِ البُهِيِّ
يَنْظِمُ الحُجَّةَ السَّنِيَّةَ فِي السَّدِّ	كِ مِنَ القَوْلِ مِثْلَ عِقْدِ الهَدِيِّ
وَتَرَى اللِّحْنَ بِالحَسِيبِ أَخِي الهَيْدِ	سَاءَ مِثْلَ الصَّدَا عَلَيَّ المَشْرِفِيِّ
فَاطْلُبِ النَّحْوَ لِلحِجَاكِ وَلِلشُّعْرِ	رِ مُقِيمًا وَالمُسْنَدِ المَرْوِيِّ
وَالخِطَابِ البَلِيغِ عِنْدَ جَوَابِ الـ	قَوْلِ تُزْهِى بِمِثْلِهِ فِي النَّدِيِّ
قِيمَةُ المَرْءِ كُلُّ مَا يُحْسِنُ المَرْ	ءُ قَضَاءً مِنَ الإِمَامِ عَلِيِّ

وله أيضًا:

الفَقْرُ فِي النَّفْسِ لَا فِي المَالِ تَعْرِفُهُ	وَمِثْلُ ذَاكَ الغِنَى فِي النَّفْسِ لَا المَالِ
فَالرِّزْقُ عَن قَدْرِ لَا العَجْزُ يَنْقُصُهُ	وَلَا يَزِيدُكَ فِيهِ حَوْلٌ مُحْتَالِ ^(٢)

وله أيضًا:

وَقَبْلَكَ دَاوَى الطَّيِّبِ المَرِيضِ	فَعَاشَ المَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبِ
--	--------------------------------------

(١) الإيقاع: بناء ألحان الغناء على موقعها وميزانها أو تبيينها، وهو والعروض متقاربان في المأخذ.
(٢) أي احتيال المحتال.

فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِـدَارِ الْفَنَاءِ فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبٌ
وله أيضًا:

الْعِلْمُ يُذَكِّي عُقُولًا حِينَ يَصْحَبُهَا وَقَدْ يَزِيدُهُمَا طُولَ التَّجَارِبِ
وَذُو التَّأْدِبِ فِي الْجَهَّالِ مُغْتَرِبٌ يَرَى وَيَسْمَعُ أَلْوَانَ الْأَعَاجِبِ
وله أيضًا:

تَكَثَّرَ مِنَ الْإِخْوَانِ مَا اسْطَعْتَ إِنَّهُمْ بَطُونٌ إِذَا اسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظُهُورٌ
وَمَا بِكَثِيرٍ أَلْفٌ خِلٌّ لِعَاقِلٍ وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا لَكَثِيرٍ

وقد أخذ عنه جم غفير، منهم: سيبويه، والأصمعي، والكسائي، والنضر بن شميل، وعلي بن نصر الجهضمي البصري، ومروان بن سعيد بن عبّاد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة المهلب بن النحوي، والوليد بن محمد التميمي المشهور بـ«ولاد» ويحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي النحوي المقرئ اللعوي، وكان قد أخذ عن الخليل النحو والعروض واللغة.

وكان الخليل أستاذ سيبويه الأول، ونسب إليه في كتابه الكثير من مسائله، وكان سفيان الثوري يقول: (من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك فليُنظر إلى الخليل بن أحمد)^(١).

وتوفي - رحمه الله تعالى - بالبصرة سنة: (١٧٠هـ). وحكي أنه رُئي في المنام، فقيل له: ما صنع الله بك؟ فقال: أريت ما كنا فيه لم يكن شيئاً، وما وجدت أفضل من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

(١) المزهر في علوم اللغة، للسيوطي (٥٢/١)، ومعجم الشعراء (١٩٦/٢).

● أَبُو عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ (٦٨ - ١٥٤هـ):

وَأَمَّا ابْنُ الْعَلَاءِ: فَهُوَ الْقَارِئُ الشَّهِيرُ، وَالنَّحْوِيُّ الْكَبِيرُ، أَبُو عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ
بْنِ عَمَّارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُصَيْنِ، التَّمِيمِيُّ، الْمَازِنِيُّ، الْبَصْرِيُّ.

وُلِدَ بِمَكَّةَ سَنَةَ: (٦٨هـ) وَنَشَأَ بِالْبَصْرَةِ.

وَأَخَذَ النَّحْوَ عَنْ: نَصْرِ بْنِ عَاصِمِ اللَّيْثِيِّ، كَمَا فِي: «بَغِيَةِ الْوُعَاةِ»^(١)، وَ«مَعْجَمِ
الْأَدْبَاءِ»^(٢)، وَ«نَشْأَةَ النَّحْوِ وَتَارِيخِ أَشْهُرِ النَّحَاةِ»^(٣)، وَ«سَلْسَلَةَ السِّيَوطِيِّ»،
وَ«الْمَوْجِزِ»^(٤)، وَ«تَارِيخِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٥).

وَأَخَذَ أَيْضًا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ بِالْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ وَالْبَصْرَةِ، فَكَانَ أَحَدَ
الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ الْمَشْهُورِينَ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ الْإِمَامَةُ فِي الْقِرَاءَةِ وَوَجْهَهَا بِالْبَصْرَةِ،
وَكَانَ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ، وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَأَيَّامِ
الْعَرَبِ وَالشَّعْرِ، مَعَ الصَّدَقِ وَالثَّقَةِ وَالْأَمَانَةِ.

وَقَدْ أَوْضَحَ الْأَوَاصِرَ بَيْنَ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ، وَوَثَّقَ الصَّلَاتَ بَيْنَ أَوْجِهِ الْقِرَاءَاتِ
الْقِرَائِيَّةِ وَسَمَاعِ الْعَرَبِ وَبَيْنَ الْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ.

وَأَخَذَ عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، مِنْهُمْ: الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، وَالْيَزِيدِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ
الْمُبَارَكِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَالْأَصْمَعِيُّ، وَيُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ، وَأَبُو زَيْدٍ سَعِيدُ بْنُ أَوْسٍ
بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ، وَأَبُو عَمْرِو عَيْسَى بْنُ عَمْرِو الثَّقَفِيِّ، وَيَحْيَى بْنُ الْمُبَارَكِ بْنِ
الْمَغِيرَةِ الْعَدَوِيِّ الْمَقْرِيءُ النَّحْوِيُّ اللَّغَوِيُّ.

(١) فِي تَرْجُمَةِ نَصْرِ بْنِ عَاصِمٍ.

(٢) فِي تَرْجُمَتِي زَبَانَ بْنِ الْعَلَاءِ وَنَصْرِ بْنِ عَاصِمٍ.

(٣) فِي تَرْجُمَةِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ.

(٤) (ص: ٤١).

(٥) (ص: ٥٧).

وتوفي رحمه الله سنة: (١٥٤هـ).

ولبعضهم:

يَا طَالِبَ النَّحْوِ أَلَا فَايِبُكَ بَعْدَ أَبِي عَمْرٍو وَحَمَادٍ^(١)

• نَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ (.... - ٨٩هـ):

وَأَمَّا ابْنُ عَاصِمٍ: فَهُوَ الْعَالِمُ النَّحْوِيُّ الْفَقِيه، نَصْرُ بْنُ عَاصِمِ اللَّيْثِيِّ.

أخذ القرآن والنحو عن أبي الأسود الدؤلي، كما في: «بُغْيَةُ الوُعَاة»^(٢)، و«معجم الأدباء»^(٣)، و«سلسلة السيوطي»، و«الموجز في نشأة النحو»^(٤)، و«تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب»^(٥).

وكان نصر هذا يُسند لأبي الأسود في القرآن والنحو، وقيل: أخذ النحو عن يحيى بن يَعْمُرِ العَدَوَانِيِّ، فكان عالماً بالعربية فصيحاً معدوداً من فقهاء التابعين، وكان من أوائل واضعي النَّحْوِ، وله كتاب في العربية، وقد قيل: إنه هو أول من نقط المصحف.

وأخذ عنه: أَبُو عَمْرٍو بْنُ العَلَاءِ، وعبد الله بن أبي إسحاق الحَضْرَمِيِّ.

توفي - رحمه الله تعالى - بالبصرة سنة: (٨٩هـ).

(١) هو حماد بن سلمة بن دينار شيخ أهل البصرة في العربية، ذكره السيرافي في نحة البصريين، وقال

الجرمي: ما رأيت أفصح منه.

(٢) في ترجمة نصر بن عاصم الليثي.

(٣) في ترجمة نصر بن عاصم.

(٤) ص ٤١.

(٥) ص ٤٩ و ٥٧.

● أبو الأسود الدُّوَلِيُّ (.. - ٦٩ هـ):

وأما الدُّوَلِيُّ^(١): فهو القاضي الفقيه القارئ التابعي، أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن عمرو بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الدليل بن بكر بن كنانة، الكِنَانِيُّ، الدُّوَلِيُّ، البصري^(٢).

روى عن عمر، وعلي، وابن عباس، وأبي ذر رضي الله عنهم، كما في: «بغية الوعاة»^(٣).

وكان من سادات التابعين ووجوه القراء والمحدثين، ومن أكمل الرجال رأياً، وأرجحهم عقلاً، وأشدهم حلماً وحزماً، وكان سريع الجواب ثقةً في حديثه، صحب علياً رضي الله عنه، وظلّ وفياً له ومناصرًا لعِترته، وشهد معه صِفِّين، وولي إمارة البصرة في خلافته، وكان قد استخلفه عليها ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يزل عليها إلى أن قتل علي رضي الله عنه.

ولما تمَّ الأمر لمعاوية - رضي الله عنه - قدم عليه وباعه، فأكرمه معاوية وأعظم جائزته وولاه قضاء البصرة، ولم يزل بها إلى أن مات.

وكان رحمه الله شاعراً متقناً للمعاني، ومن شعره (قيل يخاطب ولده):

وَمَا طَلَبُ الْمَعِيشَةِ بِالتَّمَنِّيِ وَلَكِنْ أَلْتَقِ دَلْوَكَ فِي الدَّلَاءِ
تَجِئُكَ بِمِلْئِهَا طَوْرًا وَطَوْرًا تَجِئُكَ بِحَمَاءٍ وَقَلِيلِ مَاءِ

وله أيضًا:

(١) قال الصَّبَّان: ضبطه بعضهم بكسر الدال وسكون التحتية، وبعضهم بضم الدال وفتح الهمزة. وفيات الأعيان (٤٣٧/٢).

(٢) كان أبو الأسود كوفي الدار بصري المنشأ؛ ومات وقد أسن.

(٣) في ترجمة أبي الأسود الدُّوَلِيُّ.

وَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ صَاحِبٍ
وَمَا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بِلَيْبٍ
فَحَقَّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيبٍ
وله أيضًا:

كَسَاكَ وَلَمْ تَسْتَكْسِهْ فَاشْكُرْ لَهُ
وَأَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إِنْ كُنْتَ شَاكِرًا
أَخٌ لَكَ يُعْطِيكَ الْجَزِيلَ وَنَاصِرُ
بِشُكْرِكَ مَنْ أَعْطَاكَ وَالْعِرْضُ وَافِرُ
وله أيضًا:

الْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ
لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَهُ أَصْلٌ بِلَا أَدَبٍ
كَمْ مِنْ حَسِيبٍ أَخِي عِيٍّ وَطَمْطَمَةٍ
فِي بَيْتِ مَكْرَمَةِ أَبَاؤُهُ نُجُوبٍ
وَخَامِلٍ مُقْرِفِ الْأَبَاءِ ذِي أَدَبٍ
الْعِلْمُ كَنْزٌ وَذُخْرٌ لَا نَفَادَ لَهُ
قَدْ يَجْمَعُ الْمَرْءُ مَا لَا تُمُّ يُسَلِّبُهُ
وَصَاحِبُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا
يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نَعْمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ
فَاطَلِبُ هُدَيْتَ فُنُونِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
حَتَّى يَكُونِ عَلَى مَا زَانَهُ حَدْبًا
فَدَمَ لَدَى الْقَوْمِ مَعْرُوفٍ إِذَا انْتَسَبَا
كَانُوا رُؤُوسًا فَأَمْسَى بَعْدَهُمْ ذَنْبًا
نَالَ الْمَعَالِي بِالْأَدَابِ وَالرَّتَبَا
نَعْمَ الْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحْبًا
عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذُّلَّ وَالْحَرَبَا
وَلَا يُحَادِرُ مِنْهُ الْفَوْتُ وَالسَّلْبَا
لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبًا

هذا وكان علي كرم الله وجهه قد رسم له شيئاً من أصول النحو فكتب هو فيه، فكان له الدور الأول في تأسيس علم النحو ووضعه.

وقد قيل في سبب ذلك: إن ابنة له رفعت وجهها إلى السماء ذات ليلة وتأملت بهجة نجومها وكثرتها وحسنها، فقالت: يا أبت ما أحسن السماء - بضم

نون أحسن وكسر همزة السماء - على صورة الاستفهام، فظنَّها تسألُه وتستفهم منه، فقال: أي بنية نجومُها - بالرفع - فتحيَّرت وظهر لها خطأها! فعلم أبو الأسود أنَّها أرادت التعجب، فقال: قولي يا بنية ما أحسن السماء!! - بفتح النون والهمزة - فأتى عليًّا كرم الله وجهه وقال: يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطوا العجم، ويوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحلَّ، وأخبره خبر ابنته، فرسم له مبادئ من القواعد النَّحوية.

وفي رواية أخرى أن أبا الأسود دخلت عليه بنته فقالت: يا أبت ما أشدُّ الحرَّ - بضم الدال وكسر الراء - فظنَّها تسألُه وتستفهم منه؛ لأن الضبط يشير إلى الاستفهام، فقال لها: شهر ناجر^(١)، فقالت: يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك، فعلم أنها تريد التعجب، فقال لها: قولي ما أشدُّ الحرَّ!! - بفتح الدال والراء - فجاء إلى علي كرم الله وجهه وأخبره خبر ابنته^(٢) فوضعا أبواب التعجب والاستفهام

(١) شهر ناجر: كان يقال في الجاهلية لصفر أو رجب، وقيل: هو كل شهر في صميم الحرِّ، وقيل: كل شهر من شهور الصيف، وهو من النَّجْر - بالتحريك - وهو عطش شديد يأخذ الإبل فتشرب كثيراً فلا تروى، وسمي بذلك؛ لأنَّ الإبل تنجر فيه أي: يشتد عطشها حتى تبيس جلودها، ولذي الرَّمَّة:

صَرَى أَجْنٌ يَزْوِي لَه الْمَرْءُ وَجَهَهُ إِذَا ذَاقَهُ الظَّمَّانُ فِي شَهْرِ نَاجِرٍ

(٢) وإلى ذلك أشار بعضهم بقوله:

أَوَّلُ مَنْ أَفَادَنَا النَّخْوَ عَلِي	سَبَبُهُ لَحْنٌ حَكَاهُ الدُّوَلِي
عَنْ بِنْتِهِ الَّتِي نَوَتْ تَعَجُّبًا	فَاسْتَفْهَمَتْ بِرَفْعِ فِعْلِ فَأَبَى
فَقَالَ: قَوْلِي مَا أَشَدُّ الْحَرَّ	بِالْفَتْحِ لِلدَّالِ الثَّقِيلِ وَالرَّ
فَقَامَ فِي الْحَيْنِ إِلَى الْإِمَامِ	وَارِثِ عِلْمِ سَيِّدِ الْأَنْبَامِ
فَقَالَ: يَا إِمَامَ عِنْدِي مَنْ لَحْنٌ	وَاللَّحْنُ فِي أَبْنَانِنَا مِنَ الْمَحْنِ
قَالَ الْإِمَامُ: اكْتُبْ وَخُذْهُ مِنِّي	وَأَنْقُلْهُ بَيْنَ الصَّالِحِينَ عَنِّي
فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: الْبَسْمَلَةَ	وَضَعْ ثَلَاثًا فِي الْكَلَامِ مُجْمَلَةً

والفاعل والمفعول به، فكان أبو الأسود يراجع عليًّا في ذلك، وكلَّما وضع بابًا من أبواب النحو عرضه على الإمام علي رضي الله عنه إلى أن حصل ما فيه الكفاية، فقال له علي: ما أحسن هذا النحو الذي نَحَوْتَ!!.

وقد قيل لأبي الأسود: من أين لك هذا النحو؟ فقال: لفقت حدوده من علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال أبو بكر الزبيدي: أول من أصَّل علم العربية وأعمل فكره فيه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدُّوَلِيُّ، ونَصْر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هُرْمُز، فوضعوا للنحو أبوابًا وأصلوا له أصولًا، فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف.

وفي «حاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني»: (وقد تضافرت الروايات على أن أول من وضع النحو أبو الأسود، وأنه أخذه أولاً عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واتفقوا على أن أول من وضع التَّصْرِيفُ مُعَاذُ بْنُ مُسْلِمِ الْهَرَّاءِ^(١)). هذا ويكفي الدُّوَلِيُّ شرفًا خالداً أنه هو أول من نقط المصحف.

وقد أخذ عنه جماعة، منهم: نَصْر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يَعْمَر العدواني، وعبد الرحمن بن هُرْمُز الأعرج شيخ الإمام مالك^(٢)، وعَنْبَسَة بن مَعْدَانَ الفيل المَهْرِيُّ، وهؤلاء الأربعة ما منهم إلا من عَزِي إليه وضع النحو في بعض الروايات.

رَكْبُهُ وَالْمَعْنَى يَلُوحُ عَنْهَا	إِسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ مِنْهَا
وَالْفِعْلُ عَنْ حَرَكَةِ الْمُسَمَّى	فَالِاسْمُ مَا أَنْبَأَ عَنْ مُسَمَّى
فَانْحُ عَلَى ذَا النَّحْوِ ثُمَّ زِدْ وَقَسْ	وَالْحَرْفُ مَا عَدَاهُمَا لِلْمُقْتَبَسِ

(١) بفتح الهاء وتشديد الراء نسبة إلى بيع الثياب الهروية.

(٢) يقال: إنه أخذ عنه النحو.

ولأبي حيان من قصيدته المشهورة:

لَقَدْ حَازَ فِي الدُّنْيَا فَخَارًا وَسُودًّا أَبُو الْأَسْوَدِ الدِّيَلِيِّ فَلَا تَمَّ سَائِدُهُ
هُوَ اسْتَبْطَأَ الْعِلْمَ الَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ وَطَارَ بِهِ لِلْعُرْبِ ذِكْرٌ نَعَاوِدُهُ
وَسَادَ عَطَاءٌ نَجَلُهُ وَابْنُ هُرْمُزٍ وَيَحْيَى وَنَصْرٌ ثُمَّ مَيْمُونٌ مَاهِدُهُ
وَعَنْبَسَةٌ قَدْ كَانَ أَبْرَعَ صَحِيهِ فَقَدْ قَلَّدَتْ جِيدَ الْمَعَالِي قَلَائِدُهُ

...الخ.

وقد قيل: إن أبا الأسود هو الذي وضع القواعد العامة في الأبواب المذكورة، وكان ذلك في خلافة علي كرم الله وجهه، ثم أعجم المصحف بالنقط؛ لدفع التصحيف في عهد معاوية رضي الله عنه، ثم قام نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بوضع الشُّكْلِ في المصحف؛ لدفع التحريف عنه، وكان ذلك بأمر من الحجَّاج بن يوسف الثَّقَفِيِّ لهما في عهد عبد الملك بن مروان؛ ليدل على جهة الصوت بالحركات المعروفة من ضمة أو ضميتين أو فتحة أو فتحتين أو كسرة أو كسرتين.

وقد قيل: إن أبا الأسود هو الذي وضع التنقيط الإعرابي لبيان الشكل في الحركات، وإن نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وضعوا تنقيط إعجام الحروف؛ لئلا يلتبس بعضها ببعض، وبعملهما تتميز الباء من التاء والتاء، والجيم من الحاء والحاء، وسائر الحروف المتماثلة التي لا يفرق بينها إلا هذا التنقيط. والله أعلم.

ومات أبو الأسود - رحمه الله - بالبصرة سنة: (٦٩هـ).

● عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه (ت ٤٠ هـ):

وأما عليُّ بنُ أبي طالبٍ: فهو الصَّحابيُّ الجليلُ أميرُ المؤمنين الخليفة الرَّاشد، ابنُ عمِّ سيِّد المرسلين ﷺ، إمامُ العارفين الأخيار، وقدوة الزاهدين الأبرار، كاشفُ المعضلات، وفتاحُ غَلق المشكِّلات، أحدُ أعلام الصَّحابة الكرام، وعلمائهم وشعرائهم وفقهائهم وأبطالهم في الملاحم، سيفُ الإسلام الصَّارم، أبو السَّبطين: سيِّدنا عليُّ بنُ أبي طالبٍ بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القُرشيُّ، الهاشميُّ، كَرَّم الله وجهه.

ولد بمكة ونشأ بها، وكفله رسول الله ﷺ فكان معه في المنزل وترى ونشأ فيه، فأسلم قبل أن يبلغ الحلم، وكان إسلامه بُعيد البعثة، ولم يعبد الأصنام قط، وأشربت روحه تعاليمه ﷺ.

هاجر بعد رسول الله ﷺ بقليل، وكان النبي ﷺ قد خلَّفه في مكانه ليؤدِّي عنه ما كان عنده من ودائع للناس، فلحق به في المدينة وصحبه إلى أن توفي ﷺ وهو عنه راضٍ، وكان أحدَ العشرة المشهود لهم بالجنَّة، وكان سيِّد العلماء العاملين، وبطل الشجعان المشهورين، وأزهد الزهاد المذكورين، وأخطب الخطباء المفوَّهين، وأقضى القضاة العادلين، وصهَّر رسول الله ﷺ على ابنته فاطمة الزهراء، وأبا السَّبطين.

شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها إلا تبوك؛ وكان ﷺ قد خلَّفه في المدينة على بعض شؤونه وضرب له فيها بسهم. وله في الجميع بلاءٌ عظيم، وأثرٌ حسن.

ببيع بالخلافة بعد مقتل عثمان ذي النورين رضي الله عنه في ذي الحجة سنة: (٣٦هـ)، وكان يومئذ أحقَّ الصحابة بالخلافة، فكان رابع الخلفاء الراشدين، ومكث في الخلافة نحو أربع سنين.

واستشهد رضي الله عنه ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة: (٤٠هـ).

وكان رضي الله عنه هو أول من وضع مبادئ علم العربية، وأسس قواعده، وأمر تلميذه أبا الأسود الدؤليَّ أن يعمل بمقتضاها وينحو نحوها.

فكل الروايات تجمع على أن الإمام عليًّا كرم الله وجهه هو الذي وضع الخطة الأولى، وأن أبا الأسود هو الذي بدأ تنفيذها، وتولى المجهود الأكبر في وضعها، وقد شاركته في ذلك طبقة والطبقة الموالية لهم.

ولقد كانت ملازمة علي رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتربيته في مدرسة القرآن والبلاغة النبوية؛ كفيلاً بجعله يستقي منابع اللغة ممن أوتي جوامع الكلم، وكان حريصاً على معناها ومبناها، مع أنه كان من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم المقربين، واشتهر بعبقريَّة فذة جعلته متفوقاً في حلِّ المعضلات، حتى ضرب به المثل: «اللهم إني أعوذ بك من قضية أو معضلة ولا أبا حسن لها».

فلا غرابة إذن في أن يعمل فكره في حفظ لغة القرآن، واختراع صناعة جديدة تحفظ لغة الذكر، وتسهل على المسلمين تقويم ألسنتهم وأقلامهم، فكان من حسناته العظام أن فتح الطريق لتأسيس هذا العلم.

وقد روي في سبب وضعه لأول أسسه، وكون ذلك كان مرتبطاً بأبي الأسود الدؤلي دون غيره من تلامذة علي رضي الله عنه: قِصَّةُ لَحْنِ بنت أبي الأسود الدؤلي المشهورة المذكورة في ترجمته.

كما قيل في سببه أيضاً: إن الدُّوْلِيَّ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ۚ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ (التوبة) بجر «رسوله» ففزع من ذلك وأتى عليًّا رضي الله عنه وقال: يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطوا العجم ويوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحل! فوضعا باب «إن» وأخواتها والنعث والعطف.

وروي أيضاً في سبب وضعه أن عليًّا كرم الله وجهه أتاه رجلان في شأن فريضة فقالا له: مات أيينا وترك أيينا حماراً، فعلم أن اللسان العربي فسد، فبدأ في وضع النحو.

يقول أبو الأسود الدُّوْلِيُّ: مررت بعلي رضي الله عنه ذات يوم مطرقاً ويده قلم ودواة، فعلمت أنها من مستخرجاته فناولني ورقة مكتوباً فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم، كلام العرب على ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمَّى، والفعل ما دلَّ على حركته، والحرف ما دلَّ على معنى غير ذلك). وقال: انح ذاك النَّحو يا أبا الأسود، وأضف إليه ما وقع إليك.

فكان سبب تسمية هذا العلم بالنحو بعد ذلك قول علي لأبي الأسود: «انح ذاك النحو يا أبا الأسود» أو «ما أحسن النحو الذي نحوت». وكان قبل ذلك يعرف بعلم العربية، والله أعلم.

ولقد أحسن الأديب القاضي ناصر الدين بن المنير إذ يقول في رثاء علي بن مؤمن بن محمد بن علي الإشيلي المعروف بابن عُصفور النَّحْوِيِّ:

أَسْنَدَ النَّحْوِ إِلَيْنَا الدُّوْلِيُّ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَطَّلِ

بَدَأَ النَّحْوَ عَلَيَّ وَكَذَا قُلْ بِحَقِّ خَتَمِ النَّحْوِ عَلَيَّ

ولأبي حيان قصيدة فريدة، بعث بها في شكل رسالة من مصر إلى موطنه
غرناطة، ضمَّنها عَرْضًا مُفَصَّلًا لتاريخ النَّحو العربي منذ نشأته إلى ذلك العهد،
وقد افتتحها بمقدمة في فضل العلم عمومًا والنحو خصوصًا، يقول فيها:

هُوَ الْعِلْمُ لَا كَالْعِلْمِ شَيْءٌ تُرَاوِدُهُ	لَقَدْ فَازَ بَاغِيهِ وَأَفْلَحَ قَاصِدُهُ
وَمَا فَضَلَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِعِلْمِهِ	وَمَا امْتَأَزَ إِلَّا ثَاقِبُ الذَّهْنِ وَأَقْدَهُ
وَقَدْ قَصُرَتْ أَعْمَارُنَا وَعُلُومُنَا	يَطُولُ عَلَيْنَا حَضْرُهَا وَنُكَابِدُهُ
وَفِي كُلِّهَا خَيْرٌ وَلَكِنَّ أَضْلَاهَا	هُوَ النَّحْوُ فَاحْذَرِ مِنْ جَهُولِ يُعَانِدُهُ
بِهِ يُعْرَفُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ اللَّذَا	هُمَا أَضَلُّ دِينِ اللَّهِ مَنْ أَنَا عَابِدُهُ
وَنَاهِيكَ مِنْ عِلْمِ عَلِيٍّ مُشِيدٌ	مَبَانِيهِ أَعَزُّ بِالَّذِي هُوَ شَائِدُهُ
لَقَدْ حَازَ فِي الدُّنْيَا فَخَارًا وَسُودْدًا	أَبُو الْأَسْوَدِ الدِّيَلِيِّ فَلَا تَمَّ سَائِدُهُ

... الخ. والله سبحانه وتعالى أعلم.



مُلحق

ذكر بعض الأسانيد الفقهية والنحوية
وبعض التعريف بأصحابها،
تعزيراً للسندين المذكورين

مُلحق

ذكر بعض الأسانيد الفقهية والنحوية

وبعض التعريف بأصحابها، تعزيزاً للسندين المذكورين

فمن فروع السند الفقهي:

أخذ الفقيه المالكي عبد الرحمن بن علي الأجهوري عن جماعة، منها: الشيخ أحمد بن محمد بن إبراهيم الفيثي (ت ٨٤٨هـ)، عن جماعة، منها: شيخ المالكية في زمانه أبو الحسن علي بن عبد الله بن علي السَّنهوري (ت ٨٨٩هـ)، عن جماعة، منها: الفقيه المالكي المقرئ طاهر بن محمد بن علي النُّوري (ت ٨٥٦هـ)، عن جماعة، منها: الفقيه المالكي أبو علي حسين بن علي البوصيري (ت ٨٥٢هـ)، عن جماعة، منها: العلامة الفقيه المالكي أحمد بن عمر بن علي بن هلال الرَّبِعي (ت ٧٩٥هـ): عن جماعة، منها: الفقيه المالكي الأصولي قاضي القضاة أحمد فخر الدين بن محمد بن عبد الله المعروف بابن المخلطة (ت ٧٥٩هـ)، عن جماعة، منها: الفقيه المالكي أبو حفص عمر بن فَرَّاج الإسكندري، عن جماعة، منها: الفقيه المالكي الصوفي أحمد تاج الدين بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء الله صاحب الحَكَم العطائية (ت ٧٠٩هـ)، عن جماعة، منهم: الفقيه المالكي أبو بكر الطُّرُوشي، عن جماعة منهم أبو الوليد الباجي، إلى آخر السند المتقدم.

ومن فروعه أيضاً:

أخذ الفقيه المالكي الشيخ خليل بن إسحاق عن جماعة، منهم: عبد الله بن محمد بن سليمان المنوفي، عن جماعة، منهم: الفقيه المالكي أبو عبد الله بن

محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن القوبع (ت ٧٣٨هـ)، عن جماعة، منهم:
 الفقيه المالكي يحيى بن الفرغ بن زيتون، عن جماعة منهم العلامة الأديب
 القاضي عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، عن جماعة، منهم:
 الفقيه المالكي قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف
 الهُوَّاري (ت ٧٤٩هـ)، عن جماعة، منهم: الفقيه المالكي أبو محمد عبد الله بن
 محمد بن هارون (ت ٧٠٢هـ)، عن جماعة، منهم: الفقيه المالكي أبو القاسم
 أحمد بن يزيد بن أحمد بن بقي (ت ٦٢٥هـ)، عن جماعة، منهم: الفقيه المالكي
 محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق (ت ٥٦٠هـ)، عن جماعة، منهم: أبو عبد
 الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع (ت ٤٩٧هـ)، عن جماعة، منهم: الفقيه
 المالكي مكي بن أبي طالب، عن جماعة، منهم: العلامة القدوة أبو محمد عبد
 الله بن أبي زيد القيرواني... إلى آخر السند السابق.

ومن فروع السند النحوي:

أخذ العلامة النحوي أبو حيان، عن الإمام النحوي أبي علي ابن أبي
 الأحوص الغرناطي (ت ٦٧٩هـ)، عن أبي علي الشَّلَوَّيين، عن الأستاذ النحوي
 نجبة بن يحيى الرعيني الإشبيلي (ت ٥٩١هـ)، عن الأستاذ النحوي عبد
 الرحمن بن محمد الأموي الإشبيلي المعروف بابن الرَّمَّاء (ت ٥٤١هـ)، عن
 الأستاذ النحوي أبي الحسن بن عبد الرحمن بن مهدي الإشبيلي المعروف بابن
 الأخضر (ت ٥١٤هـ)، عن الأعلام الشَّتَمَرِيِّ، عن أبي القاسم الإفليلي، عن
 الأديب النحوي اللغوي البغدادي ثم الغرناطي إسماعيل بن القاسم المعروف
 بأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ)، عن العلامة النحوي البصري أبي جعفر المعروف
 بابن دُرُسْتَوَيْه (ت ٣٤٧هـ)، عن المُبَرِّد، عن المازني، عن الأخفش الأوسط،

عن سَيِّوَيْهِ، عن الخليل، عن العلامة النحوي القارئ أبي عمر عيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ)، عن أبي عمرو بن العلاء... إلى آخره.

● أحمد الفيثي (٧٦٣-٨٤٨هـ):

أما الفيثي فهو العلامة الفقيه النحوي أبو الحسن أحمد شهاب الدين بن محمد بن إبراهيم الفيثي؛ ويعرف بالحنَّاوي. ولد بفيشا المنارة من غربية مصر^(١) سنة: (٧٦٣هـ).

نشأ بالقاهرة وقرأ العربية، وانتفع به جماعة. وناب في الحكم ودرس بأماكن، وكان وقوراً ساكناً قليل الكلام كثير الفضل، ألف في النحو كتابه «الدرة المضيئة في العربية» وهو مختصر في النحو كثر الإقبال على قراءته وشرحه.

توفي في شهر جمادى الأولى سنة: (٨٤٨هـ) بالقاهرة.

● النُّوَيْرِيُّ (نحو ٧٩٥-٨٥٦هـ):

وأما النُّوَيْرِيُّ: فهو الإمام العالم المقرئ الفقيه المالكي طاهر زين الدين بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن مكيف النُّوَيْرِيُّ.

ولد حوالي (٧٩٥هـ)، تفقه على البساطي وغيره، وتلا على أبي الجزري وغيره، وأخذ النحو عن ابن هشام، وجمع الفنون وصار أحد أئمة المالكية، وولي تدريس المالكية في البرقوقية^(٢).

وتوفي في ربيع الأول سنة: (٨٥٦هـ).

(١) بغية الوعاة (٣٥٦/١).

(٢) البرقوقية: مدرسة أنشأها الملك برقوق سنة: (٧٨٦هـ) بمصر. ويعرف مكانها الآن بجامع البرقوقية (الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي).

● البُوصِيرِيُّ (٧٥٥-٨٥٢هـ):

وأما البُوصِيرِيُّ: فهو الإمام الفقيه المالكي أبو علي حسين البدر بن علي بن سَبْعِ البُوصِيرِيِّ.

ولد سنة (٧٥٥هـ)، وحفظ القرآن في الصغر، وتفقه على أحمد بن عمر بن علي بن هلال الرَّبَيعِي، وأخذ عنه مختصر ابن الحاجب الفرعي وحفظه، وحفظ الرسالة.

وعرض على العلاء المَغَلَطَائِي وأجاز له، وحضر مجلسي الشيخ خليل صاحب المختصر وبَهْرَام، وَالتقى السبكي، وأبا عبد الله المرزوق، وسمع منه أعيان، منهم: محمد بن محمد بن عبد الرحمن البُلْقِينِي. مات في ربيع الأول سنة: (٨٥٢هـ).

● الرَّبَيعِيُّ (....-٧٩٥هـ):

وأما الرَّبَيعِيُّ: فهو الإمام العالم العلامة الفقيه المالكي أحمد بن عمر بن علي بن هلال الرَّبَيعِي^(١)، تفقه على قاضي القضاة فخر الدين بن المخلطة، كما في «الديباج المذهب».

ورحل من الإسكندرية إلى القاهرة، فأخذ بها الفقه عن الشيخ عبد الله المنوفي، والإمام شرف الدين أبي موسى علي الزَّوَاوِي، وشرف الدين عيسى المغيلي، وغيرهم.

وسمع الحديث من الشيخ تقي الدين بن كَرَّام، وغيره؛ وأخذ الأصول عن الشيخ شمس الدين الأصبهاني، والعربية عن أثير الدين أبي حَيَّان الأندلسي.

(١) نسبة إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان المشهور بريعة الفرس أخي مضر.

وله عدة مؤلفات، منها: «شرح ابن الحاجب»؛ وله تفسير آية الكرسي.
وتوفي سنة: (٧٩٥هـ).

• ابن المخلطة (٦٩٦-٧٥٩هـ):

وأما ابن المخلطة: فهو الفقيه المالكي الأصولي، قاضي القضاة، أحمد فخر الدين بن محمد بن عبد الله الشهير بابن المخلطة؛ ولد بـتغر الإسكندرية سنة: (٦٩٦هـ).

وتفقه بالإمام أبي حفص عمر بن فرّاج الإسكندري، كما في: «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» لابن فرّحون.

وقرأ الأصول على شمس الدين الأصبهاني، والعربية على عماد الدين أبي الحسن الكندي، وعلى أثير الدين أبي حيّان.

ورحل إلى الشام وسمع من الحافظ أبي الحجّاج المزيّ، وشمس الدين الذهبي، وغيرهما، وولي قضاء الإسكندرية، وتوفي سنة: (٧٥٩هـ).

• ابن فرّاج (ق ٨ هـ):

وأما ابن فرّاج: فهو العلامة الفقيه المالكي أبو حفص عمر بن فرّاج الكندي الإسكندري. أخذ عن أعلام أجلاء، منهم: أبو محمد بن عطاء الله. وبرع في العلم حتى صار من أعلام العلماء والأئمة المتفنين الفضلاء.

وأخذ عنه أئمة، منهم: القاضي فخر الدين بن المخلطة، وتفقه منه.

• ابن عطاء الله (... - ٧٠٩هـ):

وأما ابن عطاء الله: فهو الفقيه المالكي الأديب الشاذلي الصوفي أبو محمد

أحمد تاج الدين بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الجذامي الإسكندري. أخذ عن العديد من الشيوخ، منهم: أبو بكر الطرطوشي، وأبو العباس المرسي، وياقوت العرشي، والتقى السبكي، واشتهر بالتصوف، وكان على طريقة أبي الحسن الشاذلي، وكان مالكيًا (وقيل: شافعيًا) فقيهاً أديباً مفسراً محدثاً أصولياً نحويًا.

استوطن القاهرة ووعظ بالجامع الأزهر وسارع إليه الطلبة وكثر أتباعه، وممن أخذ عنه تقي الدين السبكي، وداود بن ماخلا الشاذلي.

وله مصنفات، منها: «مختصر تهذيب المدونة» للبرادعي، و«التنوير في إسقاط التدبير»، و«الحكم العطائية»، و«لطائف المنن في مناقب شيخه أبي العباس وشيخه أبي الحسن».

توفي في جمادى الآخرة بالقاهرة سنة: (٧٠٩هـ).

● ابن القُوبِيع (٦٦٤ - ٧٣٩هـ):

وأما ابن القُوبِيع: فهو العلامة الفقيه المالكي أبو عبد الله محمد ركن الدين بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل، الجعفريُّ التُّونسيُّ، المعروف بـ«ابن القُوبِيع». ولد بتونس سنة: (٦٦٤هـ) في رمضان.

وقرأ ببلده على يحيى بن الفرغ بن زيتون، وقرأ عليه النحو، وأخذ أيضًا عن محمد بن عبد الرحمن، قاضي تونس، وابن حَبِيش، وابن الدَّارس.

وسمع بدمشق من إبراهيم بن علي الواسطي، ومن عمر بن القَوَّاس، وسمع أيضًا من أبي الفضل بن عساكر، والخضر بن عبد الرحمن، وغيرهم.

ومن آثاره العلمية: مجلد لطيف على سورة ق، وكتاب على ديوان المتنبي جيد.

وتوفي في ذي الحجة سنة: (٧٣٨هـ) بالقاهرة.

● ابن زَيْتُون (.....-...):

وأما يحيى بن الفرّج بن زيتون: فقد ورد في الكثير من سلاسل السند المالكي. ولم أقف إلى الآن على ترجمة له.

وقد ورد أن آل زيتون كانوا مستقرين في ليبيا في منطقة قريبة من طرابلس.

æ ابنُ خَلْدُون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ):

وأما ابن خلدون: فهو العلامة الكبير والمؤرخ الشهير عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون. أصله من إشبيلية ومولده ومنتشؤه بتونس، ورحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس ثم عاد إلى تونس، ثم توجه إلى مصر وولي فيها قضاء المالكية.

وكان فصيحاً عاقلاً صادق اللهجة أبي الضَّيْم، ألف مؤلفات، أشهرها: كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر».

وتوفي في القاهرة سنة: (٨٠٨هـ).

● الهُوَّارِيُّ (٦٧٦ - ٧٤٩هـ):

وأما الهُوَّارِيُّ: فهو القاضي الفقيه المالكي أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير الهُوَّارِيُّ المُنْسْتِيرِيُّ. ولد سنة: (٦٧٦هـ).

كان قاضي الجماعة بتونس واستمر كذلك إلى أن توفي، وكان لا يرعى في

الحق سلطاناً ولا أميراً، وكان فقيهاً مالكيًا، له كتب، منها: «شرح جامع الأمهات لابن الحاجب» و«ديوان فتاوى».

وتوفي سنة: (٧٤٩هـ).

● **ابن هارون (٦٠٣ - ٧٠٢هـ):**

وأما **ابن هارون**: فهو الإمام العلامة مُسند المغرب، أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد العزيز بن إسماعيل، الطائي الأندلسي القرطبي المالكي.

ولد سنة: (٦٠٣هـ)، وطلب العلم في حدائته، فاشتغل بالقراءات والحديث والفقهِ واللغة والنحو والآداب، وقرأ القرآن على جده لأمه محمد بن قادم المَعافري، وسمع من قاضي الجماعة أبي القاسم بن بقي، وأخذ عنه الموطأ، وكامل المبرد، وفهرس كتابه، ولازم خاله إمام جامع قرطبة العلامة أبا محمد بن أبي جعفر، وأخذ عن الحافظ أبي زكرياء بن أبي عبد الله بن يحيى الحميري، وقرأ عليه الفصيح وأشعار الستة، وسمع منه الرّوض الأنف، وسمع صحيح البخاري من أبي بكر بن سيّد الناس الخطيب، وصحيح مسلم من عبد الله بن أحمد بن محمد بن عطية، وأخذ كثيرًا من كتاب سيويه عن أبي علي الشلوّبين، وانتهى إليه الإسناد.

وأخذ عنه خلق كثير. وتوفي بتونس سنة: (٧٠٢هـ) بعد أن طعن في السن.

● **ابن بقي (٥٣٧ - ٦٢٥هـ):**

وأما **ابن بقي**: فهو الإمام العلامة المحدث المسند قاضي الجماعة، أبو القاسم أحمد بن أبي الوليد يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي القرطبي المالكي.

ولد سنة: (٥٣٧هـ)، وسمع من أبيه وجده من أمه، ومن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجي، وأجاز له المقرئ أبو الحسن شريح بن محمد وعبد الملك بن مسرّة، وقرأ جميع كتاب سيويه على أبي العباس بن مضاء، وانفرد بأشياء منها: موطأ الإمام مالك برواية يحيى بن يحيى، وكان آخر من حدّث به عاليًا؛ بينه وبين الإمام مالك فيه ستة رجال بالسماع المتّصل.

وأخذ عن كثير من مشايخ العلم، وكان بيته من أعرق بيوت العلم والنّباهة، وكان من رجالات الأندلس جلالاً وكمالاً، وحُمدت سيرته ولم تزدّه الرفعة إلا تواضعًا، ورأس بالمغربيين، وولي القضاء بالعدوتين في فاس.

ولما أسن استعفي منه وأقام ببلده، فازدحم الطلبة عليه وتنافس الناس في الأخذ عنه. وكان له باع مديد في النحو والأدب.

وممن أخذ عنه: عبد الله بن محمد بن هارون، والعلامة أبو الحسين بن أبي الربيع، وبالإجازة محمد بن محمد الفاسي ومحمد بن عيَّاش الخزرجي، وأبو الحكم مالك بن المرّحل الأديب... وغيرهم.

وألف كتابًا في الآيات المتشابهات، قيل: إنه كان من أحسن ما كتب في بابه. وتوفي رحمه الله في شهر رمضان سنة: (٦٢٥هـ) بقرطبة.

• ابْنُ عَبْدِ الْحَقِّ (.... - ٥٦٠هـ):

وأما ابْنُ عَبْدِ الْحَقِّ: فهو الإمام العلامة الفقيه المالكي أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحق، الخزرجي القرطبي.

أخذ عن أبي عبد الله محمد بن الفرج الطَّلَاعي وأكثر عنه، وسمع منه الموطأ وعني بالفقه وحدث، وسمع في كهولته من أبي محمد بن عتاب وطائفة.

وروى عنه: ابنه القاضي عبد الحق بن محمد وحدث عنه، وروى عنه أبو القاسم أحمد بن بقي، وسمع منه الموطأ وأجاز له وبه علا إسناده، وأخذ عنه غيرهما.

وتوفي قريباً من سنة: (٥٦٠هـ).

• **ابن الفرج (٤٠٤ - ٤٩٧هـ):**

وأما **ابن الطلاعي**: فهو الإمام العلامة القدوة مفتي الأندلس ومحدثها في عصره أبو عبد الله محمد بن الفرج القرطبي **الطلاعي** ^(١) **المالكي**.

كان بقية الشيوخ في وقته وزعيم المفتين بحضرته، حدث عن مكّي بن أبي طالب كما في: «سير أعلام النبلاء» ^(٢).

وكان فقيهاً حافظاً للفقهِ حاذقاً بالفتوى مع دين وخير وفضل، قوَّالاً للحق لا تأخذه في الله لومة لائم، معظماً عند الخاصة والعامة، ولي الصلاة بقرطبة، وكان مجوداً لكتاب الله، وصارت الرحلة إليه؛ وخاصة في سماع الموطأ والمدونة وسنن النسائي، لعلوه في ذلك.

وتوفي في رجب سنة: (٤٩٧هـ) وشهد جنازته جمع عظيم.

• **ابن أبي الأخوص (٦٠٣ - ٦٧٩هـ):**

وأما **ابن أبي الأخوص**: فهو الإمام الحافظ النحوي أبو علي بن أبي الأخوص، **القرشي**، **الجنياني**، **الغرناطي**، ويعرف بـ «ابن الناظر».

ولد بجيآن سنة: (٦٠٣هـ). كان شديد العناية بالعلم مكباً على تحصيله وإفادته، حريصاً على نفع الطلبة.

(١) كان أبوه مولى لمحمد بن يحيى بن الطلاع البكري فنسب إليه.

(٢) في ترجمة محمد بن الفرج.

لازم في العربية والأدب أبا علي السَّلَوِيِّين، كما في: «بغية الوعاة»^(١)، واعتنى بالرواية وأخذ القراءات عن ابن الكَوَّاب ولازمه، وعن الدَّبَّاج... وغيرهما، فكان من فقهاء المحدثين القراء النحاة الأدباء. وانتقل إلى غرناطة وتوطنها وأقرأ بها القرآن والعربية والأدب وولي قضاء المرية ثم بسطة ثم مألقة، فحمدت سيرته. وكان من أهل الضبط والإتقان في الرواية ومعرفة الأسانيد متفتناً في المعارف، أخذاً بحظ من كل علم، حافظاً للتفسير والحديث، ذاكراً للأدب واللغات والتواريخ.

وكان شاعراً، ومن شعره:

رَغِبْتُ عَنِ الدُّنْيَا لِعِلْمِي أَنَّهَا	مَحَلُّ حَيَاةِ المَرءِ فِيهِ بَلَغُ
وَقَدْ لَاحَ فِي فَوَدَيَّ شَيْبٌ عَلَى الرَّدَى	دَلِيلٌ وَفِيهِ مَا أَرَدْتُ بَلَغُ
وَأَمَلْتُ مِنْ مَوْلَايَ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ	يَكُونُ بِهَا مِنِّي إِلَيْهِ بَلَغُ
فَأَخْطَى إِذَا الأَبْرَارُ قِيلَ لَهُمْ غَدَا:	هَلُمُّوا إِلَى دَارِ النِّعَمِ فَرَاغُوا
رَأَيْتُ بَنِيهَا مَا رَمَتْهُمْ سِهَامُهَا	فَطَاشَتْ وَلَا حَمَّ الحِمَامُ فَرَاغُوا
فَعُجْتُ إِلَى دَارِ البَقَاءِ بِهَمَّتِي	فَعِنْدِي عَنْهَا رَاحَةٌ وَفَرَاغُ

وَأَلَّفَ فِي القراءات، وأخذ عنه عدد، منهم: أبو حَيَّان.

وتوفي رحمه الله بغرناطة في جمادى الأولى سنة: (٦٧٩هـ).

● نَجْبَةُ بْنُ يَحْيَى (٥٢٠ - ٥٩١هـ):

وَأَمَّا نَجْبَةُ: فهو الأستاذ النَّحْوِيُّ المقرئ أبو الحسن نَجْبَةُ بْنُ يَحْيَى بن خلف بن نَجْبَةَ الرَّعِينِيِّ، الإشبيلي. ولد حوالي سنة: (٥٢٠هـ).

(١) في ترجمة الإمام أبي علي بن أبي الأحوص القرشي.

كان نحوياً مقرئاً محققاً بعيد الصيت عظيم الجاه، أقرأ بإشبيلية ومراكش وتونس، روى عنه جمع كثير؛ منهم: ابنا حَوْطِ الله، وأبو الخطاب بن خليل، وغيرهم. وتوفي في جمادى الأولى سنة: (٥٩١هـ).

● **ابن الرَّمَاكِ (.... - ٥٤١هـ):**

وأما **ابن الرَّمَاكِ**: فهو الأستاذ النحوي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عيسى، الأمويُّ الإشبيليُّ، المعروف بـ«ابن الرَّمَاكِ»، أخذ عن ابن الأخضر، كما في: «بغية الوعاة»^(١).

وأخذ أيضاً عن ابن الطَّرَاوَةِ؛ فكان أستاذاً في العربية مدققاً قيماً بكتاب سيبويه، فقيهاً نحوياً لغوياً مشهوراً. وأقرأ النحو والأدب بإشبيلية، وكان مقدماً فيهما، وتوفي سنة: (٥٤١هـ).

● **ابن الأَخْضَرِ (.... - ٥١٤هـ):**

وأما **ابن الأَخْضَرِ**: فهو الأستاذ النحوي، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن مهدي بن عمران، المعروف بـ«ابن الأَخْضَرِ» الإشبيلي.

أخذ عن أبي الحجاج يوسف بن سليمان الأَعْلَمِ الشُّتَمَرِيِّ، كما في: «بغية الوعاة»^(٢)، وسمع من المحافظ أبي علي الغساني. فكان مقدماً في العربية واللغة، ثقة ثباتاً ديناً ذكياً. وشرح شعر حبيب، وشرح الحماسة... وغير ذلك، وأخذ عنه الناس قديماً وحديثاً وسمعوا منه الآداب وضبطوها عليه.

وممن أخذ عنه ابن الرَّمَاكِ، والقاضي عياض.

وتوفي بإشبيلية في شهر رجب سنة: (٥١٤هـ).

(١) في ترجمة ابن الرماك.

(٢) في ترجمة علي بن عبد الرحمن بن مهدي.

• أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي (٢٨٨-٣٥٦هـ):

وَأَمَّا أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي: فهو الأديب النحوي اللغوي، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عَيْذُون بن هَارُونَ بن عيسى بن محمد بن سليمان البغدادي، مولى الخليفة عبد الملك بن مروان، المعروف بـ«القالِي» (نسبة إلى «قالِي قَلِي»: بلد من أعمال أَرْمِينِيَّة).

ولد بديار بكر سنة: (٢٨٨هـ)، وقدم بغداد وقرأ النحو والعربية والأدب على ابن دُرُسْتَوَيْهِ، والزَّجَّاج، والأخفش الصَّغِير، وغيرهم، كما في: «بغية الوعاة»^(١).

وسمع الحديث من أبي بكر بن أبي داود السجستاني، والحسين بن إسماعيل المحاملي، وأبي بكر بن مجاهد وغيرهم، فكان أعلم الناس بنحو البصريين، وأحفظ أهل زمانه للغة، وأرواهم للشعر الجاهلي وأحفظهم له، ودخل قرطبة ولقي فيها إكرامًا جزيلاً، وقرأ عليه الناس كتب اللغة والأخبار. وأملى بقرطبة كتابه «الأمالي»، و«النوادر».

ومن مصنفاته: «المقصود والممدود»، و«شرح المعلقات»، و«البارع في اللغة»... وغير ذلك.

وممن روى عنه الإفليليُّ، وأبو بكر الزبيدي... وتوفي بقرطبة سنة: (٣٥٦هـ).

• ابْنُ دُرُسْتَوَيْهِ (٢٥٨ - ٣٤٧هـ):

وَأَمَّا ابْنُ دُرُسْتَوَيْهِ: فهو العلامة النحوي، أبو محمد عبد الله بن جعفر بن دُرُسْتَوَيْهِ^(٢)، ولد سنة: (٢٥٨هـ).

(١) في ترجمة إسماعيل بن القاسم.
(٢) بضم الدال والراء المهملتين كما في بغية الوعاة.

وأخذ عن المُبرِّد وصحبه، كما في: «بغية الوعاة»^(١)، وأخذ عن الدارقطني، وغيرهما، وكان أحد من اشتهر وعلا ذكره وكثر علمه. وكان شديد الانتصار للبصريين في النحو واللغة.

وكان جيد التصنيف؛ وصنّف: «الإرشاد» في النحو، و«شرح الفصيح»، و«الرد على المفضل في الرد على الخليل»، و«غريب الحديث»، و«المقصود» والممدود»، و«أخبار النحاة»، و«معاني الشعر».

وأخذ عنه جَمٌّ، منه: أبو علي القالي البغدادي. وتوفي سنة: (٣٤٧هـ).

● عيسى بن عُمرَ (... - ١٤٩هـ):

وأما عيسى بن عُمرَ: فهو العلامة النحوي القارئ، أبو عمر عيسى بن عمر الثَّقفي، مولى خالد بن الوليد، نزل في ثقيف فنسب إليهم.

أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، كما في: «بغية الوعاة»^(٢)، وأخذ عن عبد الله بن أبي إسحاق، وروى عن الحسن البصري، وغيره.

فكان إماماً في النحو والعربية والقراءة مشهوراً.

وعنه أخذ الخليل، والأصمعي، وغيرهما.

وصنّف في النحو: «الإكمال»، و«الجامع»، وفيهما يقول تلميذه الخليل:

بَطَلَ النَّحْوُ جَمِيعًا كُلُّهُ غَيْرَ مَا أَحَدَثَ عَيْسَى بْنُ عُمَرَ
ذَلِكَ إِكْمَالٌ وَهَذَا جَامِعٌ فَهُمَا لِلنَّاسِ شَمْسٌ وَقَمَرٌ

وتوفي - رحمه الله سنة: (١٤٩هـ)، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) في ترجمة عبد الله بن جعفر بن درستويه.

(٢) في ترجمة عيسى بن عمر.

وهذا آخر ما أردت جمعه وانتقاه من إسناد وأخبار مشايخنا وأبائنا في الدين، الذين أوصلوا إلينا إرث النبوة بالتعليم والتلقين، يتوارثونه عبر الأحقاب والسنين. فتعين علينا شرعاً بثه في صدور المتعلمين كما تلقيناه من أسلافنا المعلمين عليهم رضوان الله أجمعين.

وقد تضمّنت سلسلتنا هذين الإسنادين صفوة خيرة من أعلام الهدى والدين، وفرسان اللسان العربي المبين، مع ما ألحق بهما من تراجم وزيادات، اشتملت على فرائد وإفادات، أرجو أن تكون من جملة العلم النافع، وسبباً موصلًا لمن تعلق به إلى النبي المصطفى الشافع، ﷺ ومجد وعظم.

وأنشدهنا ما قاله الشاعر:

كَتَابٌ لَوْ يُبَاعُ بِمُلْكٍ مِصْرٍ	لَكَانَ الْغَبْنُ لِلْبَيْعِ ظَاهِرُ
وَيَيْنَ سَطُورِهِ أَسْمَاءُ قَوْمٍ	كِرَامٍ مَجْدُهُمْ فِي النَّاسِ فَاخِرُ
أَسَانِيدٌ مُسَلْسَلَةٌ عَوَالٍ	إِلَى خَيْرِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرُ
نُحَاكِي سِمْطٍ دُرٌّ مُسْتَجَادٍ	وَرَوْضَا فِيهِ مِنْ كُلِّ الْأَزَاهِرُ

وقول الآخر:

هَذِي الْجَوَاهِرُ لَا مَا صِيغَ مِنْ ذَهَبٍ	هَذِي لِأَلِي بِهَا تَسْتَشْرِفُ الْكُتُبُ
حَقِيقَةٌ إِنْ بَدَتْ فِي الطَّرْسِ سَاطِعَةٌ	أَلَا يُقَاوِمُهَا دُرٌّ وَلَا ذَهَبُ

ثم إن لسان الحال اقتضى مني، وأنا على وشك طي صفحات هذا المقال أن أتمثل ببعض ما ختم به الشريف ابن خليفة فهرسة مشايخه، حيث قال: (ثم إنني أعتذر لذوي الأفهام من عدم إتقان السجع والإحكام، وفضول الكلام الخالي عن الفوائد والأحكام؛ إذ لا يستغرب ذلك من أمثالي لقلّة بضاعتي

وضعف تحصيل زمن اشتغالي، وسكنى القرى التي يعسر فيها إدراك المعالي وأدخار اللآلي؛ بل لا يحصل فيها إلا كثرة القيل والقال، المبعدة عن درجات الكمال؛ سيّما في هذا الزمان الذي ضاع فيه العلم، وقل فيه وجود الأخيار ذوي الحلم، ولقد صدق القائل:

يَا دَهْرُ بَعِ رُتَبَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلَى بِيَعِ الْخِيَارِ رَبِحْتَ أَمْ لَمْ تَرْبِحِ
قَدَّمَ وَأَخَّرَ مَنْ أَرَدْتَ مِنَ الْوَرَى مَاتَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْهُ تَسْتَحِي

والمسؤول من ذوي العقول التجاوز عما وقع في هذه العجالة من الخطأ والفضول، والنسيان والذهول؛ فإن الإنسان محل النسيان:

وَمَا سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِنَسِيهِ وَلَا الْقَلْبُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَقَلَّبُ

والله أسأل أن يثبت قلوبنا على دينه في أمن من الفتن والأخطار، وأن يمن علينا بما نتمناه ونختار، من سيب فضله المدرار، في هذه الدار، ويختم لنا بالحسنى عند مفارقة الدنيا، ويجمعنا ووالدينا ومشايخنا في المقام الأسنى، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً؛ بجاه أفضل من عِلْمٍ وَعِلْمٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تُبَّتْ بأسماء وتواريخ بعض أعلام هذا الكتاب
(بالتقويم الهجري)

أولاً: السند الفقهي:			
١	محمد عال بن نعم	ولد: ١٣١٤	توفي: ١٤٠٩
٢	يحظيه بن عبد الودود	ولد: ١٢٦٥	توفي: ١٣٥٨
٣	أحمد بن محمد بن محمد سالم	ولد: ١٢٣٨	توفي: ١٣٠٩
٤	محمد بن محمد سالم	ولد: ١٢٠٦	توفي: ١٣٠٢
٥	حامد بن أعمر	ولد: ؟؟؟	توفي: ؟؟؟
٦	أحمد محمود بن ألفغ الخطاط	ولد: ؟؟؟	توفي: ١٢١٧
٧	ألفغ الخطاط بن محمد بن عمر	ولد: ؟؟؟	توفي: ١١٩٦
٨	القاضي بن اعل أمم	ولد: ؟؟؟	توفي: ١١٢٠
٩	القال بن بو القال	ولد: ؟؟؟	توفي: ١٠٨٠
١٠	علي الأجهوري	ولد: ٩٦٧	توفي: ١٠٦٦
١١	محمد بن سلامة البنوفري	ولد: ؟؟؟	توفي: ٩٩٨
١٢	عبد الرحمن الأجهوري	ولد: ؟؟؟؟	توفي: ٩٦١
١٣	اللقاني	ولد: ٨٧٣	توفي: ٩٥٨
١٤	السنهوري	ولد: ٨١٥	توفي: ٨٨٩

١٥	البساطي	ولد: ٧٦٠	توفي: ٨٤٢
١٦	بهرام	ولد: ٧٣٤	توفي: ٨٠٥
١٧	خليل بن إسحاق	ولد: ٩٩٩٩	توفي: ٧٧٦
١٨	المنوفي	ولد: ٦٨٦	توفي: ٧٤٩
١٩	ابن الحاج العبدري	ولد: ٦٥٧	توفي: ٧٣٧
٢٠	أبو إسحاق المظماطي	ولد: ٩٩٩٩	توفي: ٦٧٠
٢١	القرافي	ولد: ٦٢٦	توفي: ٦٨٤
٢٢	ابن الحاجب	ولد: ٥٧٠	توفي: ٦٤٦
٢٣	الأبياري	ولد: ٥٥٧	توفي: ٦١٦
٢٤	العوفي	ولد: ٤٨٥	توفي: ٥٨١
٢٥	الطرطوشي	ولد: ٤٥١	توفي: ٥٢٠
٢٦	الباجي	ولد: ٤٠٣	توفي: ٤٧٤
٢٧	مكي بن أبي طالب	ولد: ٣٥٥	توفي: ٤٣٧
٢٨	ابن أبي زيد	ولد: ٣١٠	توفي: ٣٨٦
٢٩	ابن اللباد	ولد: ٢٥٠	توفي: ٣٣٣
٣٠	يحيى بن عمر البلوي	ولد: ٢١٣	توفي: ٢٨٩
٣١	سحنون	ولد: ١٦٠	توفي: ٢٤٠
٣٢	ابن القاسم	ولد: ١٣٢	توفي: ١٩١

٣٣	الإمام مالك	ولد: ٩٣	توفي: ١٧٩
٣٤	نافع مولى ابن عمر	ولد: ؟؟؟	توفي: ١١٧
٣٥	ربيعة الرأي	ولد: ؟؟؟	توفي: ١٣٦
٣٦	ابن عمر	ولد: ؟؟؟	توفي: ٧٣
٣٧	أنس بن مالك	ولد: ؟؟؟	توفي: ٩٣
ثانياً: السند النحوي			
١	محمد عال بن نعمه	ولد: ١٣١٤	توفي: ١٤٠٩
٢	يحظيه بن عبد الودود	ولد: ١٢٦٥	توفي: ١٣٥٨
٣	ولد زين	ولد: ١٢٢٥	توفي: ١٣١٥
٤	ولد عبد ال	ولد: ؟؟؟؟	توفي: ١٢٦٥
٥	بلا الشقروي	ولد: ؟؟؟؟	توفي: ١٢٧٣
٦	ولد بونا	ولد: ١٠٨٠	توفي: ١٢٢٠
٧	ولد رازگه	ولد: ١٠٦٠	توفي: ١١٤٤
٨	ولد بلعمش	ولد: ١٠٣٦	توفي: ١١٠٧
٩	الحاج عبد الله	ولد: ؟؟؟؟	توفي: ؟؟؟؟
١٠	أحمد بن أحمد	ولد: ؟؟؟؟	توفي: ؟؟؟؟
١١	أحمد الوداني	ولد: ؟؟؟؟	توفي: ؟؟؟؟
١٢	الحاج أحمد المسك	ولد: ٩٢٩	توفي: ٩٩١
١٣	محمود بن عمر	ولد: ٨٦٨	توفي: ٩٥٥

٩٤٢: توفي	ولد: ٨٦٢	السوداني	١٤
٩١٨: توفي	ولد: ٨٣٨	الأشموني	١٥
٨٧٩: توفي	ولد: ٧٨٨	الكافيحي	١٦
٨٣٤: توفي	ولد: ٧٥١	ابن الفنري	١٧
٧٨٦: توفي	ولد: ٧١٤	أكمل الدين بن محمود	١٨
٧٤٥: توفي	ولد: ٦٥٤	أبو حيان	١٩
٦٩٨: توفي	ولد: ٦٢٧	ابن النحاس الحلبي	٢٠
٦٧٢: توفي	ولد: ٦٠٠	محمد بن مالك	٢١
٦٥٥: توفي	ولد: ٥٧٠	المرسي	٢٢
٦٤٥: توفي	ولد: ٥٦٢	الشلوبين	٢٣
٥٨١: توفي	ولد: ٥٠٨	السهيلي	٢٤
٥٢٨: توفي	ولد: ؟؟؟	ابن الطراوة	٢٥
٤٧٦: توفي	ولد: ٤١٠	الشتمري	٢٦
٤٤١: توفي	ولد: ٣٥٢	الاقليبي	٢٧
٣٨٢: توفي	ولد: ؟؟؟	ابن عاصم	٢٨
٣٥٣: توفي	ولد: ؟؟؟	الرباحي	٢٩
٣٣٨: توفي	ولد: ٢٦٠	ابن النحاس المرادي	٣٠
٣١١: توفي	ولد: ٢٤١	الزجاج	٣١
٢٨٥: توفي	ولد: ٢١٠	المبرد	٣٢
٢٤٨: توفي	ولد: ؟؟؟	المازني	٣٣

٣٤	الأخفش	ولد: ؟؟؟	توفي: ٢١١
٣٥	سيويه	ولد: ؟؟؟	توفي: ١٨٠
٣٦	الخليل بن أحمد	ولد: ١٠٠	توفي: ١٧٠
٣٧	أبو عمرو بن العلاء	ولد: ٦٨	توفي: ١٥٤
٣٨	نصر بن عاصم	ولد: ؟؟؟	توفي: ٨٩
٣٩	أبو الأسود الدؤلي	ولد: ؟؟؟	توفي: ٦٩
٤٠	علي بن أبي طالب	ولد: ؟؟؟	توفي: ٤٠

فهرس المراجع

مرتبة ترتيب حروف المعجم

- ١- أبجد العلوم الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم، للقنوجي.
- ٢- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، لخير الدين بن محمود الزركلي.
- ٣- إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، لابن حجر العسقلاني.
- ٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني.
- ٥- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.
- ٦- بلاد شنقيط: المنارة والرباط، للخليل النحوي.
- ٧- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام إبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.
- ٨- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، للدكتور محمد المختار ولد أباه العلوي.
- ٩- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى السبتي اليحصبي.
- ١٠- تعريف الخلف برجال السلف، لأبي القاسم محمد الحفناوي.
- ١١- توشيح الديباج وحلية الابتهاج، لبدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي.

١٢- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

١٣- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي محمد أمين بن فضل الله الحموي الدمشقي.

١٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني.

١٥- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لأبي الوفاء برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المصري.

١٦- سد الأرب من علوم الإسناد والأدب، للعلامة الأمير الكبير.

١٧- سلسلة مشايخ السيوطي.

١٨- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

١٩- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد بن مخلوف المالكي التونسي.

٢٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي.

٢١- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للإمام محمد بن عبد الرحمن السخاوي.

٢٢- طبقات المفسرين، للحافظ السيوطي.

٢٣- فهرسة الشيخ أبي الحسن علي بن خليفة الشريف المساكني.

٢٤- فهرسة الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات: لعبد الحی بن عبد الکبیر الکتانی.

٢٥- قرۃ العین علی توشیح ابن زین، لعبد الحمید بن محمد الأنصاری.

٢٦- کفایة المحتاج فی معرفة من لیس فی الدیاج، للشیخ أحمد بابا بن أحمد التنبکتی.

٢٧- الکواکب السائرہ بأعیان المائة العاشره، للنجم الغزی.

٢٨- معجم الأدباء (إرشاد الأریب إلی معرفة الأدیب) لیاقوت بن عبد الله الحموی البغدادی.

٢٩- معجم المؤلفین، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغنی كحالة الدمشقی.

٣٠- مقدمة إعراب القرآن، لابن النحاس أحمد بن محمد بن إسماعیل المرادی.

٣١- مقدمة تحقیق التوضیح علی المختصر الفرعی الذي یسمى جامع الأمهات.

٣٢- مقدمة تحقیق عمدة الحافظ وعدة الالفاظ فی النحو، لابن مالک.

٣٣- مقدمة شرح الرسالة، للبغدادی.

٣٤- ملحقات تراجم الفقهاء فی الموسوعة الفقهية الكويتية.

٣٥- مواهب الجلیل فی شرح مختصر خلیل، لأبی عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالحطاب.

٣٦- الموجز فی نشأة النحو، للدكتور محمد الشاطر أحمد محمد.

٣٧- الموسوعة العربية العالمية.

٣٨- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، للشيخ محمد الطنطاوي.

٣٩- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري.

٤٠- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا بن أحمد التنبكتي.

٤١- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، لأحمد بن الأمين العلوي.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم
٩	تقاريف الكتاب
٢٥	تمهيد
٣٣	المقدمة
٤٥	المبحث الأول: لمحة مختصرة عن العقيدة الأشعرية والسيرة النبوية
٤٧	العقيدة.....
٥٠	السيرة
٥٥	المبحث الثاني: لمحة موجزة عن الفقه والمذهب المالكي
٦٥	الفصل الأول: في التعريف بأصحاب السند الفقهي
٦٧	محمد عالي ابن نعمه
٧٦	يحظيه بن عبد الودود
٨٢	أحمد ابن محمد سالم
٩١	محمد بن محمد سالم
٩٧	حامد ولد أعمر
٩٩	أحمد محمود بن ألفغ الخطاط
١٠٠	ألفغ الخطاط

- ١٠٣ ولد اعلي أمم
- ١٠٥ الفائي بن بو الفائي
- ١٠٧ علي الأجهوري
- ١١٠ محمد البنوفري
- ١١١ البرموني
- ١١٢ عبد الرحمن الأجهوري
- ١١٣ ناصر الدين اللقاني
- ١١٤ علي السنهوري
- ١١٦ البساطي
- ١١٨ بهرام
- ١٢٠ الشيخ خليل
- ١٢٤ عبد الله المنوفي
- ١٢٦ ابن الحاج
- ١٢٧ أبو إسحاق المطماطي
- ١٢٩ القرافي
- ١٣٢ ابن الحاجب
- ١٣٥ الأبياري
- ١٣٦ العوفي

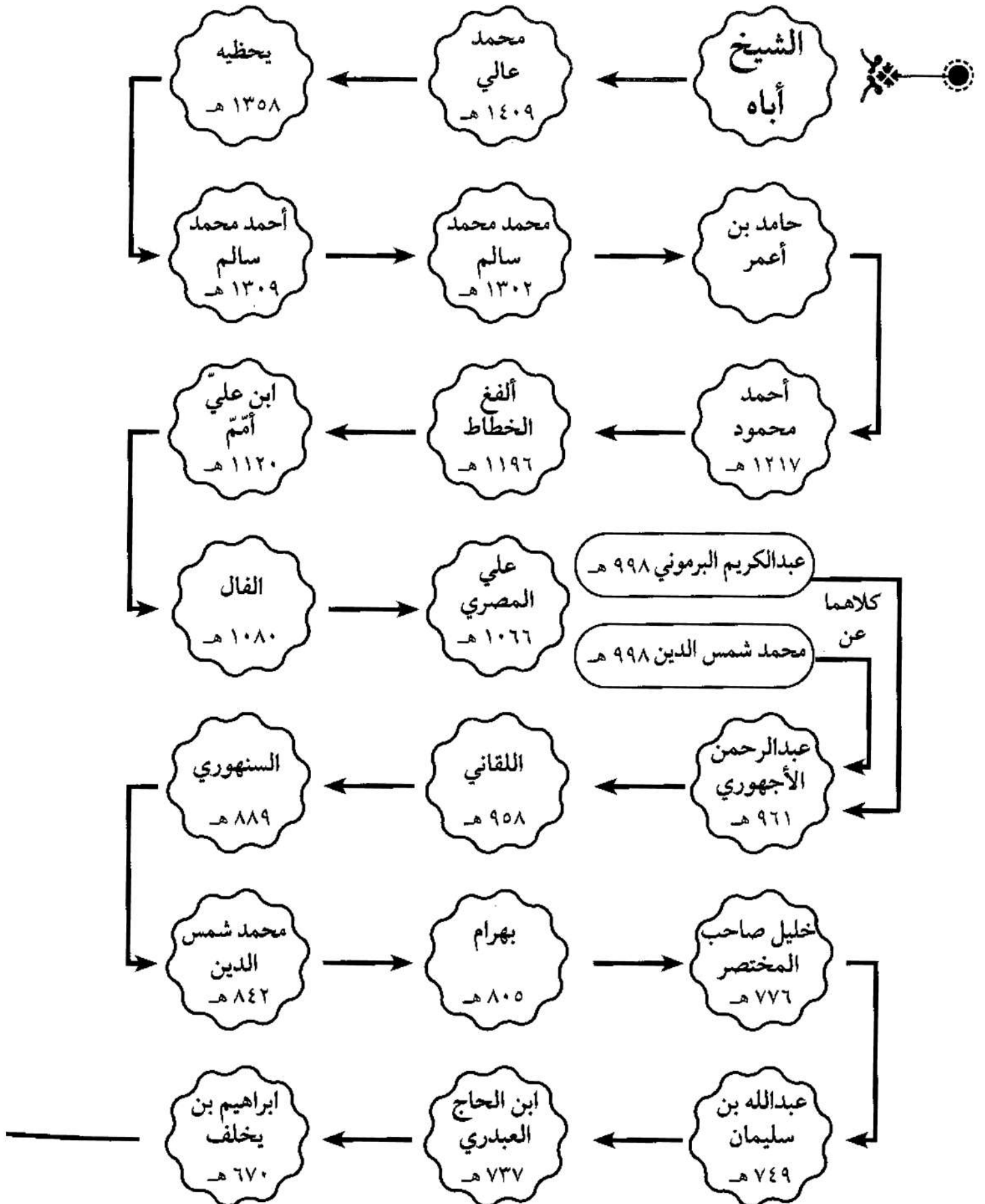
- ١٣٨ الطرطوشي
- ١٤٠ الباجي
- ١٤٣ مكي بن أبي طالب
- ١٤٥ ابن أبي زيد القيرواني
- ١٤٧ ابن اللباد
- ١٤٨ يحيى البلوي
- ١٥٠ سحنون
- ١٥٤ ابن حبيب
- ١٥٧ ابن القاسم
- ١٦٠ أشهب
- ١٦١ الإمام مالك
- ١٦٩ نافع مولى ابن عمر
- ١٧١ ربيعة الرأي
- ١٧٢ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
- ١٧٥ أنس بن مالك رضي الله عنه
- ١٧٩ المبحث الثالث: لمحة موجزة عن مكانة اللغة العربية وعلم النحو ونشأته
- ١٩٣ الفصل الثاني: في التعريف بأصحاب السند النحوي والصرفي
- ١٩٤ الحسن بن زين

١٩٦ عبد الودود بن عبد ألّ
١٩٨ بُلَا الشقروي
٢٠٠ المختار بن بونا
٢٠٤ ولد رازگه
٢٠٩ ولد بلغمش
٢١٠ الحاج عبد الله
٢١١ أحمد بن أحمد
٢١١ أحمد الوداني
٢١٢ الحاج أحمد المسك
٢١٣ محمود بن عمر
٢١٥ الحاج أحمد الماسني
٢١٦ الأشموني
٢١٨ الكافي جي
٢٢٠ ابن الفري
٢٢١ أكمل الدين
٢٢٢ أبو حيان
٢٢٤ ابن النحاس

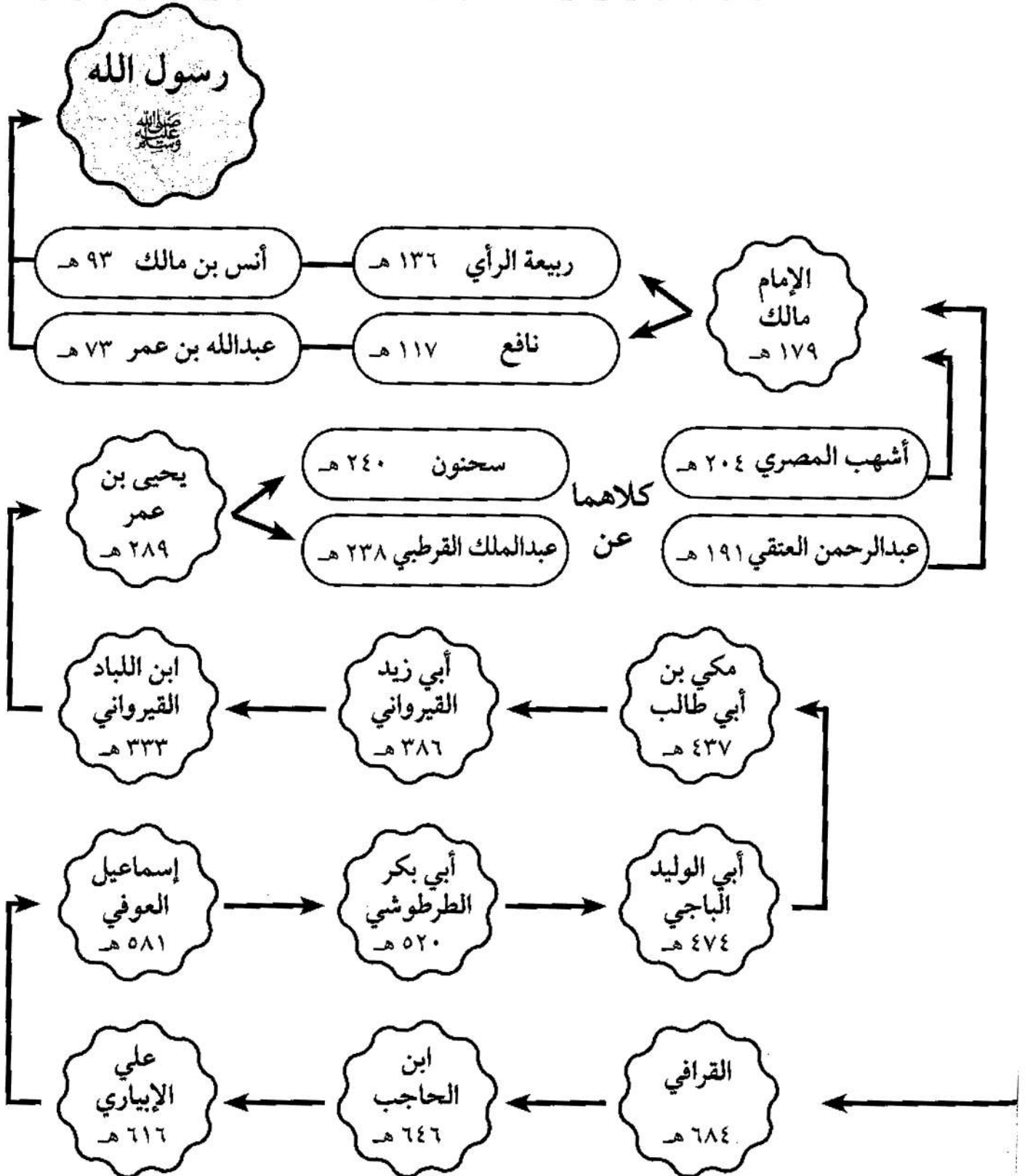
٢٢٦ ابن مالك
٢٢٨ المرسي
٢٢٩ الشَّلَوِيِّينَ
٢٣١ السهيلي
٢٣٢ ابن الطراوة
٢٣٤ الأعلم الشتمري
٢٣٥ ابن الإفليلي
٢٣٦ ابن عاصم
٢٣٧ الرياحي
٢٣٨ ابن النحاس
٢٣٩ الزجَّاج
٢٤٠ المبرد
٢٤٣ المازني
٢٤٦ الأخفش
٢٤٩ سيويه
٢٥١ الخليل بن أحمد
٢٥٥ أبو عمرو بن العلاء

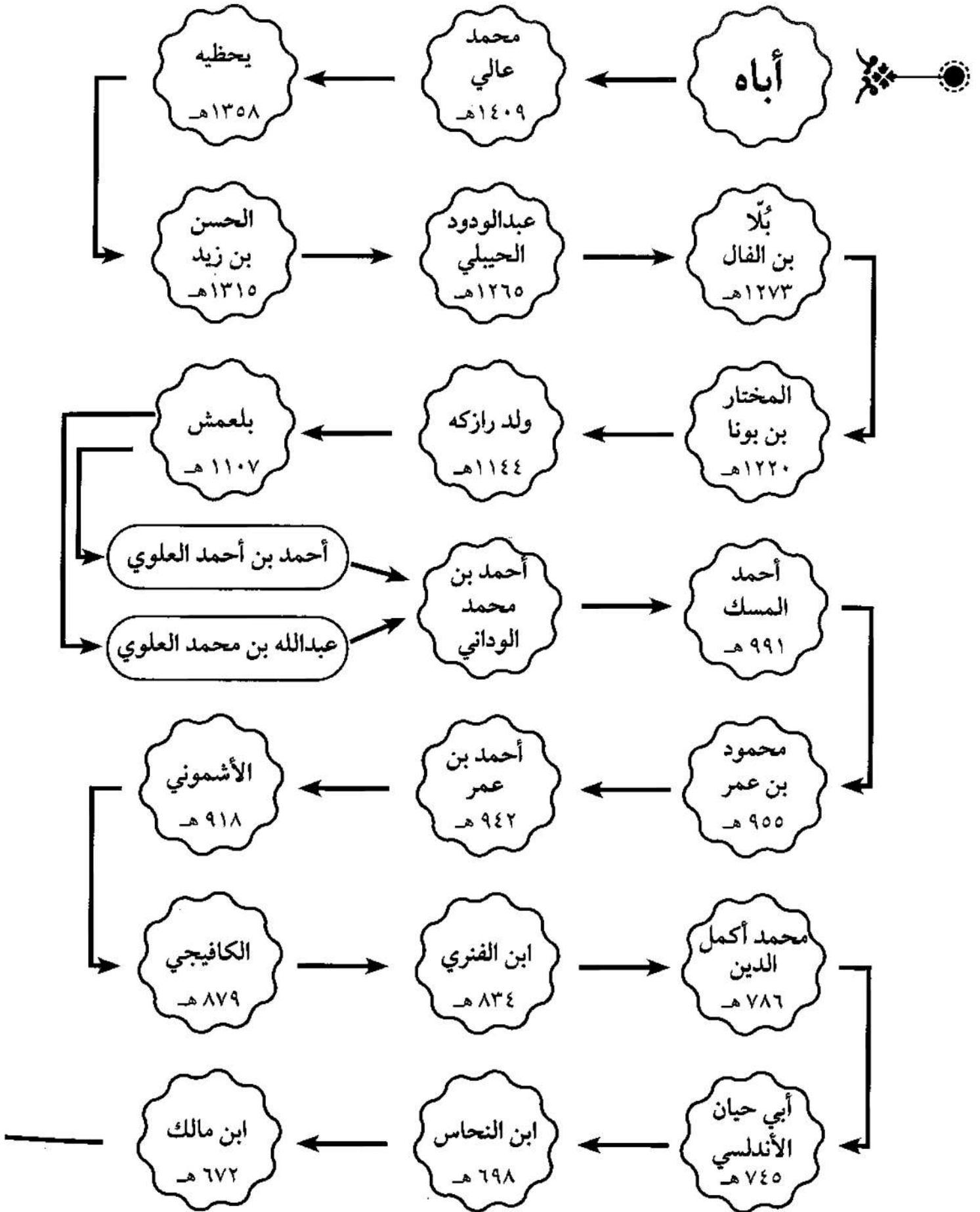
- ٢٥٦ نصر بن عاصم
- ٢٥٧ أبو الأسود الدؤلي
- ٢٦٢ علي بن أبي طالب رضي الله عنه
- ٢٦٧ ملحق: ذكر بعض الأسانيد الفقهية والنحوية وبعض التعريف
بأصحابها، تعزيزاً للسندين
- ٢٦٨ فمن فروع السند الفقهي
- ٢٦٩ ومن فروع السند النحوي
- ٢٧٠ أحمد الفيشي
- ٢٧٠ النويري
- ٢٧١ البوصيري
- ٢٧١ الربعي
- ٢٧٢ ابن المخلطة
- ٢٧٢ ابن فرّاج
- ٢٧٢ ابن عطاء الله
- ٢٧٣ ابن القوبع
- ٢٧٤ ابن زيتون
- ٢٧٤ ابن خلدون
- ٢٧٤ الهواري

٢٧٥ ابن هارون
٢٧٥ ابن بقي
٢٧٦ ابن عبد الحق
٢٧٧ ابن الفرغ
٢٧٧ ابن أبي الأحوص
٢٧٨ نجبة بن يحيى
٢٧٩ ابن الرماك
٢٧٩ ابن الأخضر
٢٨٠ أبو علي القالي
٢٨٠ ابن درستويه
٢٨١ عيسى بن عمر
٢٨٤	ثبت بأسماء وتواريخ بعض أعلام هذا الكتاب (بالتقويم الهجري)
٢٨٤ أولاً: السند الفقهي
٢٨٦ ثانياً: السند النحوي
٢٨٩ فهرس المراجع، مرتبة ترتيب حروف المعجم
٢٩٣ فهرس مواد الكتاب



سند التوحيد والفقہ والسيرة





سند النحو والصرف واللغة

علي بن أبي طالب

٤٠ هـ

أبي عمرو
بن العلاء
١٥٤ هـ

نصر بن
عاصم
٨٩ هـ

أبي الأسود
الدؤلي
٦٩ هـ

الخليل
الفراهيدي
١٧٠ هـ

سيبويه
١٨٠ هـ

الأخفش
الأوسط
٢١١ هـ

الزجاج
٣١١ هـ

المبرد
٢٨٥ هـ

أبي عثمان
المازني
٢٤٨ هـ

ابن النحاس
٣٣٨ هـ

محمد بن
يحيى
٣٥٣ هـ

محمد بن
عاصم
٣٨٢ هـ

ابن الطراوة
٥٢٨ هـ

الأعلم
الشتمري
٤٧٦ هـ

إبراهيم
الإفليلي
٤٤١ هـ

عبد الرحمن
المالقي
٥٨١ هـ

الشلوبين
٦٤٥ هـ

محمد بن
عبد الله
٦٥٥ هـ

